المجلد العاشر العدد الثالث ٢٠٠٧

علوم اللغة

٣٩

فى هذا العدد :

علـوم اللغــه

دراسات علمية مُحَكّمة تصدُر أربع مرات فى السنة

كتــاب دورى

المجلد العاشر | العدد الثالث | ٢٠٠٧





علـوم اللغـة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ١٠ ، ع٣ ٧ ٢٠٠

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا	(داخل جمهورية مصر العربية)
٨٠ دولارا أمريكيا	(خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا	(داخل جمهورية مصر العربية)
٢٠ دولارا أمريكيا	(خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

تستمر أسرة تحرير مجلة علوم اللغة بحمد الله وتوفيقه الذى لا حدود له فى عامها العاشر بإصدار عدد جديد بإشراف ا .د/ سعيد حسن بحيرى ، أستاذ علوم اللغة ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب . ويضم هذا العدد بعض بحوث تأخرنا فى نشرها لظروف خارجة عن إرادتنا ، ونأمل أن يتسع صدر أصحابها ، ويقدروا عملنا ، وهى بحوث متنوعة تجمع بين العمق العلمى والثقافة الثرية ، الأولى حول " الفصحى والحضارة " والثانية حول " الهاء العربية ، الصوت والوظائف " ، والثالثة حول " مفهوم اللغة فى ضوء اللسانيات الحديثة " ، والرابعة حول " القضايا الصوتية والصرفية " فى فاتحة الكتاب " ، والخامسة حول " مصطلح المعجمية عند ابن خلدون " .

وبعد ... فإننى وزملائى المشاركين فى تحرير هذه المجلة نؤكد لإخواننا الباحثين أننا نحافظ على رسالة المجلة قدر المستطاع ، ولا نرد إلا ما يستحيل نشره لأسباب عدة ، نحن فى حل من ذكرها . ونحافظ بكل أمانة على مواعيد النشر التى تحدد وفق أسبقية ورود البحث والانتهاء من تحكيمه . ويبدو أن مسألة عدد صفحات البحث غير مقنعة لبعض الباحثين . ولذا يلحون ، ويصرون على نشر بحوثهم التى تشغل مساحة ثلاثة بحوث فى المجلة ، وليس هذا بعدل وغير مقبول . ولذا نرجو قراءة شروط النشر قراءة واعية قبل إرسال البحث لنشره ، ولا تعقيب .

ويسعد أسرة تحرير المجلة كل السعادة أن تستمر فى إهداء هذا العدد أيضا إلى أستاذنا الفاضل العالم اللغوى

ا . د / محمود فهمى حجازى

أطال الله فى عمره ومتعه بكل صحة وعافية .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

أســـرة التحريــــر

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

الفصحى والحضارة

د. على محمد هنداوى

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

مقدمة

هذه أبحاث فى العربية الفصحى يتعلق بعضها باللغة فى السياق العام للحضارة، بما يتضمنه ذلك من دراسة لأثر احتكاك الأمم وتفاعلها الحضارى على اللغة بصورة عامة، وأن ذلك من عوامل التغير اللغوى؛ ذلك التغير الذى ينال اللغات جميعاً على ألسنة أهلها فى بلادهم، فضلاً عما يلحق بها من احتكاكهم بالأمم الأخرى عن طريق التجارة أو الغزو أو الترجمة، لا تكاد تسلم من ذلك لغة مهما بالغ أهلها فى الحرص عليها نقية من شوائب التغيير، وكذلك مر الزمان على اللغة واتساع المكان بناطيقها وتغيُّر ظروف المناخ وطرائق العيش ووسائل الحياة؛ كل أولئك مما يفعل فى اللغة وأهلها فعله الذى لا ينكر. ولقد مرت العربية الفصحى بأطوار من الحضارة عديدة، فتعاقبت عليها الأزمنة وضاقت بها وبناطيقها الأمكنة، وعرفت فيها مثلما عرف أهلها طرائق للعيش مختلفة عما ألفت وألفوا فى المهد الأول بشبه الجزيرة العربية، وصارت لغة الدين والحياة والسياسة والدواوين والعلم فى أرضها وفى أراضى قوم لم يكن لهم بها من قبلُ إلف ولا عهد. وبعد عرض آراء مختلفة حول طبائع الأجناس لاحظنا التنوع الجنسى فى بناء الحضارات وأن الذى يحكم نقل النتاج الحضارى هو حاجات الحضارة الناقلة وظروف تطورها، ولاحظنا كذلك تقلب العرب والعربية بين أطوار من التأثر بحضارات الأمم السابقة وآدابها

وبخاصة الفرس واليونان والروم، ثم الانتقال إلى مرحلة الترجمة قبل الانطلاق فى آفاق الإبداع العلمى والفنى، ذلك الذى يظهر جلياً فى جوانب من الإبداع الفكرى الإسلامى، من أظهرها الفلسفة الإسلامية وتدوين التاريخ، وذانكم مجالان برع فيهما العقل المسلم العربى وعبّر عن تفرده بلغة عربية فصحى وسعت الكثير المُحْدَث من الرؤى والأفكار والمصطلحات. وقد ترك كل ذلكم أثره فى العربية، ألفاظها وتراكيبها، وهو ما لفت إليه النظر من قديم، إما على سبيل التنقية وإصلاح الخطأ كالذى نجده فى كتب لحن العامة، أو لمجرد رصد الظواهر ووصفها، كالذى نطالعه عند الجاحظ فى البيان والتبيين. وقد أفردنا صفحات للعربية فى مصر واتصال المصريين بالعرب قبل الإسلام، وما أشار إليه بعض الباحثين من صلات بين المصريين والشعوب السامية عامة، بل ما ذهب إليه بعضهم من وجود أوجه تشابه بين المصرية القديمة واللغات السامية، ثم بينا مدى تأثير المصرية فى العربية وأنه لم يكد يجاوزطائفة من المفردات كان بعضها قبطياً وبعضها الآخر يونانياً، وإن كان التأثير اليونانى فى مجال المفردات العربية أقدم، إذ يعود إلى مرحلة الشعر الجاهلى الذى أثبتت بعض الدراسات اشتمال معجمه على الدخيل من الألفاظ من اليونانية ومن غيرها. وامتداداً لحديث التفاعل بين العربية والبيئة المصرية كان البحث فى لغة البردى العربى فى مصر،وهى الوثائق التى تعد شواهد على مرحلة التحول فى مصر من اليونانية إلى العربية، إذ مرت مرحلة كان البردى فيها مزدوج اللغة، أى مكتوباً بلغتين هما اليونانية والعربية، قبل أن يصير إلى العربية وحدها. وثَمَّ إشارة إلى أن العربية غزت مصر فى زمن قياسى، حتى إن الآباء البطاركة صاروا يؤلفون كتبهم بالعربية، ومنهم ابن البطريق وسويرس بن المقفع،وكان

العرب يعرفون القبطية ويتخاطبون بها؛ ويلاحظ بعض الباحثين أن الشعب المصرى الذى نقرأ لغته فى نصوص البرديات العربية لم يستجب فى تاريخه إلا للغتين هما المصرية القديمة بصورها وخطوطها المختلفة، والعربية، وكان للغة البردى العربى فى مصر سمات وخصائص يظهر فيها أثر ثقافة الكاتب من ناحيتى الألفاظ والتراكيب والصيغ الصرفية، وهى لغة تحللت بصورة عامة من التزام الفصحى، وتأثرت كما ذكرنا بالمستوى التعليمى والثقافى للكاتب؛ وقد كانت العربية فى مصر ثلاثة مستويات: الفصحى ولغة الحديث اليومى ولغة ثالثة بينهما؛ وقد بدت فى لغة البردى سمات صوتية وصرفية وتركيبية يبدو فيها التأثر بعامية مصر فى ذلك الوقت. أما حديث الثابت والمتغير فإنه يتعلق به مسائل منها الدعوة إلى التيسير التى ما فَتِئت تظهر ويتجدد أمرها بين حين وآخر بتأثير عوامل عدة؛ وقد انطلقنا من ثوابت أقرها علماء اللغة من حتمية التطور/التغيُّر اللغوى فى الزمان والمكان، ثم ارتباط الفصحى بالقرآن الكريم، وهو ما منحها ذلك الثبات النسبى فى بعض الألفاظ الأساسية وفى التراكيب والصيغ الصرفية بعامة، ثم نشير إلى ما نص عليه بعض الباحثين من أن كثيراً من الظواهر اللغوية فى اللهجات المعاصرة امتداد لظواهر نظيرة فى اللهجات العربية القديمة. ويرتبط بحديث الثابت والمتغير مسائل، منها مسألة الإعراب الذى تعددت فيه الآراء من قديم، ودرسه الأقدمون من علماء العربية لم يجاوزوا دائرة الفصحى ولهجاتها، أو مَن عرض له من المستشرقين وبعض علماء العربية فى عصرنا باعتباره من خصائص اللغات السامية عامة. كما يرتبط بحديث الثابت والمتغير مسألة الكتابة العربية وما يتعلق بها من أمور كالاختلاف حول أصولها وتعدد هذه الأصول بين الكتابة الجنوبية والكتابة الشمالية، وتطور

هذه الكتابة فى ثلاث مراحل هى المرحلة الآرامية، ومرحلة الانتقال إلى الخط النبطى، ومرحلة النضوج التى انتهى فيها الخط النبطى إلى صورته المعروفة التى تميل إلى الاستدارة على الرغم مما يبدو فيها من نزوع إلى التربيع. وقد لاحظنا أن حديث التيسير فى الكتابة لا ينبغى أن يتجاهل المراحل التى مر بها الخط العربى، وأنه حدثت مفارقة مزمنة فى الثقافة العربية المدونة بهذا الخط بين المكتوب والمقروء، ومظاهر ذلك كثيرة ومنهامسألة الهمزة التى بُذِلَت لتيسيرها جهود جماعية وفردية واستأثرت باهتمام العلماء من قديم ولم تزل، سواء من جانب النطق أو الرسم الإملائى. وفى دراسة اتجاهات تجديد النحو العربى ثمَّ تتبُّع مستقصٍ لاحظنا فيه أموراً منها ارتباط الغرض التعليمى بالنحو منذ المرحلة المبكرة من تاريخه، وذلك بحكم الظروف والدوافع التى حفزت إلى وضعه ورافقت نشأته؛ ثم إن النحو جاوز كونه قواعد للغة ووصفاً لتراكيبها، وسبب ذلك القول بمجاوزته انحيازه إلى جانب واحد من جوانب الدرس اللغوى هو جانب الإعراب وما يتعلق به ويتفرع عليه، مع الافتتان بالبناء النظرى الذى اقتضى افتراض تراكيب لم تسمع من أهل اللغة، على الرغم من التفات بعض النحاة إلى جانب المعنى، كالذى يشير إليه سيبويه فى غير موضع من تفاضل التراكيب، إذ يوصف بعضها بالجودة أو الفصاحة أو الرداءة، وإنما مرجع ذلك صورة صادقة للعلاقة بين الإعراب والمعنى، وهى علاقة ترك أمر تقصيها ودراستها فى جوانب كالحذف أو الزيادة أو التقديم أو التأخير إلى علم المعانى الذى صار عند المتأخرين من العلماء فرعاً من فروع البلاغة وفناً من فنونها. وقد بينا أن أمر تجديد النحو العربى اتخذ ثلاثة اتجاهات؛ هى التيسير والتحديث والتوظيف؛ وتميز كل اتجاه منها بضرب من النظر إلى النحو مادة ومنهجاً، واستقل كل منها ـ فيما نقدِّر ـ بغاية أثَّرت فى تناوله مسائل النحو العربى وتطبيقاته.

تمهيد

الحضارة انعكاس لمجمل النشاط الإنساني، وهي تمثل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية والدينية، وهي صورة نابضة للتقدم العلمي في مجالات العلم والثقافة، بل إن الحضارة بمفهومها الإيجابي هي الوجه الأمثل للتطور والرقي والتقدم، كما أن الحضارة هي الوجه الآخر للمدنية، وهي نقيض الهمجية والتقهقر والتدمير؛ والحضارة والمدنية وجهان لمفهوم واحد. ويمثل تاريخ الحضارات العامل الأساسي في فهم التطور الحضاري والبشري لمختلف الحضارات منذ فجر التاريخ حتى اليوم، ذلك أن دراسة التطور الحضاري يبرز لنا الأسباب التي كانت مدعاة لهذا التطور، ويبين لنا النتائج المختلفة التي أسفرت عنها تلك التطورات الحضارية. لقد شهدت الحضارات القديمة نماذج من الرقي والتطور الحضاري، كما شهدت الكثير من الحروب وعوامل التدمير والروح اللاأخلاقية، وبرغم ذلك فإن الإنسان كان ينتقل من عصر إلى عصر ومن قرن إلى قرن في خطىً ثابتة نحو التطور الحضاري، وبرغم صور العنف والبربرية فإنه لا يمكن إهمال دراسة التطور التاريخي للحضارة، وعلاقة الحضارات، وتعرُّف التاريخ الحضاري للشعوب والاستفادة من تجاربها لبناء الحاضر والمستقبل استناداً إلى مبدأ نفعية التاريخ(1). الحضارة نظام اجتماعي مؤلف من عدة عناصر، في مقدمتها الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والعلوم والفنون والتقاليد الخلقية، والحضارة ليست وليدة عصر معين أو حقبة معينة، وإنما هي نتيجة تاريخ سابق وحضارات سابقة وُجِدَت فيها العوامل السابقة بنسب مختلفة ومتفاوتة بين منطقة ومنطقة(2)؛ الحضارة في معناها الوظيفي الكامل

الذى يتضمن الثقافة هى هوية الإنسان، فهى مساوية للإنسانية، بمعنى أن وضع الإنسان على هذا الكوكب لم يتحدد إلا بها، فهى بهذا فاصل نوعى بين الإنسان وبين سائر الأحياء بما أنشأت له من حياة اجتماعية متنوعة خصبة تحددت بها ذاته وتشكلت بها علاقاته مع نظرائه ومع الطبيعة ومع ما وراء الطبيعة، ثم هى بعد ذلك فاصل درجى بين المجتمعات والأفراد، وإنما تتسع الحياة وتتنوع باتساع الثقافة وتنوعها، فالثقافة تمثل نسيج الحياة الإنسانية وجوداً وحركة وتوظيفاً، فليس هناك فى آخر الأمر تحليل عمل اجتماعى يتم إنسانياً خارج دائرة الثقافة فى كل الأبعاد(٣)، والبعد التاريخى عامل جوهرى فى تاريخ الثقافة، وذلك أن التراكم الكمى والنوعى هو أحد ديناميات الثقافة الأساسية، والتفاعل مع الواقع إما تكيفاً معه وإما تجاوزاً له فى امتداد مستقبلى، هو من الوظائف الحيوية للثقافة وبعد من أبعادها... وهكذا فإن الثقافة فى هذا السياق تعنى مجموعة النشاط الفكرى والفنى فى معناهما الواسع وما يتصل بها من مهارات أو يعين عليهما من وسائل، فهو موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى مؤثرة فيها متأثرة بها معينة عليها مستعينة بها(٤). ومن زاوية أخرى أشد عموماً وأرحب أفقاً يذهب بعض الباحثين إلى أننا إذا أخذنا فى الاعتبار قدم ظهور الإنسان على الأرض فإن الحضارات لم تأخذ فى التنوع والتفرد، وبالتالى بالتمركز جنباً إلى جنب فى حيز ضيق، إلا بصورة تدريجية وفى عهد قريب منا جداً. وقد برز هذا التنوع وأصبح الطابع المميز لحياة الناس فى التاريخ القديم رِدحاً طويلاً من الزمن؛ وقد كانت هذه الظاهرة أمراً لازماً، فمنذ أخذت مئات من الأقوام البشرية فى الاستقرار والتحضر راحت كل فئة تتطور فى المحيط الذى ارتضته لها

مقراً، وفقاً لعوامل زمنية ومكانية خضعت لها ولمؤثرات حسية وخلقية عرفت بها ودَرَجت عليها[٥]؛ والحق يقال إن التفتت الذى ألم بالحضارة الوحدانية وتشعبها إلى حضارات متعددة ليس إلا النتيجة المنطقية للرقى الذى حققه الإنسان ولتطوره الصاعد الذى زاد حياته المادية والعقلية تعقيداً وتشابكاً، ووفر له أسباب التباين والتغاير والتفرد... ليس لعمرى من مدنية قامت وعاشت فى قوقعة مطبقة لم تتأثر فى كثرة أو قلة بما تقدمها من الحضارات التى ازدهرت من قبل، وقد يكون خَطَرَ لبعض هذه الحضارات مثل هذا الشعور من الاكتفاط الذاتى؛ من ذلك مثلاً أن الحضارة الفرعونية القديمة لم تستطع أن تحقق هذه المثالية، فهذه الحضارة وغيرها عوّلت جميعاً على مصنوعات ومحاصيل جاءتها من الخارج[٦]... ومهما يكن من اختلاف مع هذا المذهب الأخير الذى يكاد يقطع بأن حضارة الإنسان واحدة فى أصلها، فإن الأمر الذى يكاد يظفر بالقبول العام من مؤرخى الحضارات ودارسيها هو أن كل حضارات الإنسان ميراث تراكمى، إذ يبنى اللاحق على ما أسس السابق، ولا يزعمن زاعم قوم أن إبداعه الحضارى نسيج وحده لم يبن على مثال تقدمه، مع الإقرار بفكرة الخصوصية الحضارية التى تغذيها عوامل من الثقافة والأفكار ترفدها ظروف البيئة الجغرافية والتاريخ الخاص، ويؤكد صاحب «قصة الحضارة» الطبيعة التراكمية للإرث الحضارى عند الإنسان، وهو فى سرده لتاريخ المدنية الإنسانية يبدأ بالشرق، يعنى به مصر والشرق الأدنى حتى وفاة الإسكندر وفى الهند والصين واليابان[٧]؛ ومعنى ذلك أن آسيا لم تكن مسرحاً لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية التى ظن سير «هنرى مين» خطأً أنها المصدر الوحيد الذى

استقى منه العقل الحديث، فسيدهشنا أن نعرف كم مخترعاً من ألزم مخترعاتنا لحياتنا وكم من نظامنا الاقتصادى ومما لدينا من علوم وآداب وما لنا من فلسفة ودين يرتد إلى مصر والشرق، وفى هذه اللحظة التاريخية حيث تسرع السيادة الأوربية نحو الانهيار، وحيث تنتعش آسيا بما يبعث فيها الحياة، وحيث الاتجاه كله فى القرن العشرين يبدو كأنما هو صراع شامل بين الشرق والغرب ـ فى هذه اللحظة نرى أن التعصب الإقليمى الذى ساد كتابتنا التقليدية للتاريخ التى تبدأ رواية التاريخ من اليونان وتلخص آسيا كلها فى سطر واحد لم يعد مجرد غلطة علمية، بل ربما كان إخفاقاً ذريعاً فى تصوير الواقع ونقصاً واضحاً فى ذكائنا... لكن كيف يتاح لعقل غربى أن يفهم الشرق؟ إن ثمانية أعوام قضيتها فى الدراسة والسفر لم يكنِ من شأنها سوى أن توضح لى هذه الحقيقة أيضاً، وهى أن العمر بأسره يُخصص للبحث العلمى لن يكفى طالباً غريباً ليدمج نفسه فى روح الشرق الدقيقة وفى تراثه الغامض(٨).

أولاً: الصفات العقلية للأجناس:

هناك من الباحثين قديماً وحديثاً من يميل إلى إفراد كل جنس من أجناس البشر بطبيعة عقلية خاصة تؤثر فى نوع الحضارة التى تميزه، وتنشأ عن ظروف خاصة، منها كما سبقت الإشارة ظروف البيئة الجغرافية وأحداث التاريخ التى تعرض لهذا الجنس أو ذاك، ويربط بعض الباحثين أوائل الحضارة الإنسانية بالزراعة، «إذ لا يجد الإنسان لتمدنه فراغاً ومبرراً إلا إذا استقر فى مكان يفلح تربته ويخزن فيه الزاد ليوم لا يجد فيه مورداً لطعامه، فى هذه الدائرة الضيقة من الطمأنينة ـ وأعنى بها مورداً محققاً من الماء والطعام ـ ترى الإنسان يبنى لنفسه الدور

والمعابد والمدارس ويخترع الآلات التى تعينه على الإنتاج ويستأنس الكلب والحمار والخنزير، ثم يسيطر على نفسه آخر الأمر فيتعلم كيف يعمل فى نظام واطراد ويحتفظ بحياته أمداً أطول ويزداد قدرة على نقل تراث الإنسانية من علم وأخلاق نقلاً أميناً»(٩). ومن المؤكد ـ إذا طبقنا هذا المبدأ ـ أن شبه جزيرة العرب عرفت فى عصور موغلة فى القدم هذا النمط الحياتى المرتبط بالزراعة حينما كانت تشقها أنهار عظيمة وتكسوها خضرة وإنتاج زراعى وفير قبل أن يتبدل الحال بها إلى جفاف وجدب دفع أهلها إلى حياة الترحل طلباً للماء والمرعى مما غيَّر نمط الإسهام الحضارى لهذه البلاد، ثم جاء الإسلام وفتوح البلدان ليصل ما انقطع من دور زائد مؤثر للعرب فى حضارة الإنسان. وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن طبيعة العقل العربى لا تنظر إلى الأشياء نظرة عامة شاملة وليس فى استطاعتها ذلك، وهم ينقلون عن الشهرستانى فى كتابه «الملل والنحل» قوله فى الكلام عن الحكماء «الصنف الثانى حكماء العرب وهم شرذمة قليلة، وأكثر حكمتهم فلتات الطبع وخطرات الفكر... إن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد... والمقاربة بين الأمتين مقصورة على اعتبار خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات، والغالب عليهم الفطرة والطبع، وإن الروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد، حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفية الأشياء والحكم بأحكام الطبائع، والغالب عليهم الاكتساب والجهد»(١٠)؛ فالعربى لم ينظر إلى العالم نظرة عامة شاملة كما فعل اليونانى مثلاً... ويجب أن تعنى، إذا أردت المقارنة الصحيحة، باستبعاد من تأثر طبعه وعقله بالفلسفة اليونانية كالسكاكى وأمثاله. إن هذا النوع من النظر الذى يميز به العرب هو الذى قصر نفَس الشاعر العربى فلم يستطع أن يأتى بالقصائد القصصية الوافية ولا أن

يضع الملاحم الطويلة كالإلياذة والأوديسا(١١). ومثلما شُغِل الباحثون بعض الوقت بالبحث فى نشأة اللغة عند الإنسان وذهبوا فى هذا البحث كل مذهب، وتنوعت اجتهاداتهم بين القول بالتوقيف والقول بالاصطلاح، والمحاكاة، والتنفيس عن الانفعالات، إلى غير ذلك من مذاهب، كذلك شغل بعض الباحثين فى الزمن القديم غالباً بالبحث فى أول من تكلم فى الحكمة أو فى الفلسفة مثلاً وفى غيرها، وكان منهم من رد الأمر إلى شىء من التوقيف أو الوحى فى أصل نشأته ثم الاكتساب بالتعليم؛ يقول ابن القفطى(١٢): إن علماء الأمم اختلفوا فى أول من تكلم فى الحكمة وأركانها من الرياضة والمنطق الطبيعى والإلهى، وكل فرقة ذكرت الأول عندها، وليس ذلك هو الأول على الحقيقة، ولما أنعم الناظرون النظر رأوا أن ذلك كان نبوة أنزلت على إدريس، وكل الأوائل المذكورة عند العالم هم من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه. وكان ابن حزم قد أوضح بنفس هذه الروح قبل ذلك بقرنين من الزمان، فعنده أن العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدى إليها أحد بطبعه دون تعليم كالطب ومعرفة الطبائع والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل إلى تجريبها كلها أبداً، وكيف فى كل علة؟ ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له إلا فى عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض فى العالم؟ وما يصدق على الطب يصدق على الفلك كذلك... إلخ(١٣). ويردد الجاحظ فى البيان والتبيين القول باختصاص بعض الأمم بمهارات وعلوم دون غيرها من الأمم، فنحن فى مذهب الجاحظ، لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس، فأما الهند فإنما لهم معان مدونة وكتب مخلدة لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف، وإنما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة، ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب

المنطق نفسه بَكِيٌّ اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيل معانيه وبخصائصه، وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ولم يصفوه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة[١٤]. ويشير الجاحظ إلى أرسطو بعبارة «صاحب المنطق»[١٥]، وينسب الجاحظ فى موضع آخر أهم مقومات الحضارة، وهى الأخلاق والآداب والحكم والعلم، إلى أربع أمم هى (العرب) يمثلهم جنوب الجزيرة قديماً (والهند وفارس والروم) يعنى بهم اليونان، ويورد فى هذا السياق قول حكيم بن عياش الكلابى:

ألم يك ملك أرض الله طُــــــرًا — لأربعــة له متـــمــيــزينا

لحِميَرَ والنجاشى وابن كســـرى — وقيصرَ غيرَ قول الممترينا[١٦]

ولنا فى هذا السياق ملاحظتان: الأولى: أن الحضارات الإنسانية بعامة عرفت تنوعاً جنسياً، ولم تقم أى منها على نقاء عنصرى خالص، ولا يكاد يشذ عن هذه القاعدة حضارة واحدة. الأخرى: أن نقل نتاج حضارة أخرى تحكمه حاجات الحضارة الناقلة وظروف تطورها، بل إن الأفكار والمصطلحات تتخذ عند نقلها أبعاداً وجوانب لم تكن لها فى حضارتها الأصلية. عرفت الحضارات المختلفة ما ذكرناه من تعدد جنسى؛ فالإمبراطورية البيزنطية مثلاً عرفت أن تقوم بعمل شىء كان على درجة كبيرة من الأهمية، إذ إنها ضمت إليها شعوباً ذات حضارات مختلفة ونجحت نجاحاً مرموقاً فى ذلك، وإذا ألقينا نظرة على أسماء موظفيها وأباطرتها وقادتها نجد أنهم كانوا رجالاً من أصول متباينة إلى أبعد الحدود[١٧]؛ فمثلاً كان بلزاريوس القائد البيزنطى العظيم أحد الفلاحين السلاف من البلقان، وكان عدد من الأباطرة من أصل عربى كما كان عدد آخر من أصل سلافى أو من اليونانيين أو السوريين، ومن المحتمل أنه لم يكن من بينهم إمبراطور واحد ينحدر من أصل رومانى خالص،

ويبدو أن بيزنطة لم تكن تفرق فى المعاملة بين الأجناس أو بين أبناء الشعوب المختلفة، وكان فى استطاعة أى شخص أن يصبح أحد رعاياها، فإذ كان حائزاً على الصفات الضرورية وأكثرها لا تقرها الآن مثلنا العليا فى الأخلاق، مثل الدس ومعرفة استخدام السم وأمثال ذلك، ففى مقدوره أن يصل إلى مكانة كبيرة(١٨). وقد عرفت الحضارة الإسلامية هذا التنوع الجنسى، وليس أدل على امتزاج الأجناس فى الإسلام من أن طائفة كبيرة من العلماء كانوا من غير العرب، وكانت علوم التفسير والحديث واللغة فى مقدمة العلوم التى برز فيها المسلمون من بلاد خارج شبه الجزيرة العربية،ويلاحظ صاحب «شجرة الحضارة» أن المؤمنين إخوة متساوون اجتماعياً، وإلى جانب ذلك فإن أى شخص يولد فى أى مرتبة اجتماعية حتى ولو كان عبداً رقيقاً يستطيع أن يصل إلى أعلى المناصب، وهذا يتفق مع منطق الإسلام...وقد أثبت الإسلام فى جميع أدوار تاريخه مرونة غير عادية فى نظمه الاجتماعية. وهناك من يرى وحدة جنسية قديمة بين بلاد العرب وما يجاورها رداً على ما يقوله أكثر علماء الغرب بقصر العرب على الجزيرة العربية، وأنهم لم يدخلوا إلى البلاد الأخرى المجاورة إلا مستعمرين دخلاء سرعان ما استوعبتهم تلك البلاد التى كانت أعرق منهم حضارة؛ غير أن هؤلاء الباحثين ينسون حقيقة علمية هامة،وهى أن المنطقة كلها فى الأصل منطقة حضارية واحدة، وأكثر ما يسود فيها عنصر من جنس واحد هو الجنس السامى الذى يرجح أن موطنه الأصلى كان فى الجزيرة العربية، «فإذا كانت بعض البلاد قد تقدمت فى مدنيتها نظراً لعوامل بيئية أو محلية أكثر من بعضها الآخر، أو تعرضت فى أثناء تاريخها الطويل للاتصال بالحضارات الأخرى ولم يتيسر ذلك لغيرها فإن ذلك كله لا يغير شيئاً من الحقيقة، فهذه المنطقة من العالم التى يقطنها

العرب... منطقة لها كيان حضارى مستقل يسود فيه الدم العربى وتستخدم فيه العربية، وتجمع بين معظم سكانه نظم حضارية واحدة زاد من وحدتها انتشار الإسلام[19]، بل إن جرونيباوم يذهب إلى مدى أبعد فيرى تقارباً فكرياً بين العرب واليونان، على خلاف اللاتين الذين كانت تشوب علاقتهم بالعالم الإسلامى غواشٍ من الغموض؛ إذ كان المسلم يعيش فى نفس العالم البطلمى الذى يعيش فيه البيزنطى، وكان الدين محور فكر البيزنطى والعربى على السواء، ولم يكن معيار القيم لدى المسلم ولا أفكاره السياسية لتشق على فهم البيزنطى أو تستعصى على عطفه؛ وينطبق هذا القول نفسه على علاقة المسيحى اللاتينى بكل من المسلم واليونانى، غير أن نظرة العالم الإسلامى إلى اللاتين كان يغشاها الإبهام النسبى الذى جعل القرابة الأساسية فى الأفكار والاتجاهات أكثر وضوحاً بين اليونان والعرب منها بين العرب واللاتين[20]... وكان كل من المسلم والمسيحى يعد تاريخ الجنس البشرى طريقاً يصل بين يوم الخليقة ويوم الحساب، حتى إذا حدث التجلى النهائى لإرادة الله وصدق وعده بلغ التاريخ منتهاه، وما على الإنسان إلا أن يقبل رسالة الله فيحصل لنفسه على الخلاص أو يرفضها فتنزل به اللعنة، ولا يظهر التاريخ على المسرح إلا مرة واحدة فقط، فإذا جاء يوم الحساب طُوِى كتاب التاريخ إلى غير رجعة؛ فكل فكرة تقول بالدور لا تستقيم مع الهدف الذى من أجله خلق الله عالم الإنسان، وبذا تكون كل لحظة من لحظات التاريخ فريدة فى بابها وليس لها عودة، كما أن نصيب الإنسان من الزمن مرجعه إلى ما يبذله فيه من كفاح مملوء بالقلق فى سبيل خلاصه قبل أن يفوت الأوان. وإذاً فالحياة فى التاريخ تحمل للفرد الالتزام الخلقى الأسمى بإثبات حقيقة نفسه أمام الله، فالإنسان فى محنة أبدا والوحى قانونه وشرعته ونبيه

ومُخلّصه، وهو قدوته هاديه، على حين أن الشيطان، حين ينزِغ فيه إثمه الفطرى، إنما يبتغى أن يُضِلّه، حتى إذا برأه الحساب الأخير أو أدانه فَقَدَ الشيطان سلطانه، وبذلك تنتصر العدالة ويبلغ التاريخ منتهاه(٢١).

ثانياً: العرب والحضارات الأخرى:

نناقش هاهنا أمرَ تأثر العرب بعد الإسلام بحضارات الأمم الأخرى؛ إذ لا ريب فى أن فتح بلاد كبلاد فارس أتاح للفاتحين، وجلهم من العرب، الاطلاع على التاريخ الفارسى، وجعل الدولة الإسلامية وريثة تطور ذى قيمة تصورية هائلة، كما كانت الدروس التى تؤخذ عنه فى فن سياسة الدولة وتدبير الملك تفوق كثيراً تلك التى أمدتهم بها الأساطير التهذيبية التى جاءتهم عن طريق الكتب المقدسة. ومن اليونان والرومان تعلم العرب الفكر التجريدى، كما تعلموا كيف يصوغون المصطلحات التجريدية وكيف يتناولونها(٢٢)؛ ولا شك فى أن ما نقله العرب المسلمون إلى دولتهم قد اتخذ طابعاً جديداً يلائم أعراف البيئة المنقول إليها، يستوى فى ذلك فنون الإدارة والسياسة وما يتصل بالمصطلحات التى عرفتها البيئة الإسلامية نقلاً عن اليونان. ويلاحظ الدكتور تمام حسان أن مضمون الاستدلال مثلاً يختلف بحسب البيئة والثقافة والموضوع؛ فالاستدلال مصطلح يستعمل فى فروع مختلفة من العلم، فهناك مثلاً الاستدلال المنطقى والاستدلال الفقهى والاستدلال النحوى؛ وإذا كان الاستدلال المنطقى نتاجاً للفكر اليونانى فإن الاستدلال فى الفقه والنحو نتاج إسلامى خالص، وإن حمل التأثير من الاستدلال المنطقى(٢٣). والواضح أن الاستدلال على الطريقة الإسلامية بنوعيه (الفقهى والنحوى) استدلال طبيعى مباشر غير صورى، وأنه حتى مع استعمال بعض

المصطلحات المنطقية مثل «العكس» فإن الفكر في النهاية غير الفكر والتطبيق غير التطبيق، وإذا وازنا بين الاستدلال المنطقي والنحوى أدركنا أن الاستدلال المنطقي لا يعتد بما يعتد به الاستدلال النحوى من أصل واستصحاب أو استحسان أو عدم نظير، وأن الأدلة التى أطلق عليهاالنحاة أسماء تذكرنا بمصطلحات المنطق كالعكس ونحوه ربما اختلف فهمها هنا عن فهمها هناك[٢٤]. ويمثل القصص العربى أحد جوانب التأثر باليونان، فى رأى بعض الباحثين، كما يبدو فى أكثر من حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، وهى حكايات فى معظمها اختلاف عن الأصل فى بعض التفصيلات، مما يعنى أن الصورة العربية للفكرة الإغريقية ظاهرة لها دلالتها من ظواهر تكييف المادة الأجنبية وفق طرائق التفكير لدى المجتمع المستعير، ذلك التكييف الذى كثيراً ما يطمس أصول إحدى المعالم الأدبية. ومع أنه ليس من الضرورى أن نبحث عن الطريق التى تهيأ بها لقصة إغريقية أن تصل إلى يد العرب فربما جاز لنا بهذه المناسبة أن نتذكر أن الدوائر المتعلمة الشرقية ظلت تولى أشعار «هوميروس» قدراً معيناً من الاهتمام إلى زمن متأخر نسبياً؛ فقد ترجم ثيوفيلوس الرهاوى (٧٨٥م)، وهو أحد المقربين عند الخليفة المهدى وأحد مشاهير المنجمين، كتابى هوميروس إلى اللغة السريانية، وهذه الترجمة لم تكن فى أعظم الاحتمالات نسخة كاملة من الإلياذة والأودسا، ولكن لا تزال توجد، فضلاً عن هذه النسخة نصوص مقتبسة من شعر «هوميروس» فى تآليف سريانية مختلفة ومتأخرة، وإنّ تأثير الكتاب والمترجمين السريان فى الفكر العربى حتى منتصف القرن العاشر لأمر أشهر من أن يحتاج إلى أكثر من إشارة عابرة[٢٥]. وما ينطبق على الأدب العرب عامة ينطبق بدقة على ألف ليلة وليلة بوجه خاص، فهنا أيضاً نجد الموضوعات المفردة أو

الحبكات ونماذج العرض وأنواع الوجدانيات التقليدية قد تمثلها القصاص والكتاب ليزيدوا ألوان المجموعة الأصلية تلألؤاً وسطوعاً، وهنا أيضاً استلزمت الملابسات الثقافية الجديدة المغايرة، ولاسيما الجو الديني المختلف،تكييف البقايا التى كانت تنزع إلى إخفاء مصدرها الأصلى، ومن ثم لميكن بُد من نبذ العنصر الأسطورى المنقول من أقاصيص الأقدمين. وقد أقحمت الروح الواقعية العربية الأسماء الشرقية على الشخصيات الأجنبية، وأسبغت طُرُز العواطف الكلاسيكية على الحبكات الفارسية والهندية، فإن شخصيات نموذجية شهيرة فى الأدب اليونانى المتأخر كشخصية المعلم الغبى تعود فتظهر فى نفس هيئتها الأولى ولكن فى إطار قصصى جديد(٢٦). ونذكر أخيراً أن الاقتباسات الواضحة الصريحة كنقل حبكة الحوادث فى إحدى الدرامات أو الشطر الأكبر منها، إن كانت كثيرة وفيرة العدد.لقد كانت تفوقها فى الكثرة تلك الآثار الدقيقة التى خلفتها الهيلينستية عن الحياة والحب فى عقول الجمهور العربى المستجيبة. على أنه يوجد بين البقايا الكثيرة التى ترسبت فى ألف ليلة وليلة عن الأدب الكلاسيكى ثلاثة أنواع تبرز بروزاً يجعلها جديرة بالتفات خاص، هى:

١ ـ عدد قليل ولكنه هام من الروايات التى ورثها العرب.

٢ ـ مقدار أكبر نوعاً ما من التفاصيل السلالية (الإثنولوجية) والجغرافية التى تعود إلى روايات الجغرافيين القدماء أو أقاصيص البحارة. وأهم من ذلك أن النموذج الروائى للقصة الإغريقية وما به من فكرة عن الحب تنعكس صورهما فى حكايات ألف ليلة، وأن الطريقة الخاصة التى كان العصر الهيلينستى وورثته يعالجون بها الحب والمحبين كانت من أكبر

العوامل فى تطور فكرة العرب عن الحب كما تتجلى فى الشعر والنثر، سواء منه ما كان فى ألف ليلة وليلة أو فى غيره(٢٧).

ثالثاً: الفلسفة والتاريخ: بين الترجمة والإبداع

يردد بعض الغربيين، كما أشرنا، أن الفكر العربى الإسلامى لم يكن له إلا فضل ترجمة آثار اليونان والرومان فى العلوم، دون أن يزيد فيها شيئاً حتى أُسلمت إلى أوربا فى القرن الخامس عشر؛ ويشير بعض الباحثين(٢٨) إلى أن هذه قضية أو زعم ينقصه الدليل ليكون حقيقة، بل إن الأدلة كلها تتجمع على نقضها، فإن العرب لم يكونوا نقلة بل إنهم ناقشوا ونقحوا وصححوا وزادوا فيما وصل إليهم، وكان لهم رأى أصيل. وقد سجل «روم لاندو» فى كتابه «الإسلام والعرب» فضل العرب على علوم الرياضيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والطب والنبات والآداب والفنون والفلسفة والموسيقى والصناعة والزخرفة والعمارة(٢٩). ويقول «ليبرى: «لولا العرب لتأخر عصر التجديد فى أورباعدة قرون، فقد لمع العرب فى كل الميادين العلمية، وفى الوقت الذى كان فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فى نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية كان العلماء فى كل الميادين يقومون بقسطهم فى البحث والنقل والتجويد، ولم يدَعوا باباً إلا طرقوه، إن لم يكونوا قد فتحوا فى العلم أبواباً جديدة(٣٠) ويقول «كاجورى» إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب فى الجبر، وقد سبق علماء العرب بنظريات تنسب إلى زمن متأخر عنهم، على غرار ما نلاحظ مثلاً من تشابه واضح بين نظرية «أينشتين» فى النسبية وآراء الفارابى فيها، وأورد الدكتور «هوى لين» من جامعة بنسلفانيا الدلائل على أن البحارة العرب سبقوا إلى اكتشاف القارة الأمريكية؛ إذ قاموا قبل

عام ١١٠٠م من الطرف الغربى للعالم الإسلامى فى ميناء الدار البيضاء ورسوا بسفنهم فى مواضع على طول الساحل الشمالى لأمريكا الجنوبية. وقد أشار «جول لاجوم» إلى أن العرب عرفوا التشريح ومارسوه وكان أطباؤهم فى القرن العاشر يعلمون تشريح الجثث فى قاعات مدرجة خصصت لذلك فى جامعة صقلية، واكتشف ابن النفيس الدمشقى المصرى الدورة الدموية، ونقلها «هارفى» وانتحلها لنفسه. وقال «وليم أوسلر: «لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا جميعاً شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض. ويقول غير هؤلاء إن العرب لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخاً، ولكنهم جمعوا بين المَصدرَين ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية، فالابتكار العلمى فى الحقيقة هو حِياكة خطوط المعرفة فى نسيج واحد[٣٢]، وإن أوربا لتحمل دَيْناً مزدوجاً للعرب، فقد حافظوا على التراث الفكرى والعلمى الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ونقلوه إلى أوربا، ومن العرب نقلت أوربا طريقة جديدة فى البحث تضع العلم أولاً وتنادى بوجوب البحث المستقل والتجربة[٣٣]. والمعروف أن اسم اليونان القديمة لا يكاد يرد له ذكر إلا مقترناً بالفلسفة، والعكس صحيح، سواء ذكرت الفلسفة بهذا اللفظ أو بلفظ الحكمة؛ وقدمنا أن بعض الباحثين، ولاسيما القدماء منهم، درج على اختصاص بعض الأمم والأجناس بعلوم بعينها، ولم يختص العرب، فى إطار هذا التصنيف، بالنظر الفلسفى الشامل للعالم والأشياء، حتى المعدودين من الحكماء فيهم ـ وهم شرذمة قليلون ـ يغلب عليهم الفطرة والطبع والنظر الجزئى[٣٤]. والأمر الذى ينكره بعض الباحثين الغربيين أن الفلسفة اليونانية مع معارف أخرى كانت مما تأثر فيه الإغريق والرومان بحضارات سابقة عليهم فى آسيا وأفريقيا، مثل حضارة

بابل والحضارة الفرعونية؛ لقد سلفت الإشارة إلى ماقرره صاحب «قصة الحضارة» من خطأ اعتبار الثقافة اليونانية والرومانية غير مسبوقة ولامتأثرة بحضارات سابقة، وأنها المصدر الوحيد الذى استقى منه العقل الحديث(٣٥). لقد أثرت الثقافات القديمة فى اليونان، وأثرت الفلسفة اليونانية فى الفكر العربى، ولكن ليس إلى حد الزعم بأن الفلسفة هى فلسفة اليونان مكتوبة بحروف عربية، فهذا زعم تدحضه دلائل منها:

١ ـ إقرار اليونان فى غير موضع بأنهم تلاميذ المصريين وأن زيارة مصر كانت واجبة على كل مثقف يونانى، وقبل أن يولد سقراط وأفلاطون كانت هناك الحضارة الفرعونية ذات الفنون والعلوم مثل فن التحنيط الذى كان يقوم على نظرية خلود النفس الذى نادى بها سقراط بعد ذلك بزمن طويل. وقد أخذ اليونان عن الشرق القديم الموسيقى والحساب والهندسةوعن البابليين الفلك، ونبتت جذور الفلسفة فى الشرق القديم قبل أن تظهر فى بلاد اليونان بقرون عديدة؛ البضاعة إذاً قديمة، وإن أضاف إليها اليونان وعرفوا بها(٣٦).

٢ ـ أن الفكر العربى الإسلامى عرف الفلسفة اليونانية بعد ظهور الإسلام بقرنين من الزمان، أى بعد اكتمال مقوماته ووضوح معالمه، وامتاز هذا الفكر بدرجة من التفتح تحول دون رفض أى فكر مغاير أو فلسفة، ما دامت لم تنل من جوهره، كما تمتع بنضج يجعل من العسير أن يقبل ما يعرض عليه بغثه وثمينه دون دراسة وتمحيص.

٣ ـ أن فلاسفة المسلمين اتبعوا مبدأ الانتقاء بعد الدراسة والفهم، ولذا فإنهم رفضوا مثلاً التماثيل والصور من الفكر الهيلينى، وأعرضوا عن ترجمة الأدب الإغريقى الذى يقوم قسط كبير منه على فكرة تعدد الآلهة

وصراعها مع البشر، كما أن فلاسفة المسلمين رفضوا رأى أرسطو فى الخالق؛ إذ إنه جرده من كل فعل، فهو عنده المحرك الذى لا يتحرك، واصطنع فلاسفة المسلمين فلسفة إسلامية تلائم عقيدة التوحيد(٣٧).

٤ ـ وقد اتصفت الفلسفة الإسلامية بقدرمن الوضوح إذا قورنت بما عُرِفت به الفلسفة اليونانية من غموض جعلها وقفاً على الخاصة، غير أن الفلسفة الإسلامية يسرت الأمر وأنزلت الفلسفة من السماء إلى الأرض، كما يقول بعض الباحثين، وصار متاحاً لكل إنسان أن يُعمِل فيها فكره بالبحث والتفكير والتأييد والمعارضة، واستدرك العرب المسلمون على اليونان أخطاء كثيرة وأصلحوا أموراً سبق بها اليونان مثل نظام بطليموس فى الفلك، وما كشفه الجاحظ وجابر بن حيان من أخطاء لأرسطو، كما أن ابن سينا عارض رأى أفلاطون فى النفس، بل إن علماء العرب والمسلمين أحالوا بعض المعارف اليونانية المنقولة عن المصريين والبابليين من الخرافة إلى العلم الصحيح، وبخاصة فى مجال النجوم وارتقوا بالجِبر من صورته الأولية المأخوذة عن اليونان فعمقوه وارتقوا به درجات، قَل مثل ذلك عن الكيمياء، والأرقام الحسابية والصفر وبناء المعادلات البسيطة والمركبة. ويظهر أن منشأ الفلسفة فى الأندلس كمنشئها فى المشرق؛ فقد نشأت الفلسفة فى المشرق من الطب والتنجيم لعناية الخلفاء بهما، إذ كانوا يحتاجون إليهما كثيراً، وكان بعضهم يؤمن بالتنجيم وبما سيحدث فى الكون وكان من الموظفين الرسميين أطباء ومنجمون، وكان الطب والتنجيم عند اليونان فرعين من فروع الفلسفة كالطبيعيات والإلهيات.. والاشتغال بالطب والتنجيم يسلِم إلى الفلسفة لأن الطب يحتاج إلى معرفة النباتات وخصائصها والعقاقير وما إليها، ومتى سار الطبيب فى ذلك احتاج إلى المنطق لمعرفة الأقيسة والاستنتاجات الصحيحة فى معالجة

الأمراض، ومتى اتصل بذلك اتصل بجالينوس وأفلاطون وأرسطاطاليس فاتصل بالفلسفة اليونانية، كذلك من اشتغل بالنجوم اتصل ببطليموس ورأى نفسه محتاجاً إلى رياضة دقيقة وهندسة عميقة فاتصل بإقليدس وفيثاغورث، ثم اتصل بأفلاطون وأرسطو كذلك؛ ولذا نرى الفلاسفة الأندلسيين الأولين أطباء فقط مثل الكرمانى وأبى جعفر أحمد بن خميس وحنيد بن أبان، أو منجمين مثل ابن السمينة ومسلمة بن أحمد المجريطى والزهراوى وغيرهم(٣٨). وكان حكام القسطنطينية يهدون إلى خلفاء بنى أمية فى الأندلس بعض الكتب الفلسفية والأدبية وقد ذكر أن كتاب ديسقوريدس فى النبات كان ترجم فى بغداد أيام المتوكل، ترجمه اسطفن بن بلسيل من اليونانية وصحح الترجمة حنين بن إسحق، وقد وضع اسطفن للكلمات اليونانية أسماء عربية للنباتات التى يعرف لها اسماً عربياً وما لم يعرفه تركه(٤٠). وبرزت أعمال تتصف بالاستقلال والأصالة للمفكرين المسلمين، مما جعلهم موضع التأثير فى فلاسفة أوربا وعلمائها، ومن هؤلاء فى مجال الفلسفة ابن سينا وابن رشد وابن ماجة والغزالى وابن طفيل؛ وقد تأثر بابن سينا مثلاً ألبرت الكبير (١١٩٣م)، كما تأثر به القديس توما الأكوينى (١٢١٤م)، ومتى الأكواسبرطى (١٣٠٢م) وديتريتش الفريبورجى (١٣١٠م)، وأما ابن رشد (١١٩٨م) فقد أثر فى الفكر الأوربى تأثيراً بالغاً، ولم تكن شروحه لكتب أرسطو إلا وسيلة لإبراز آرائه الاستقلالية(٤٠). ولعل الأثر البالغ لفلسفة ابن رشد على الفلسفة الأوربية هو مبدأ حرية الفكر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة، مما أثر فى تعاليم الكنيسة وحملها على تحريم قراءة آرائه بل الأمر بحرق كتبه(٤١)، وأثر الغزالى (١١١١م) بنظريته فى إخضاع العقل للدين والفلسفة للفقه، وكذلك ابن ماجة (١١٣٦م) الذى بنى التفكير الفلسفى

على الرياضيات والطبيعيات؛ ثم جاء ابن طفيل (١١٥٨م) الذى بحث فى رسالة حى بن يقظان نشأة الإنسان الطبيعية وتطور العقل الإنسانى تطوراً طبيعياً بلغ به أعلى مراتب المعرفة(٤١). ويمثل المعتزلة أصحاب الاتجاه العقلى مثالاً للمزج بين الفكر الدينى والمنهج الفلسفى؛ فقد نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب الملل ولجدال أصحاب الفرق الإسلامية من جبرية ومرجئة وخوارج وشيعة، إذ كانوا يقفون فى السياسة موقفاً محايداً... ونراهم يأخذون أنفسهم بثقافة عربية أصيلة مضيفين إليها ألواناً من الثقافة الأجنبية، وبخاصة من الفلسفة وما يتصل بها من المنطق، حتى ليقول الجاحظ (الحيوان، طـ. الحلبى ٢/١٣٤)، لا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً فى الصناعة، يصلح للرياسة حتى يكون الذى يحسن من كلام الين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا (يريد المعتزلة) هو الذى يجمعهما... وأفادوا من الفلسفة أن نظّمت عقولهم تنظيماً دقيقاً وأن جعلتهم يحسنون استنباط الآراء وخصائص الأشياء، كما جعلتهم يقتدرون على إيراد الحجج والبراهين وتشعيب المعانى وتفريعها(٤٣).

٥ ـ ظل المتفلسفون طوال القرن الثالث الهجرى يرددون ما عرفوه من قواعد البلاغة عند أرسطو وفلاسفة اليونان، وتجرد منهم من يحسنون الترجمة عن اليونانية، وربما عن السريانية، لنقل خلاصات لكتابى الشعر والخطابة لأرسطو إلى العربية، حتى يقف المحافظون من اللغويين ومن ينتظمون فى صفوفهم على مقاييس البلاغة اليونانية. وكان ممن اتجه هذا الاتجاه قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) مؤلف كتاب «نقد الشعر» الذى اشتهر بين معاصريه بثقافته العميقة بالفلسفة والمنطق. ونرى ثقافة قدامة الفلسفية تدفعه إلى التصنيف فى السياسة وصناعة الجدل... ويبدو أن

قدامة ألف كتابه مُحادّةً لابن المعتز وغيره ممن يجرون فى إثره ضد المتفلسفة وما يلوكونه من مقاييس البلاغة عند اليونان، ويبدو تأثر قدامة بالفكر اليونانى فى تنظيمه للكتاب...كما أنه يستمد مباشرة من منطق أرسطو ما ذكره عن الحدود والتعريفات وأجزائها التى تتكون منها، إذ تتكون من جنس وفواصل تصور جوهر ما تُعرِّفه وعناصره التى تؤلفه(٤٤).

ويبدو الاتجاه المتأثر بالفلسفة والمنطق كذلك عند إسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب فى كتابه «البيان» الذى يؤكد د. شوقى ضيف أنه الاسم الحقيقى لكتاب «نقد النثر» المنسوب لقدامة. [راجع: البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٣ وما بعدها]، وفى كلامه ما يشى بأنه ألفه معارضة لبيان الجاحظ، وقد وصفه بأن مسائل البيان فيه تختلط بالنماذج الأدبية اختلاطاً يجعلها غير واضحة، بل قال إن الكتاب يخلو من وصف البيان ومن تمييز أقسامه، وكأنه يريد أن يقول إن البحث فى البيان ليس من شأن المتكلمين من أمثال الجاحظ وإنما هو شأن المتفلسفة الذين استوعبوا استيعاباً دقيقاً كتابات أرسطو فى المنطق والجدل والخطابة والشعر، ويؤخذ عليه أنه أوغل فى الاستعارة من التفكير اليونانى وفى ضغط الكلام بحيث غلب على كلامه الغموض بل الاستغلاق(٤٥). ويعيب بعض الباحثين تأثر علماء اللغة والنحو الأقدمين وكذلك الباحثين فى خصائص العربية وفكرها بالمنطق الأرسطى الذى لم تقف عدواه عند حدٍّ، فكان لها أثر فى علم الكلام والفقه مثلما كان لها أبلغ الآثار فى دراسة اللغة، والأدلة على هذا التأثر لا تحصى عدداً، وأوضح مثال لذلك تعليلهم مقاييس العربية وأنها على وجه الحكمة كيف وقعت أنها «أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين... وذلك أنها إنما هى أعلام وأمارات لوقوع الأحكام،

ووجوه الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا»[٤٦] . وانتقلت عدوى المنطق الأرسطى أيضاً إلى العربية عند تطبيق المقولات العشر على أبواب النحو ومباحثه، ومن المعلوم أن هذه المقولات هى: الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والملكية والقابلية والفاعلية[٤٧]. وأما تدوين التاريخ فإن العرب قبل الإسلام لم يعرفوه بصورته العلمية، بل عرفوا شيئاً من سرد الأخبار التاريخية تختلط فيه الحقائق والأساطير، بما يجعل التمييز بينها من الأمور الشاقة للافتقار إلى مدونات تُتَّخذ مراجع عند المقابلة والتمحيص والموازنة والتحقيق، وكان غالب هذه الأخبار يدور حول أيام العرب وحروبهم قبل الإسلام وأنسابهم وأخبار بعض القبائل البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس، وشذرات مما يسمعون من أخبار التوراة والإنجيل والتلمود. ولم يكن العرب أمة بدائية فى الجاهلية، فقد كان العصر الجاهلى فترة طويلة الأمد بين حضارات العرب القديمة فى اليمن وبتراء وتدمر والحيرة وبين الحضارة الإسلامية، لم تكن الكتابة فى العصر الجاهلى واسعة الانتشار، ولكنها لم تكن مجهولة كل الجهل بل شاع تدوين العقود والمواثيق والصكوك والرسائل، غير أن العقلية الجاهلية كانت أقدر على قرض الشعر منها على معالجة كتابة التاريخ، وكانت عقلية شديدة التعصب للقبلية نزّاعة إلى الأسطورة والخرافة قليلة الصبر على المراجعة والتحقيق، متشبعة بروح عصرها وتقاليده، معتزة بعروبتها، محتقرة لغيرها من الأمم، ومثل هذه الحالة مما لا يعوق قرض الشعر، بل مما يحفز إليه لأن فيها ما يثير العاطفة والخيال، غير أنها عقبة فى طريق النضج الذى تستلزمه الكتابة التاريخية[٤٨]. بيد أن الأمر تغير فى العهد الإسلامى، إذ شُغِل المسلمون بالفتوح حتى استقر الأمر للإسلام، ولما هدأت الغزوات وحدث شيء من الاستقرار جعل المسلمون يتجهون

إلى إثبات الأخبار وتسجل الأحداث فأقبلوا على جمع الأحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم؛ نشأ التاريخ الإسلامى إذاً استجابة لحاجة المجتمع الإسلامى، ولم يصدر المؤرخون فيه عن تأثر باليونان أو بغيرهم، ويبدو أن مؤرخى العرب لم يعرفوا كتب التاريخ اليونانية أو الرومانية لأن شيئاً منها لم ينقل إلى العربية، ولهذا نشأت كتابة التاريخ الإسلامى على غير مثال سابق. ولم يكن مؤرخو الإسلام فى غالب الأمر مؤرخين رسميين تكلفهم الدولة الرجوع إلى الوثائق وجمع الأسانيد، بل كانوا يتقدمون بمؤلفاتهم إلى المجتمع الإسلامى، ولم يكونوا يعيشون فى كنف الأمراء، ولم تخل كتابتهم من التأثر ببيئتهم ونزعتهم المذهبية، ولكن حظهم من النزاهة كان موفوراً، فهم لم يكتبوا التاريخ إرضاءً للخلفاء والأمراء، وإنما كتبوه بدافع من ميلهم إلى البحث التاريخى وخدمة المجتمع الإسلامى بوجه عام. وقد امتزج التاريخ فى أول الأمر برواية الحديث وتفسير القرآن لأن المسلمين كانوا فى حاجة إلى تحقيق مناسبات الآيات واستقصاء ظروف الأحاديث فعمدوا إلى جمع أخبار السيرة النبوية التى تعين كذلك على فهم بعض ما غمض عليهم فى القرآن الكريم، وقد دعاهم أمر تمييز الصحيح من المَوْضُوع فى الحديث إلى دراسة طبقات المحدثين، كما حرص المسلمون على فهم إشارات القرآن الكريم إلى الأمم السابقة وأنبيائها، فاستعانوا على ذلك بمصادر منها روايات اليهود والنصارى التى ضمها بعض المؤرخين والمفسرين إلى كتبهم، فيما عرف بالإسرائيليات(٤٩)، وكان من أشهر من أخذ عنهم كعب الأحبار (٣٤هـ) ووهب بن منبه (١١٠هـ). كذلك كان النظام المالى للحكومة الإسلامية الباكرة مما ساعد على تنشيط كتابة التاريخ لاختلاف الخراج الذى كانت تؤديه البلاد المفتوحة بحسب فتحها صلحاً أو عنوة أو بعهد وبحسب

الأحداث السياسية والاجتماعية التى واكبت الفتح، وكان نظام العطاء يستلزم كذلك معرفة الأنساب والسوابق فى الدفاع عن الإسلام ونشر دعوته. وقد أثار كل ما سبق الوعى التاريخى عند المسلمين وأدى إلى تكاثر الكتابات التاريخية، وبدأ تدوين بعض الأخبار المتناثرة الدائرة على أفواه الرواة فى رسائل موجزة فى عهد معاوية؛ ويبرز فى هذا المقام أربعة رجال فى أوليات الكتابة التاريخية وهم زياد بن أبيه ودغفل النسابة وعبد الله بن عباس وعبيد الله بن شَرِيَّة، وبعد ذلك جاء دور كتب السير والمغازى وهى أقرب إلى كتب التاريخِ الصحيح مما سبقها، وذلك لاعتمادها على الأحاديث النبوية التى يُتحرَّى فى جمعها الصحة وتلتزم الدقة، مما رفع مستوى الكتابة التاريخية. ومن أعلام كتب المغازى والسير أبَّان بن عثمان ووهب بن منبه ومحمد بن مسلم الزهرى وابن هشام الذى اختصر سيرة ابن إسحق، ثم يبرز فى القرن الثانى الهجرى من مؤلفى التاريخ والسير على ابن محمد المدائنى الذى ألف فى صفة النبى وفى عهوده (ﷺ) وفى أخبار المنافقين وأخبار قريش وأخبار الخلفاء، كما يبرز فى هذا القرن الثانى الواقدى محمد بن عمر صاحب «المغازى» و«أخبار مكة» و«السيرة» و«فتوح الشام». وتدل أكثر القرائن على أن التاريخ الإسلامى كما أسلفنا نشأ مستقلاً غير متأثر بما كتبه أعلام المؤرخين اليونان أو الرومان، فلم يعرف العرب أمثال هيرودوت وتوكوتيدوس وزيتوفون عند اليونان، وليفيثوس وتاسيتوس عند الرومان، وكانت نشأته كما ذكرنا استجابة لمطالب العالم الإسلامى وحاجاته وتطوراته؛ وقد أقر بعض المستشرقين بما عرف عنه التاريخ الإسلامى من الدقة فى تسجيل الحوادث وتأريخها بالسنة والشهر واليوم، وهو أمر لم تعرفه أوربا قبل عام ١٥٩٧م، كما أن التاريخ الإسلامى امتاز بالإسناد

وهو إرجاع الرواية التاريخية إلى شاهد عيان، وفى سبيل تحرى صحة الأحاديث المنسوبة إلى النبى (ﷺ) نشأ نوع من التحقيق يقوم على فحص سلسلة الإسناد وتتبع كيف وصل الحديث إلى كل جيل من الأجيال المتوالية، وكان دارسو الحديث فى بادىء الأمر هم المؤرخين، ولكن التاريخ استقل بالتدريج عن علم الحديث وصار الإخبارى غير المحدث(٥٠). أما عند اليونان فإن الأمر فى الكتابة التاريخية يختلف؛ فهى أسبق زمناً منها عند العرب، إذ بدأت فى القرن السادس ق. م، كما أن أولياتها كانت أقرب إلى الأدب الأسطورى منها إلى التسجيل التاريخى وقياس الزمن، إذ إن ظهور هوميروس قد سبق ظهور هيرودوت بزمن طويل، بل إن ذلك يمتد إلى بدايات عصر النهضة، إذ ظهر دانتى فى إيطاليا قبل ظهور اسجويكشيارديني ومكيافيللى، وأظهر شكسبير براعة فى تصوير الشخصيات والمواقف قبل أن يظهر عند الإنجليز مؤرخون يجيدون كتابة التاريخ، ولم يستطع العقل الأوربى فى الإقبال على الكتابة التاريخية أن يتخلص من قيود التقاليد وأغلال الأساطير والأوهام والخرافات إلا بعد محاولات استغرقت زمناً وسارت فى بطء شديد(٥١).

غير أن هناك من يلتمس أوجهاً للالتقاء بين حضارتى الإسلام واليونان فيما يتعلق بالتاريخ؛ فالتاريخ ينبئ بالحكمة والموعظة وهو يمدنا بمادة لا ينضب معينها نستخدمها فيما نسطر من ضروب النصح والتحضيض، وليس المؤرخ بحاجة إلى أن يذكر الدرس الذى تلقيه الأحداث التى يعرضها على القراء، ولكن ينبغى ألا يُسقط أىَّ شىء، والخليقة هى نقطة البداية عند المؤرخ البيزنطى والمؤرخ العربى على السواء، أجل إن أبطال القصة عند المسيحى والمسلم قد تكون أدوارهم طوال رحلاتهم على

مسارح مختلفة، ولكن التمثيلية واحدة(٥٢). وكان لنظرة الطرفين المشتركة إلى التاريخ، كما كان للعواطف والاتجاهات التى كانت تتولد عن هذه النظرة، أثر كبير فى تماثل الجو الخُلُقى السائد فى كل من القسطنطينية وبغداد،ولا مراء فى أن العادات المرعية والمحظورات كانت تختلف اختلافاً بعيداً، غير أن المعايير الخلقية كما تتجلى فى وصايا الآباء وفى النصائح الموجهة لغير ذوى الخبرة من الناس وآراء القادة الروحيين كانت فى الأغلب الأعم تلقى القبول بدرجة سواء على جانبى خط الحدود الفاصل بين العقيدتين، وكان كل من الطرفين فى العصر الوسيط مولعاً باستخلاص العظات الأخلاقية، وكانوا فى كل من المكانين ينتجون مجموعات ضخمة من مؤلفات تتسم بطابع التهذيب والإرشاد، كما أنه فى كل من القطرين كانت تقلبات القدر والتعقيدات العجيبة للطبيعة البشرية تلاقى الاستجابة الفردية غير الحاسمة إلى حد ما. ولكم حاول الرومى والعربى أن يصوِّرا عدم الاستقرار الرهيب الذى فطر عليه كل شيء إنسانى، وكأنى بالخليفة معاوية (٦٦١ ـ ٦٨٠م) عندما قال: معروف زماننا منكَر زمان مضى، ومُنكره معروف زمان لم يأت بعد، قد وصل إلى هذه النتيجة من كلمات جريجورى النازيانى إذ قال: ليس فى شئون البشر شيء ثابت ولا شيء متزن ولا شيء دائم ولا شيء يبقى على حاله، وكأنى بشئوننا تدور كأنما تلف فى دائرة، فكل يوم يحدث تغييراً بل كل ساعة أحياناً(٥٣). وكثيراً ما كانت تسيطر على كل من القسطنطينية وبغداد موجات قوية من الأفكار أو العواطف المتماثلة، فالروح التى ألهمت المعتزلة فى الإسلام هى التى ألهمت وراء الحدود الإسلامى أصحاب فكرة تحطيم الصور والتماثيل، كانت المسائل التى تستهوى البيزنطى والعربى وتشغل عقليتهما واحدة(٥٤).

رابعاً: الآثار اللغوية للاتصال بغير العرب١/١ :

عرف العرب فى شبه الجزيرة بدوهم وحضرهم قبل الإسلام وبعده أشكالاً عديدة من الاتصال بالأمم الأخرى، لأسباب منها التجارى ومنها السياسى، وكان لذلكم كله أثره الواضح فى مظاهر حياتهم، كما كان له تأثيره فى لغتهم، وبخاصة فى مستوى المفردات الذى يعد أشد مستويات اللغة وأسرعها تأثراً بالاحتكاك باللغات الأخرى، بخلاف المستويات اللغوية الصوتية أو البنيوية أو التركيبية، وهو ما أدى ببعض باحثى اللغة إلى القول بأن وجود مفردات أجنبية فى اللغة أمر لا ينبغى أن يحسب عليها، ذلك أن الإنسان لا يتكلم فى الوقت الواحد إلا لغة واحدة وأن وحدة اللغة تستقر بكل بساطة فى شعور المتكلم، ولا عبرة بعد ذلك بما يكتشفه التحليل فى هذه اللغة من عناصر أجنبية، ولندع جانباً استعارة المفردات التى تتبادلها اللغات فيما بينها، فمن خصائص هذه المستعارات أنها لا تحتم كون المتكلم بها يتكلم اللغة التى استعيرت منها أو حتى يعرفها... فاستعارة المفردات مهما اشتد أمرها يمكن أن تظل مسألة خارج اللغة(٥٥)، وذلكم أمر تسهل ملاحظته فى حياتنا اليومية؛ إذ تدور على ألسنتنا ألفاظ أجنبية كثيرة تنتمى إلى لغات مختلفة يستوى فى نطقها من يعرف أمرها ومن يجهله، ولا يكاد كل أولئكم يشعرون أنهم يستعملون لفظاً مستعاراً غير عربى، إذ إن ذيوع اللفظ الأجنبى يكسبه إلفاً ينفى عنه ما قد يبدو فى أصواته أو صيغته من غرابة. وأما النظام الصوتى فإنه يستقر منذ الطفولة ويستمر طول الحياة؛ فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التى تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته، اللهم إلاأن يحدث له عارض ناتج من التعليم، وذلك فى حالة أن يتلقن نطقاً أجنبياًيحل محل نطقه القومى. النظام الصرفى ثابت أيضاً؛ نعم إن استقراره يتطلب وقتاً

أطول ولكنه بعد أن يستقر لا يعتريه تغير يذكر، ذلك بأن الصرف لا يتغير فى أثناء جيل واحد، بل هو كالصوتيات إنما يتغير فى الانتقال من جيل إلى جيل، فالنظام الصوتى والنظام النحوى إذا ما اكتسبا مرة واحدة بقيا طول العمر ويدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنية المتكلم، أما المفردات فعلى العكس من ذلك لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف، فكل متكلم يكون مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فهو يزيد من مفرداته، ولكنه ينقص منها أيضاً ويغير الكلمات فى حركة دائمة من الدخول والخروج(٥٦). ومن أهم اللغات التى أثرت فى اللغة العربية قديماًكل من اللغة الفارسية واللغة الحبشية واللغة الآرامية، والسبب فى تأثيرهذه اللغات بالأخص فى العربية هو أنها كانت لغات الأقوام المتمدنة المجاورة للعرب فى القرن السابقة للهجرة، ولغة المملكة المخاصمة للفارسية وهى اللغة الرومية واليونانية وإن لم تباشر العربية فقد أثرت فيها بواسطة لغات أخرى وبالأخص الآرامية، وكان ذلك من الواجب لأن اليونانية مع كونها اللغة الإدارية فى مملكة الروم كانت أيضاً لغة الحضارة العليا حينئذ ولغة الفلسفة والعلوم، لا نظير لها فى زمانها. والحضارة اليونانية لما فتحت الشرق صادفت حضارة أدنى منها، ولكن أقدم بكثير وهى الحضارة الشرقية القديمة، فلم تفنها بل امتزجت بها فبقيت آثار لغتها؛ وهى الأكادية وقبلها السومرية كثيرة فى اللغات الشرقية، ومن العجيب أن القبطية لا يكاد يكون لها أثر فى اللغة العربية(٥٧).

وقد ظهر أثر الاستعارة من النظم اللغوية الأخرى فى شعر المعلقات وهو يمثل فخراً للشعر العربى الجاهلى، بل هو مرتبته العليا، إذ تضم القصائد المعلقات طائفة كبيرة من الألفاظ المنقولة من لغات أخرى

احتكت بها العربية فى فترات زمنية طويلة، فدخل بعض هذه الألفاظ فى نسيج العربية وتَصَرَّف كألفاظها وبقيت آثار العُجمة فى بعض، فجرت عليه أحكام خاصة فى الإعراب والتصرف، مثل بعض أنواع الممنوع من الصرف؛ وقد أثار أمر الدخيل من الألفاظ فى القرآن الكريم جدلاً واسعاً بين العلماء امتد عبر القرون، واختلفت فيه الآراء بين مؤيد للقول بوجود الدخيل فى النص الكريم وبين منكر لذلك، وساق كل فريق ما يعضد مذهبه فى هذه المسألة.

٢/١ تؤدى العلاقات بين الشعوب وما ينشأ من أنواع احتكاك عديدة إلى تأثير لغاتها بعضها فى بعض، وهو مما لا يمكن إنكاره، كذلك من المستحيل التصدى له أو منع وقوعه، بل إن أمره كما يقرر بعض اللغويين مظهر حياة للغة وعلامة ازدهار لها ونمو؛ إذ إن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهى أبدا متطورة متجددة يؤثر فيها الزمان والمكان. وقد خضعت اللغة العربية لسنة التطور، فتنوعت أساليبها وماتت فيها ألفاظ وجَدَّت أخرى، ودونَك الكثير من ألفاظ الشعر الجاهلى التى صارت متحجِّرات لغوية، إن جاز هذا القول، والتى لا نجدها حتى فى القرآن الكريم والحديث الشريف ولغة الأدب فى صدر الإسلام(٥٨)، ذلكم أمر فرضه تغير الزمن. أما تأثير المكان فإنه يبدو واضحاً عندما يحدث نزوح عناصر أجنبية من موطنها إلى مكان آخر غيره إثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة، فينشأ صراع بين لغتين تنتصر إحداهما فتسود أو لا تنتصر أيهما فتتعايشان، وحتى فى حال الانتصار لا تتم السيادة بين عشية وضحاها، كما أن أصحاب اللغة المنتصرة قد يكونون أقلية، وقد يستغرق الأمر قروناً قبل أن تحسم المعركة لإحدى اللغتين(٥٩).

تقص علينا حوادث التاريخ أن من المغيرين من سادت لغتهم وهم

أقلية، مثلما حدث فى غزو الرومان أصحاب اللاتينية لإيطاليا وأسبانيا وفرنسا، وغزو الآراميين للبلاد الناطقة بالأكادية والفينيقية والعربية، وكذلك فتوح العرب فى آسيا وأفريقيا حيث تغلبت العربية على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات البربرية والقبطية والكوشيتية، فصارت العربية لغة الحديث والكتابة فى معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفى مصر وشمال أفريقيا وفى جزء كبير من القسم الشرقى لشبه الجزيرة المتاخم لبلاد الحبشة، ومع أن العرب فى هذه البلاد كانوا أقلية بالنسبة للسكان الأصليين؛ وبرغم ما كان يتمتع به العرب من قوة الشوكة ورقى اللغة واتساع الحضارة وحماية الدين وسطوة الغالب لم يتم النصر للعربية على القبطية والبربرية إلا بعد أمد طويل، على أن اللغة القبطية لم تزل تستخدم فى الكثير من الطقوس الدينية الأرثوذكسية، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضع آخر وقلنا إن التحول إلى العربية استغرق قرابة القرن على المستوى الرسمى المتعلق بالدواوين، وتدرج التحول فى لغة الحديث خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، حتى إذا كان القرن الرابع كانت غالبية المصريين تتحدث العربية ولا تفهم القبطية، بدليل أن رجال الكنيسة أنفسهم اضطروا كما أشرناإلى إلقاء مواعظهم بالعربية أو ترجمتها من القبطية، ولا يعنى ذلك أن القبطية كانت انقرضت كل الانقراض، فالحقيقة أنها ظلت باقية على الألسنة فى بعض المناطق زمناً طويلاً بعد ذلك، بدليل ما يذكره المقريزى من أن المأمون كان ينتقل فى ريف مصر ومعه مترجم (٢١٧هـ)، وما يذكره صاحب «أحسن التقاسيم» (٣٧٥هـ) من أن بعض نصارى مصر كانوا يتحدثون القبطية[٦٠]؛ أما فى شمال أفريقيا فإن اللغات البربرية لا تزال إلى وقتنا الحاضر لغة محادثة لدى بعض العشائر فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا[٦١].

٣/١ من المتوقع عقلاً أن تكون مفردات اللغة أكثر جوانبها تأثراً باحتكاكها باللغات الأخرى[٦٢]، وهذا القول إذا كان يصدق على مستخدم اللغة فى موطنه فإنه يصير أصدق فى حال من ينتقل إلى بيئة جديدة يصادف فيها غيرما كان يألف من أناس وأحوال اجتماعية ونفسية وأصوات ومفردات، وتلجئه الحاجة للتواصل إلى أن يفهم الناس ويفهمه الناس وأن يقترب منهم بلغته ومفرداتها، وإن كان ذلك يتم ببطء وفى حالة هى خليط من أفعال مقصودة وأخرى تلقائية. وقد سجلت العربية تفوقاً على لغات الأمم التى انتقل إليها العرب بلغتهم أو انتقل بعض ناطقيها إلى مواطن العربية، وهو تفوق شابه وانتقص منه مظاهر تأثر باللغات الأخرى، على نحو ما يحدثنا الجاحظ فى «البيان والتبيين» وما سجلته كتب لحن العامة والخاصة والكتب الموسومة بأدب الكاتب، من مظاهر خروج على الفصحى فى أمور صوتية وصرفية، بل نحوية ودلالية كذلك[٦٣]. وينص الجاحظ على أن بعض الأعراب كانوا يتملحون بأن يدخلوا فى شعرهم شيئاً من كلام الفارسية، كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها:

من يلقه من بطل مسرند

فى زغفة محكمة بالبرد بين راسه والكرد

كما قال يزيد بن مفرغ:

آب است نبيذ است

عصارات زبيب است سميه

روسبيد است[٦٤]

وغير تلكم شواهد حملت ما لا يخفى من مغزى، إذ تدل على تغلغل الألفاظ الفارسية فى نسيج كلام عربى أنشأه أعراب، ولابد أن حظ هذه الألفاظ وغيرها من الإلف والشيوع بين الناس كان عظيماً، والمؤكد أن

لغة الحياة اليومية آنذاك كانت تحفل بما لا يحصى من الكلمات الفارسية وغيرها؛ بل إن الجاحظ يروى عن بعض القصاص، وهو موسى ابن سيار الأسوارى أنه كان من أعاجيب الدنيا، إذ كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن شماله، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلايدرى بأى لسان هو أبين؛ وقد أردف الجاحظ روايته عن ذلك المترجم المتمكن من اللغتين بقوله: واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحد منهما الضيم على أختها، إلا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الأسوارى[٦٥]؛ أى أن اللغة التى يتحدثها الشخص مع لغته الأصلية لابد أن كلا منهما تنال من إتقانه الأخرى من جهة الأصوات وتركيب الجملة وغيرهما من جوانب اللغة، وصاحبنا كان استثناء لافتاً من القاعدة.

٢/١. تؤكد الدراسات التاريخية وجود صلات متنوعة بين مصر فى عصورها القديمة وبين الأمم التى استوطنت شبه الجزيرة العربية فى قسمها الجنوبى وفى أطرافها الشمالية كذلك؛ إذ لم يكن البحر الأحمرفى أى عصر من عصور التاريخ يحول بين الشعوب الآسيوية المتاخمة للساحل الشرقى منه والشعوب الأفريقية المتاخمة لساحله الغربى وبين الاتصال والاختلاط والاندماج بل التأثير الأنثروبولوجى والعقدى والتجارى، ولذلك كان التفاعل واضحاً على مر العصور فى كلا الجانبين. وقصة البحر الأحمر بين هاتين المنطقتين تجعل منه، على عكس ما يتصور الكثير، وسيلة اتصال سهلة ميسرة منذ عرف الإنسان كيف ينتقل على سطح الماء ويصنع القوارب والمراكب والسفن، وأبرز ظاهرة تاريخية فى ذلك الاتصال غلبة تأثير الشعوب الآسيوية، وبوجه أدق شعوب شبه

الجزيرة العربية على الشعوب الأفريقية، وبخاصة بلاد الصومال والحبشة والسودان ومصر، على التركيبات الجنسية والرسالات السماوية والتأثيرات التجارية والاقتصادية(٦٦). والحقيقة التاريخية التى يجمع عليها كثير من المؤرخين، وفى مقدمتهم دى جويه وونكر ونولدكه وصمويل لانج وروجرز أن قسماً كبيراً من الساميين عبر البحر الأحمرفى طريقه إلى الحبشة والصومال وشمال السودان ومصر وشمال أفريقيا، وأن ذلك الوجود السلالى القديم كان أحد العوامل الأساسية فى نشر الإسلام بعد ذلك فى ربوع هذه البلاد(٦٧). وقد اتصل المصريون القدماء بعرب شبه الجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر الذى يحد غربى شبه الجزيرة العربية وشرقى مصر، كما أن شبه جزيرة العرب كانت تجاور مصر عند شبه جزيرة سيناء، وكما أن البحر الأحمر كان أداة اتصال بين مصر وبين شبه جزيرة العرب، كذلك لم يكن هنا حد يفصل تماماً بين البدو فى شبه جزيرة العرب والبدو فى شبه جزيرة سيناء... وقد ربط البحر الأحمر منذ القدم بين شبه الجزيرة العربية وبين وادى النيل، وليس من شك فى أن كثيراً من التجار العرب والأعراب كانوا يفدون إلى مصر بطريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية أو عن طريق شبه جزيرة سيناء، والمعروف أنه منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد هاجر من شبه الجزيرة العربية إلى مصر بطريق البحر الأحمر أو عن طريق سيناء قوم من الجنس السامى اختلطوا بالمصريين القدماء؛ ويقول المؤرخ والجغرافى سترابون المتوفى نحو سنة خمس وعشرين بعد الميلاد إن مدينة «قُفْط» فى صعيد مصر كانت مدينة نصف عربية(٦٨). وكما ارتاد العرب مصر منذ أقدم العصور للتجارة أو للاستيطان فقد ارتادها كثير منهم قبيل ظهور الإسلام، وكان لهذه الشخصيات دور كبير بعد ذلك فى حوادث التاريخ الإسلامى، منهم عمرو بن العاص قائد فتح مصر وعثمان بن عفان ثالث

الخلفاء الراشدين والمغيرة بن شعبة أحد أبطال الإسلام ودهاته المبرزين(٦٩).

٢/٢ تتخذ علاقة المصريين بالشعوب السامية عامة بعداً لغوياً يضرب بجذور عميقة فى التاريخ؛ إذ إن المصرية القديمة والقبطية تصنفان ضمن اللغات الحامية التى تضم فرعين آخرين هما فرع اللغات البربرية اللغات القديمة لسكان شمالى أفريقيا، برقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب والصحراء والجزر المتاخمة لها، (وفرع اللغات الكوشية) لغات السكان الأصليين للقسم الشرقى من أفريقيا المحصور بين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء وحدود مصر ما عدا المناطق الحبشية الناطقة بلغات سامية وما عدا المناطق السودانية الناطقة بلهجات سامية أو سودانية، فيدخل تحت اسم الكوشية اللغات الصومالية ولغات الجالا والبجة ودنقلة... إلخ، (ولا يوجد بين هذه الأفرع الثلاثة (المصرية والبربرية والكوشية)) من وجوه الشبه أكثر مما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية، بل إن المصرية القديمة تشبه اللغات السامية فى استعمال التاء للمخاطب والنون لجمع المتكلمين وكذلك فى أسماء العدد وكثير من أسماء الذوات وبخاصة المؤلفة من صوتين) يم ــ نم ــ ماء (.. وفى كثير من قواعد الصرف والتركيب) كتأنيث الاسم والصفة بالتاء، وتكوين المضارع بزيادة سابقة فى أول الفعل وفى أن الأصوات الساكنة أكثر أهمية من أصوات اللين فى الدلالة الأساسية للفظ؛ ولذا ذهب كثير من العلماء إلى اعتبار المصرية واللغات السامية مجموعتين من أسرة واحدة. وهناك تصنيف آخر للأسر اللغوية يطلق مصطلح الأسرة الأفروآسيوية وهى إحدى أكبر الأسرات اللغوية فى العالم القديم والوسيط والحديث، وتضم عدة أفرع لغوية هى الفرع السامى والفرع المصرى القديم والفرع البربرى والفرع التشادى والفرع الكوشى، بل إن بعض الباحثين يذهب

إلى اعتبار المصرية القديمة لغة سامية جاءت مع الغزاة من الساميين الذين أخضعوا السكان الأصليين وتغلبت لغتهم على لغاتهم، غير أن تأثر لغتهم بهذه اللغات فى أثناء صراعها معها والازدهار السريع للحضارة المصرية وما أحاط بالمصريين من ظروف خاصة تختلف عن ظروف بقية الساميين فى النواحى المادية والجغرافية والاجتماعية... كل ذلك وما إليه قدعمل على توسيع مسافة الخلف بين المصرية القديمة من جهة وبقية اللغات السامية من جهة أخرى(٧٠).

٢/٣ عرفت مصر قبل الفتح الإسلامى تنوعاً لغوياً بدآ فى التاريخ المدون بالمصرية القديمة والمصرية المتوسطة والمصرية الحديثة فالديموطيقية التى استخدمت فى الكتب والوثائق من القرن الثامن ق.م إلى منتصف القرن الأول ق. م، وأخيراً اللغة القبطية وهى المصرية القديمة فى صورتها الأخيرة من مراحل تطورها(٧١). وقد ظلت المصرية القديمة فى مراحل تطورها المختلفة لغة الكتابة والحديث فى مصر حتى قيام دولة البطالمة فصارت اليونانية اللغة الرسمية للبلاد، وأخذ كثير من المصريين بمضى الوقت يتعلمونها ويستعملونها فى وثائقهم ومراسلاتهم، وكانت اللغة المصرية لا تزال تستخدم فى الكتابة الدينية والحديث بالإضافة إلى تحرير العقود والرسائل(٧٢). وظل الشعب فى مصر مستمسكاً بلغته الديموطيقية، حتى مع فرض اللغة اليونانية لغة رسمية، وقد بدأ تدوين هذه اللغة بالحروف اليونانية بعد أن كان المصريون يكتبون لغتهم على الأبنية والأعمدة والأحجار والقبور والأبواب الحجرية والخشبية والآنية الحجرية والرخامية، مستخدمين حروفهم التى كان فيها كثير من صور الطيور والحيوان والهوام والناس وأعضاء الجسم، وقد استعملت الحروف اليونانية بدلاً من المصرية القديمة لخفتها مع الكثيرمن الألفاظ اليونانية، بل إن الحديث باليونانية كان شائعاً فى الإسكندرية(٧٣).

الخلاصة أن اليونانية كانت اللغة الرسمية فى مصر وكانت القبطية التى نتجت من الديموطيقية هى اللغة الدارجة التى ارتفعت إلى درجة اللغة الأدبية وحدث بينها وبين اليونانية كثير من التبادل اللغوى(٧٤) .

٢/٤ ويثير الحديث عن العلاقات التى كانت بين المصريين والعرب سؤالاً عن أثر هذه العلاقات فى معرفة المصريين بالعربية؛ هناك من يذهب إلى أن ما كان من احتكاك بين الجانبين أورث تبادلاً بين اللغة المصرية واللغة العربية لم يبلغ حداً تفقد معه إحداهما شخصيتها، وقد أشرنا إلى البحر الأحمر وسيناء باعتبارهما جسرين انتقل عبرهما التجار العرب إلى مصر، يضاف إليهما ميناء غزة فى ذلك الوقت، حيث كان التجار العرب يقدمون لبيع حاصلات اليمن وجنوب الجزيرة العربية وشراء ما يلزمهم مما يرد على هذه المدينة فى البحر من حاصلات اليونان وإيطاليا ومصر وغيرها، وكذلك لعبت هجرة القبائل العربية لمصر دورها فى تقوية الاتصال، إذ أعقب بعض الهجرات لقبائل من جنوب الجزيرة وطئ وبطون من خزاعة استقرار فى كل من الشمال الشرقى لمصر وإقليم الشرقية؛ ويخلص صاحب هذا المذهب إلى أن هذا الاحتكاك أحدث قدراً من التبادل اللغوى كان نفوذ اللغة المصرية فيه على العربية كبيراً من ناحية المفردات، فهناك كلمات مصرية كثيرة دخلت اللغة العربية وأصبحت ينظر إليها على أنها من اللغة الأدبية النموذجية(٧٥) .

غير أن هناك من يرد هذا المذهب ويقلل من أمر تأثر العربية بالمصرية نتيجة الاحتكاك المذكور؛ فلم تكن هجرة القبائل العربية أمراً ذا خطر كبير قبل الفتح، فقد كانت هذه القبائل المهاجرة منغلقة على نفسها فى داخل مصر حيث واجهوا قوماً أكثر منهم حضارة وتقدماً، كما أن مكانة هؤلاء العرب المهاجرين لم تكن ذات بال عند ذوى السلطان فى

مصر، فقد منحهم الإمبراطور الرومانى حينذاك إقطاعية «تنيس» (صان الحجر)، وهى منطقة منعزلة بعيدة عن التقدم الحضارى الموجود بالعاصمة مصر، فكانت إقامتهم بتلك المنطقة لا بجوار العاصمة، فكان هذا الاحتكاك قليل الخطر يسير التأثير؛ نعم كان للمصرية نفوذ على العربية فى هذا الاحتكاك اللغوى قبل الفتح، وهذا أمر طبعى فى رأى صاحب هذا المذهب، فاللغة المصرية هى الأكثر حضارة وتقدماً وهى أيضاً لا تزال لغة عامة الشعب، ولم يكن للعربية فى هذا الوقت من سلطان أو نفوذ فى تلك البلاد ليساندها ويساعدها على الانتشار، لم يكن ثم سلطان دينى بعد، ويرى صاحب هذا المذهب أن التركيز فى أمر التبادل اللغوى على المفردات يدل على ضعف التأثير، إذ إنه لم يتجاوز المفردات ليمس اللغة بجوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية(٧٦). أما أن تأثير المصرية فى العربية لم يجاوز مجال المفردات فإنه أمر فيه كثير من التعميم والمبالغة؛ ذلك بأن المفردات هى أسرع جوانب اللغة تأثراً بالتغيير، سواء فى لغة الفرد أو لغة الجماعة، وعليه فإنها تكون أوضح الجانب تأثراً بالاحتكاك بين الأمم، على حين تستغرق جوانب اللغة الأخرى وقتاً أطول حتى ينال منها التغير؛ فالأصوات والبنية والتركيب أبطأ فى تغيرها، وهى عندما تتغير تتخذ وضعاً ثابتاً على امتداد زمنى طويل، ولا يزعمن زاعم أن المفردات فى العربية هى التى أصابها التغير دون غيرها من جوانب اللغة، ولكنها كما قلنا أسرعها تغيراً، ومن ثم قابلية للرصد فى مدى زمنى قصير نسبياً، إذ قد نال جوانب اللغة الأخرى الأصوات والبنية والتركيب من التغير ما رصده صاحب هذا المذهب نفسه فى مواضع مختلفة، وفى المستويين الفصيح والعامى للعربية، ومنه على سبيل المثال التخلص فى مصر من الأصوات الأسنانية (الثاء والذال والظاء) وإبدال غيرها منها(٧٧)، والتخلص من أحد الصوتين المتماثلين بحذف أحدهما، وقانونا المماثلة

والمخالفة(٧٨)، وتغيير معاني بعض الصيغ مثل تفعل الذى صار يدل على الكثرة وكذلك تفاعل(٧٩)، وتوسيع الدلالة فى بعض الألفاظ مثل «سائر» التى صارت بمعنى الجميع لا الباقى، والفعل درس الذى صار بمعنى داس وأصله: عفا الأثر والدريس الذى صار بمعنى يابس البرسيم وأصله الثوب الخلق أو الشيء البالى(٨٠)، وتخصيص الدلالة فى ألفاظ منها التربة التى صارت تعنى جزءاً محدداً من الأرض هو المقبرة، وأصلها الأرض(٨١)، وغير ما ذكر أمور كثيرة مثل دلالة العبارة وأثر المجاز، فضلاً عن أمور أخرى تتعلق بتركيب الجملة والتصرف فيه بتقديم أو تأخير، ومنه تقديم الجار والمجرور على الفعل أو تقديم المفعول به على الفعل، وإن كان لمثل ذلك نظائر فى القديم تشهد بمرونة التركيب فى الجملة العربية(٨٢).

الحاصل أن معظم ما أشار إليه صاحب «اللهجة المصرية الفاطمية ما زال امتداده وأثره باقياً بين ظهرانينا فى مصر وعلى ألسنة كبارنا وصغارنا، وبرغم أن ما يرصده يتعلق معظمه بالقرن الرابع الهجرى فإننا لا نستطيع أن ننكر أن بداياته الأولى كانت مع بداية الاحتكاك، ربما قبل الفتح العربى بزمن طويل، فليس من طبائع الأشياء أن يحدث التغير اللغوى بين عشية وضحاها. وأما أن التأثر كان من طرف واحد هو اللغة المصرية لأنها تمثل الجانب الأكثر حضارة الأعظم تقدماً فإن هذا الأمر فى علاقة اللغات ليس مسلّماً، إذ ليس من الأمور الحتمية أن تسود لغة أصحاب النفوذ أو تتغلب لغة الأكثرية، فكثيراً ما يحدثنا الباحثون فى تاريخ اللغات عن عكس ذلك تماماً.

٢/٥ طرأت اللغة العربية على مصر مع الفتح الإسلامى ١٨هـ فوجدت فيها لغتين تستعملان، اللغة القبطية لغة الشعب المصرى واللغة اليونانية لغة الحكام السابقين الذين دالته دولته، ولم تكن إحدى هاتين اللغتين لتصير إلى النسيان أو الإهمال فى طرفة عين، فقد كانت اليونانية

فى عهد الرومان هى اللغة الرسمية وهى لغة العلم والمتعلمين قبل الفتح، وانتشرت منذ أيام البطالمة فكانت تلقى بها الدروس فى المدارس وكان لها أثرها فى مصر وفى اللغة المصرية المعروفة بالقبطية، ولكنها لم تتغلب عليها بل منع المصريون استعمال اليونانية فى الكنائس واستبدلوا بها القبطية حين شعروا بالاضطهاد الدينى، واشتد كرههم لما هو أجنبى فى القرن السادس الميلادى[٨٣]. وبعد الفتح أسرع الانحلال إلى الحضارة الرومانية الإغريقية ولم تمح اللغتان اليونانية والقبطية دفعة واحدة، بل قل استعمالهما تدريجياً وأخذت العربية تحل محلهما، ويدل على بقاء الثقافة اليونانية والقبطية بعد الفتح ما ذكره ابن النديم قال: فأمر يزيد بن معاوية بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى، وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة إلى لغة[٨٤]. ويشير «يوهان فك» إلى أن العلاقات اللغوية فى المدن المفتوحة لم تتغير إلا بمقدار الزيادة التى أضافتها العربية الجديدة إلى ما فيها من تعدد الألسنة، وأن اليونانية فى غربى الدولة الإسلامية والفارسية فى شرقيها ظلتا قرناً كاملاً لسان الحكم والإدارة[٨٥]. أخذ الأقباط على كل حال يتعربون، وأخذ مزج هائل يحدث بين العربية واللغة المصرية المحلية وما دخلها من ألفاظ أجنبية يونانية وفارسية وسريانية مما أعد لنشوء العامية المصرية. استطاعت العربية أن تغزو مصر كما غزاها العرب واضطر المصريون إلى تعمقها واستغرق ذلك زمناً قياسياً فى قصره، إذ لم يمض إلا وقت قصير حتى ألف الآباء البطاركة كتبهم بالعربية مثل ابن البطريق رئيس الكتبة وسويرس بن المقفع صاحب «سير الآباء البطاركة»، وغيرهما، وكانت العربية تتحرك فى حيز محدود فى مصر، يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار إلى أن يختلطوا

بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم، ثم أدخلت بعض الاصطلاحات العربية فى الدواوين فاضطر المصريون إلى أن يعرفوا لغة العرب تقرباً إليهم وتحقيقاً لمصالحهم(٨٦)؛ السماوية، وكان بين الخلفاء وبعض سكان الأديرة من القبط علاقات من الود تتمثل فى زيارة هؤلاء فى أديرتهم(٨٨). ويروى السيوطى(٨٩) أن القبطية بقيت فى الإسكندرية ثم أخذت تزول حتى لم يبق منها إلا بقية قليلة فى أديرة الصحراء وصوامعها، وظلت هناك ضعيفة حتى ذبلت لغة القبط ذاتها وتركها المصريون وأهملوا شأنها حتى فى أحوالهم الخاصة، وذاعت لغة العرب وفشت فى البلاد فبدأت منقوشة على النقود إذ ضربت أول مرة عام ٧٥هـ واتخذت فى الدواوين وكتابة الحكام، وأول كتابة للدواوين بالعربية ٨٦هـ/ ٩٠. ويذكر بعض الباحثين أن القديس شنودة كتب مؤلفاته بالقبطية ثم اضطر إلى كتابتها بالعربية حتى يتسنى للأقباط قراءتها، وبعد أن كانت مراسيم الكنيسة تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية صارت بالقبطية فقط، ثم قرءوها بالقبطية وشرحوها بالعربية، وازداد إلحاح الناس فى ترجمة الكتب الدينية من القبطية إلى العربية(٩٠). ويذهب بعض الباحثين إلى أن الشعب المصرى لم يستجب فى تاريخه إلا للغتين المصرية القديمة والعربية، فبرغم تعدد أسماء المصرية القديمة من هيروغليفية إلى هيراطيقية إلى قبطية لم تكن فى حقيقة الأمر إلا لغة واحدة فى صور متطورة وخطوط مختلفة(٩١). أما العربية فكان من الضرورى أن يعرفها المصريون كنا سبقت الإشارة، وأن يحيطوا بمفرداتها، على حين أنه لم يكن ما يلزم العرب لتعلم لغة المصريين إلا مختارين، إذ كانوا الفاتحين والسادة، مع تمسكهم بلغتهم لغة كتابهم الكريم؛ وقد شهدت السنون الأولى كما يشير بعض الباحثين اضطراباً لغوياً، وبرغم ذلك وجدت نصوص لكتاب خالصى العروبة لم يشب كتابتهم أثر للبيئة أو العناصر المحلية وهى الرسائل الرسمية، إذ كان

كتابها يُختارون من أصحاب الأقلام من العرب والمسلمين، على حين بدت فى نصوص المعاملات آثار اللغة المحلية وآثار انتقال القبط للعربية[٩٢] .

٢/٦ وقد شهدت مصر فى فترات تاريخية سابقة كما أسلفنا القول عبور جماعات عدة شبه جزيرة سيناء فى عصر ما قبل الأسرات وفى عهود الأسر الفرعونية، ومنهم الكنعانيون والأدوميون طلباً للمرعى، ومنهم الهكسوس والعبرانيون، أى أنه كانت ثم صلة قديمة بين العرب والمصريين، غير أن التأثير المتبادل كان محدوداً لأنه كان نتيجة اختلاط قليل بين أفراد أو قلة من الجماعات، غير أن العربية بعد الفتح انتشرت وتوزع أهلها حتى صارت اللغة الرسمية ثم السائدة، وكان اختلاط العرب بالمصريين اختلاط تعامل وجوار ونسب، وكان العرب متعددى القبائل وكان لقبائلهم لهجاتها التى بقيت آثارها على ألسنة سلالاتها حتى بعد أن عاشوا فى مصر محافظين على ما نشأوا عليه من تقاليد وسمات لغوية، ولا تزال بقايا هذه اللهجات فى مصر برغم تعاقب القرون واللغات الأخرى مع بقايا اللغة المصرية أو القبطية واللغة اليونانية، ومن المختار من هذا الخليط تكونت العامية المصرية بما لها من سمات معينة لو أصلت لصعدت إلى تلك الأسباب التى انصهرت فى جفنة هى مزاج الشعب المصرى وطبيعته[٩٣] . وقد فصل بعض الباحثين القول فى القبائل العربية وبطونها التى شهدت فتح مصر واستوطنتها، ويذهب بعضهم إلى أن أكثر عرب مصر من اليمنيين وإن كان فيهم بطون شمالية تنتسب إلى هذيل وليث وقيس وقريش، وقد اختطوا دورهم فى الفسطاط وغيرها ورابط بعضهم فى الثغور[٩٤] . ومن أهم البلاد التى تعنى دارسى البردى العربى «الأشمونين» التى عثر فيها على أكبر عدد من مجموعات البردى العربى، وقد كانت تسكنها جهينة ثم سكنتها قريش بعد أن طردت منها قبيلة

جهينة وأصبح يطلق عليها فى وقت متأخر اسم بلاد قريش، وكان من بطون قريش بنو مخزوم وبنو تيم بن مرة البكريون وبنو زهرة وبنو شبية من بن عبد الدار (وبنو أسد بن عبد العزى) الزبيريون (وبنو سلمة وبنو حبيب) من المروانيين (والجعافرة) وكانت من القبائل التى هاجرت إلى تلك المنطقة فى هجرة قريش الكبرى التى تركزت فى هذه المنطقة منذ القرن الثالث(٩٥) . ويشير بعض الباحثين إلى أن اليونان والرومان والفرس وغيرهم ممن طرأوا على مصر لم يخرجوا منها إلا وقد خلفوا على ألسنة المصريين آثاراً من لغتهم، وظل الأقباط على لغتهم مدة امتدت فى صعيد مصر حوالى ستة قرون بعد الفتح الإسلامى، على حين انتشرت العربية وسادت فى الوجه البحرى وفى مراكز الإقامة والحكم خاصة قبل نهاية القرن الأول الهجرى وعلى ألسنة المحتكين بالعرب من المصريين الذين ارتبطت مصالحهم بالعرب الحاكمين، ثم المالكين للأرض التى يعمل فيها المصريون، أو أولئك المصريين الذين احتاج العرب للعمل معهم بالخدمة والمشاركة والجوار ثم بالمعاشرة ومختلف النواحى اللازمة للإقامة والحياة، ومع أن كثيراً من القبائل العربية احتفظت بطريقة حياتها البدوية وحافظت بذلك على سلامة لهجاتها وخلوصها، فإنه لم يكن من الممكن أن يبقى حد فاصل بين الحاكمين العرب والمحكومين المصريين قائماً على الدوام(٩٦)، وبقيت اليونانية بادى الرأى ـ كما سبق القول ـ هى اللغة الرسمية، ولم تدخل العربية فى دوائر الإدارة إلا عام ٨٧هـ، بيد أنها لم تستو على سوقها إلا فى أوائل القرن الثانى الهجرى، وظل الجمهور الأعظم متمسكاً بالقبطية، كما أن نسبة الأقباط فى المدن كانت كبيرة وكان أثر القبطية فى العربية جد ضئيل، وعلينا أن ننظر فيما إذا كان تعذر كشف أثر القبطية فى عربية التفاهم فى القرنين الأولين راجعاً إلى طبيعة مصادرنا، فلو أن مصر سعدت بكاتب كالجاحظ مولع بتصوير مستوى

الطبقات الدنيا والوسطى بين سكان المدن فى القرن الثانى ربما ظهر لنا أن العلاقات اللغوية فى الفسطاط القديمة لم تختلف كثيراً عنها فى البصرة والكوفة(٩٧).

٢/٧ لم تلق العربية مقاومة من اليونانية والقبطية، واقتصر تأثير هاتين اللغتين على العربية فى طائفة من الألفاظ التى دخلتها منهما، تحفل العاميو المصرية بكثير منه ما يلى:

- السماء ترُخّ أى تنزل الماء بغزارة.
- (جاى) بتفخيم الفتحة الطويلة (أى أغيثونى).
- (تاتا فعل أمر بالمشى) يستعمل مع الصغار أول محاولتهم المشى.
- (ياللا هيلا هيصا أى سقطنا فى الوحل) على لسان صيادى المراكب و(الليص) هو الوحل، وقد اشتققنا منه «لايص» لمن يقع فى أمر محير لا يدرى ما هو فاعل.
- (امبو) لطلب الماء، (من الكلمة القبطية امبمو أى أنا أشرب).
- (ياما) أى كثير.
- (عنتيل) أى قوى.
- (يا ليلى) أى يا سرورى وبهجتى.
- طبل وطبول من اللفظ القبطى Tablin واليونانى Tablan.
- (البخ) كلمة تخويف وهى الشيطان فى القبطية.
- (شبرا) أى الحقل، وشبرا منت: شبرا الغربية أى: طريق.
- الفاس والماجور والمنشة وغيرها من الأدوات المنزلية.
- (مَمّ) بتفخيم الميم (أى طعام، من أونم - المدمس أصله المتمس أى الفول المطبوخ فى الفرن).

- البعبع أصله البوبو، عفريت مصرى قديم[٩٨].

ومن المنطقى كما أشرنا أن الكلمات الدخيلة المقتبسة من اللغات المغلوبة ينالها شيء من التحريف فى لفظها ودلالتها وكيفية نطقها، كانتقال النبر أو تفخيم المرقق، بما يناسب أهل اللسان المستعير، وقد يتحول اللفظ المركب إلى لفظ مفرد، مثل كلمة «نبى» التى يذهب جورجى زيدان إلى أنها من المركب المصرى القديم نب، أى معناهما معاً رئيس البيت أو شيخ العائلة، والظاهر أن اليهود اقتبسوا هذه اللفظة من المصريين القدماء فى أثناء سكناهم مصر فاستخدموها أولاً لهذا المعنى فسموا بها الآباء الأولين ثم أطلقوها على الأنبياء كافة وأخذها عنهم العرب لهذا المعنى[٩٩]؛ والواضح أن رد الدخيل فى العربية إلى أصل لغته هو من الأمور التى لا تخلو من عسر، لأن العرب من دأبهم وضع الدخيل فى قالب عربى بإسقاط بعض حروفه وتبديلها أو بإضافة بعض أحرف عربية[١٠٠]. ومما أوردت المصادر دخوله من اليونانية:

- برج أى حصن، من Pyrgos.
- بلسم، من Balsamon.
- بلغم، من Plegma أى التهاب.
- ترياق، من Theriaka وأصله جملة تعنى: عقار يداوى به من نهش السباع وهو دواء يدفع السموم.
- رفا يرفو، من Rafideyo أى خاط.
- إزميل، من Smile أى المنحت.
- أسطول، من Stolas أى طائفة من السفن وحملة حربية.
- سفسطة، من Sofisma أى المغالطة.

ـ الإسفنج، من Spoggos.

ـ سِماد، من Spodos وهو الرماد.

ـ سيف، من Scifos وهو القاضب والقاطع والماضى[١٠١].

ـ (سندل)، وقد أبدلت الصاد من السين فى العامية المصرية، من Sandalia وفى اللاتينية Sandalium وهو النعلان كان ينتعلهما الأقدمون قبل اختداع الخف والحذاء[١٠٢].

ـ (سير) بالفتح الممال للكسر فى عامية مصر من Seira أى سلسلة وزمام وحبل[١٠٣] وهو فى الفصحى نسعة.

ـ طاجن، من Teganon أى مقلاة، وقد طرأ عليه تحول دلالى طفيف فى العامية.

ـ طغمة[١٠٤]، من Tagma أى صف وفئة وجيش، وقد صار فى لغة الأخبار وغيرها بمعنى جماعة الشر أو الفساد.

ـ عربة من Arma بقلب أوله عيناً وإبدال الباط من M كما قلبت ميم مكة باء، وقد أدخل ابن بطوطة هذا اللفظ فى العربية ومعناها عجلة ومركبة[١٠٥].

ـ جرام، من Gramma وأصل معناه الحرف ثم صار يطلق على وحدة الوزن المعروفة.

ـ قرطاس، من Chartes أى ما يرسم به ومرادفه ورقة وصحيفة، وقد ذكره الجواليقى فى المعرب[١٠٦] وهو مما ورد فى القرآن الكريم[١٠٧]؛ وأيد القول بأصله اليونانى برجشتراسر[١٠٨] وآرثر جفرى الذى نص على أنه دخيل فى الآرامية كذلك[١٠٩]، وقد أنكر الشيخ أحمد شاكر عجمته وقال بعربيته[١١٠].

ـ قلم، وهو مما ورد فى القرآن الكريم بمعنى آلة الكتابة[١١١]، ويرى برجشتراسر أنه انتقل إلى العربية من اليونانية Kalamus عن طريق الحبشية، وأصل معناه قصبة[١١٢]. ويبدو أنه من الألفاظ التى استعيرت من قديم لورودها فى الشعر الجاهلى كما فى قول لبيد بن ربيعة[١١٣]: وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجدّ متونها أقلامها.

ـ البَيطَرة أى علاج الدوابّ، من المركّب اليونانى Ippos أى فَرَس، Latrike أى علاج[١١٤]، ويقول النابغة الذبيانى[١١٥]:

شكّ الفريصة بالمدرى فأنقذها ... شك المبيطر إذ يشفى من العضد

القسط: يستعمل المجرد قسط بمعنى جار وعدل عن الحق، أما المزيد بالهمزة أقسط فإن معناه ضد ذلك، يشهد له آيات منها.. (أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)[١١٦]، (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)[١١٧]. أما لفظ القسط بكسر فسكون فإنه يستعمل بمعنى الصواب والحق والعدل ومنه الآية (قل أمر ربى بالقسط)[١١٨]. وفى معلقة الحارث بن حلزة[١١٩]:

ملك مقسط وأكمل من يمـــ ... شى ومن دون ما لديه الثناء

ويرادف لفظ «قسطاس» لفظ «قسط»، وذكر بعض الباحثين أن اللفظين غير عربيين وأن الأول إغريقى الأصل أو آرامى وأن الآخر إغريقى؛ وينص الجواليقى على أن القسطاس الميزان رومى معرب[١٢٠]، وينكر آخرون ذلك المذهب ويقولون بعربية اللفظ، كما أن هناك من يقول إنه ربما كان انتهاء كلمة قسطاس بالسين هو الذى أدى إلى الإيحاء بأنها لفظة إغريقية شأنها شأن قرطاس وسندس ودمقس[١٢١].

ـ القنطرة: الجسر، وقد نسبها طرفة بن العبد فى معلقته إلى الروم، ويبدو أن ذلك كان معروفاً، يقول[١١٢]:

كقنطرة الرومى أقسم ربها لَتُكتَنَفَنْ حتى تُشاد بقَرمَدِ

أمـا فى التنزيل فقد ورد اللفظ بمعنى معيار للوزن فى الآية (... والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة)(١٢٣)، وهناك من يذهب إلى أن لفظ القنطرة من الدخيل فى الآرامية من اليونانى Kamptir أى تَقَوّس(١٢٤)، وقد نص السيوطى متابعاً الثعالبى على أنه معرب عن الرومية(١٢٥). ويعلل بعض الباحثين وجوة فعل عربى من هذا اللفظ المُجْمَع تقريباً على أنه دخيل بأن الأمر لا يعدو أن يكون العرب قد تصرفوا بهذا اللفظ بعد تعريبهم إياه فاشتقوا منه صيغة فعلية، وينبغى أن نلاحظ أن هذا الجذر (ق ن ط ر) لم يرد فى معظم اللغات السامية، الأمر الذى يدعم ما ذهب إليه معظم اللغويين بأن هذا اللفظ معرب(١٢٦).

ـ الدرهم بفتح الهاء وكسرها، عملة مستعملة من قديم، وردت بصيغة الجمع فى الآية (... وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة)(١٢٧)، واستعملها زهير بن أبى سلمى فى قوله(١٢٨): فتغْلِلْ لكم ما لا تغُلُّ لأهلها قُرًى بالعراق من قَفِيزٍ ودرهمِ وقد نص صاحب اللسان على أن الدرهم معرّب عن الفارسية ولم يذكر له أصلاً معيناً(١٢٩)، وذهب برجشتراسر إلى أنه فارسى مأخوذ عن اليونانية وهو فيها Drachme، وصنفه آرثر جيفرى فى الألفاظ القرآنية الأعجمية. ويذهب بعض الباحثين إلى أنه لعل العرب أخذوا هذا اللفظ عن طريق الفارسية، خصوصاً أنهم كانوا يتعاملون بالدراهم الساسانية حتى ظهور الإسلام، ما أوقع بعضهم فى الوهم بأنه فارسى الأصل، وأصله فى الفارسية درم، ثم أضاف إليه العرب الهاء فألحقوه بوزن هِجرَع، وإلحاق اللفظ الأعجمى بوزن عربى أو افتراض وزن عربى له لا يجعله عربياً لأن الأصل فى النسب إنما يتحقق بعروبة الجذر، وهو لفظ لا جذر له فى العربية، كما أن اعتبار أصل له وزوائد هو أمر افتراضى(١٣٠).

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة   للجن بالليل فى حافاتها زجل

وقد عقد ابن قتيبة فى «أدب الكاتب» بابا لما تتكلم به العامة من الكلام الأعجمى(١٣٢)، نقل فيه عن بعض أئمة اللغة عدداً كبيراً من الألفاظ التى دخلت اللسان العربى من غيره، وتشمل مجالات دلالية عدة، ومما نقله عن الأصمعى من ذلك: الزرجون وهى الخمر وأصله بالفارسية زركون أى لون الذهب، وكذلك الخندريس والإسفنط والأسفند، قال: وأحسبها بالرومية، قال: والسجنجل المرآة بالرومية فيما أحسب، والبرنساء الخلق وأصل بالنبطية ابن الإنسان، والقفشليل المغرفة، وأصله بالفارسية كفجليز، والكرد العنق، وأصله بالفارسية كردن، وأنشد(١٣٣):

وكنّا إذا القيسىُّ نبَّ عتُّوده   ضربناه دُونَ الأنثيَيْن على الكَرْد

.. وأنشد للأعشى(١٣٤):

قد علِمَت فارسٌ وحِميَرٌ والـ   أعراب بالدَّشْت أيُّكم نزَلا

يريد الصحراء وهى دَشْت بالفارسية؛ ولم يكن أبو عبيدة يذهب إلى أن فى القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين، وكان غيره يزعم أن القسطاس الميزان، بلغة الروم، والغسّاق البارد المنتن، بلسان الترك، والمشكاة الكوة وبلسان الحبشة، والسجيل بالفارسية سنك، وكل أى حجارة وطين، والطور الجبل بالسريانية، واليم البحر بالسريانية، والبرق الحمل، وأصله بالفارسية بَرَه، والسَّرَق الحرير، وأصله بالفارسية سَرَه أى جيِّد، واليَلْمَق القَباء، وأصله بالفارسية يلْمَة، والمُهْرَق الصحيفة، وهى بالفارسية مُهْرَه، والمِسْح البَلاس وهو بالفارسية بلاس، قال لبيد(١٣٥):

فَخْمَةً ذفْراء تُرتَى بالعُرا   قُرْدَمانيّا وتركاً كالبصَلْ

وعن أبى عبيدة: هو قباء محشو، وروى عن غيره أنه قال: هى

دروع، وأصله بالفارسية كَرْدُماند ومعناه عُمل وبقى.. قال العجاج:

كالحبشى الْتَفَّ أو تسبَّجا   كما رأيت فى المُلاء البَرَدَجا

قال: والبردج السَّبْى، وهو بالفارسية بَرْدَهْ، وقوله:

عَكْفَ النبيط يلعبون الفَنْزَجا وهو بالفارسية بَنْجَكان، وقوله:

يوم خرَاج يخرج السمرَّجا

قال: أصله بالفارسية سهْ مرَّه، أى استخراج الخراج فى ثلاث مرات. وقوله : مياحة تميح مشيا رهوجا قال: الرهوج المشى السهل، وهو بالفارسية رهوار، أى همْلاج. وقوله: وكان ما اهتض الجحاف بهرجا البهرج: الباطل وهو بالفارسية بهره. وقال أوس بن حجر ويروى للنابغة الذبيانى(١٣٦):

وفارقت وهى لم تجرب وباع لها   من الفصافص بالنمى سفسير

والسفسير بالفارسية السمسار، والقيروان وأصله بالفارسية كاروان فعرب. وقال امرؤ القيس(١٣٧): وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرِّعال.. وقال الأعشى وذكر الخمّار(١٣٨): أضاء مظلّته بالسراج والليل غامر جُدّادها الجُدّاد: الخيوط المعقّدة، وهو بالنبطية كُداد، قال أوس: تضمنَّها وهمٌ رَكوبٌ كأنه إذا ضمَّ جنبيه المخارم رزدَقُ رزدق: سطر ممدود، وهو بالفارسية رَسْتَهْ. وقال رؤبة: ضوابعا ترمى بهن الرزدقا والدّيابوذ ثوب ينْسِج على نَيِّرين، وهو بالفارسية دوابوذ؛ قال الشماخ وذكر ظبية:

كأنها وابنَ أيامٍ تُربِبُه   من قُرَّة العين مجتاباً ديابوذِ

واليَرَنْدَج جلد أسود، وهو بالفارسية رَنْدَهْ، والكُرَّز البازى وهو الجل الحاذق، بالفارسية كُرَهْ، ومرْعَزّى، وهو بالنبطية مرنزى، والصِّيق الريح، وأصله نبطى زيقا، والطَّسْتَ والتَّوْر والقَمقم بالرومية، والبستان فارسى

معرّب، والطابق والطاجن والهاون فارسى.. والسدير فارسى معرب وأصله سادلى أى قبة فى ثلاث قباب متداخلة، وهو الذى يسميه الناس سه دلى فأعرب.. والعرب تقول.. ودرهم قسى إنما هو تعريب قاش ويقال و فعِيل من القسوة، أى فضته رديئة صلبة ليست بلينة.. وقول الأعشى فى النعمان(١٣٩):

حتى مات وهو محرزق

قالوا: هو بالنبطية هرزوقا، أى محبوس.. وقول رؤبة:

فى جسم شخت المنكبين قوش

قال: قوش صغير، وهو بالفارسية كوجك، فعربه، وقول العبدى:

كدكان الدرابنة المطين

قال: الدرابنة البوابون، واحدهم دربان بالفارسية. وقول أبى دؤاد:

فسرونا عنه الجلال كما   سل لبيع اللطيمة الدخدار

الدخدار الثوب، وهو بالفارسية تخت دار، أى يمسكه التخت، وقال الكميت يصف بقرة:

تجلو البوارق عنها صفح دخدار

والخورنق كان يسمى الخورنكاه، أى موضع الشرب، فأعرب.

والملاحظ البين مما سبق إيراده أن الكثير الذى لا يكاد يحصى عدداً من الألفاظ غير العربية قد عرب إليها طريقه فى مجالات دلالية عديدة، وما ورد إنما يدل على أن ذلك مما صار يشيع لاعلى ألسنة العامة فحسب بل ضمنه الشعراء شعرهم، بل إن بعض ما دخل العربية من ألفاظ كانِ من الصعب تمييزه من ألفاظ عربية أصيلة وذلك لما بين القبيلين من شبَه اتفاقىّ فى الأصوات، وهو ما دعا إلى الاختلاف بين العلماء حول

أصالته مثل لفظ «قَسِّيّ» المشار إليه؛ ولعل من هذا الوادى ما ذهب إليه أبو عبيدة من إنكار أن فى القرآن شيئاً من غير لغة العرب وقوله إنه اتفاق يقع بين اللغتين، وقد أورد ابن قتيبة عن ابن عباس أنه قال: التنور بكل لسان عربى وعجمى، وهو مذهب بين إنكار الدخيل جملة واحدة وبين الإقرار بوجوده واشتمال القرآن الكريم عليه.

الهوامش

١ ـ انظر: ملامح من تاريخ الحضارات، د. حسان حلاق، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٩١، ص ٩، ١٠.

٢ ـ انظر السابق، ص ١١.

٣ ـ انظر قضايا الثقافة المعاصرة، د. محيى الدين صابر، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ٨، ٩.

٤ ـ انظر السابق.

٥ ـ انظر تاريخ الحضارات العام، أندريه إيمار، جانين أوبوايه، نقله إلى العربية فريد م. داعز، فؤاد ح. أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت باريس طـ٢ ١٩٨٦، ص٢٨.

٦ ـ تاريخ الحضارات العام ٢٨.

٧ ـ انظر قصة الحضارة، ول ديورانت، ت زكى نجيب محمود، القاهر ح/١٩٤٩ وما بعدها.

٨ ـ السابق.

٩ ـ قصة الحضارة ٣/١.

١٠ ـ فجر الإسلام، أحمة أمين، نشر مكتبة النهضة المصرية، طـ ١٩٥٩ ص ٤١.

١١ ـ السابق، ٤١، ٤٣.

١٢ ـ نقلاً عن: حضارة الإسلام، جوستاف جرونيباوم، ٤١٧.

١٣ ـ انظر: كتاب الفصل فى الملل والنحل للشهرستانى، ١/٧٢.

١٤ ـ السابق، وانظر كذلك: ١/٣٨٥، والواضح أن الروم عنده هم اليونان.

١٥ ـ السابق.

١٦ ـ البيان، ١/٣٨٤ ويعيب الجاحظ على الشاعر ذكره النجاشى فى هذا المقام، إذ ليس الأحباس قوم النجاشى بهذه المثابة.

١٧ ـ شجرة الحضارة، د. دالف لنتون، ترجمة د. أحمد فخرى، نشر الأنجلو المصرى (د. ت) ٢/٣٣٧.

١٨ ـ السابق.
١٩ ـ السابق ٢/٣٤٩ الحاشية ١.
٢٠ ـ انظر: حضارة الإسلام، ج. جرونيباوم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة عبد الحميد العبادى، نشر مكتبة مصر، ١٩٥٦، ص ٢١.
٢١ ـ السابق، ٣٥.
٢٢ ـ انظر: حضارة الإسلام، جرونيباوم، ١٥، وانظر: شجرة الحضارة ٢/٣٣٦.
٢٣ ـ الأصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوى عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، ص ١٩.
٢٤ ـ السابق، ٧١.
٢٥ ـ حضارة الإسلام، ٣٨٥ ـ ٣٨٤.
٢٦ ـ السابق، ٣٧٥ ـ ٣٧٤.
٢٧ ـ السابق، ٣٧٥.
٢٨ ـ انظر: أضواء على الفكر العربى الإسلامى للأستاذ أنور الجندى، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦، ص ٣١ ومابعدها.
٢٩ ـ نقلاً عن السابق، ٣٢.
٣٠ ـ السابق، ٣٢.
٣١ ـ السابق، ٣٢.
٣٢ ـ السابق، ٣٢.
٣٣ ـ السابق، ٣٢.
٣٤ ـ انظر: فجر الإسلام، ٤١، ٤٣، وانظر: حضارة الإسلام، ٤١٧.
٣٥ ـ قصة الحضارة ح/١ وما بعدها.
٣٦ ـ انظر: أضواء على الفكر العربى الإسلامى، ٦٠، ٦١.
٣٧ ـ انظر: أضواء على الفكر.. ص ٦٢.

٣٨ ـ انظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين، طـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م، ٣/٢١٢.
٣٩ ـ ظهر الإسلام ٣/٢٣٣.
٤٠ ـ انظر: أضواء على الفكر ٦٦، ٦٧.
٤١ ـ أضواء على الفكر ٦٧.
٤٢ ـ أضواء على الفكر ٦٧.
٤٣ ـ نقلاً عن: البلاغة، تطور وتاريخ، د. شوقى ضيف.
٤٤ ـ انظر: البلاغة ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠.
٤٥ ـ البلاغة، ٩٦، ١٠٢.
٤٦ ـ الخصائص ١/٤٦ نقلاً عن دراسات فى فقه اللغة، د. صبحى الصالح طـ ٩، بيروت ١٩٨١.
٤٧ ـ انظر: دراسات فى فقه اللغة، ٢٩.
٤٨ ـ انظر: تاريخ التاريخ، على أدهم، دار المعارف، ١٩٧٧ ص ٤٤ وما بعدها.
٤٩ ـ انظر: أدب التاريخ عند العرب، د. عفت الشرقاوى ١/٢٤٨ ومابعدها.
٥٠ ـ انظر: تاريخ التاريخ، ٥٤، ٥٥.
٥١ ـ انظر: تاريخ التاريخ، ١٠، ١١ وانظر لمزيد من التفاصيل، ٢٢، ٣٩.
٥٢ ـ حضارة الإسلام، جرونيباوم، ٣٨.
٥٣ ـ حضارة الإسلام ٣٩.
٥٤ ـ حضارة الإسلام، ٤٢.
٥٥ ـ انظر: اللغة، فندريس، ٣٥٨.
٥٦ ـ اللغة لفندريس، ٢٤٦.
٥٧ ـ انظر: التطور النحوى، برجشتراسر، ٢١١، ٢١٢،
٥٨ ـ انظر: فقه اللغة المقارن، د. إبراهيم السامرائى، دار العلم للملايين بيروت طـ ١٩٧٨، ص٢ من ٢٨٤، وانظر: علم اللغة، ماريو باى ترجمة د. أحمد مختار عمر، ليبيا، ١٩٧١.

٥٩ ـ انظر: علم اللغة، د. على عبد الواحد وافى، طـ، ص٩ ومابعدها.
٦٠ ـ انظر: علم اللغة، د. وافى، ٢٣٢، ٢٣٣ والحاشية ١/٢٣٣.
٦١ ـ أصدرت الحكومة الجزائرية فى أوائل عام ٢٠٠٢م، مرسوماً تعترف فيه باللغة الأمازيغية، وتضمن الدستور تعديلاً بذلك.
٦٢ ـ انظر: اللغة فندديس، ٢٤٦.
٦٣ ـ انظر مثلاً مما فى البيان والتبيين، ٦٩ ـ ١/٧٤، وكذا ما يلاحظه الحريرى فى «درة الغواص» ٤١، ٤٤ من استعمالات امحى فيها الفرق بين «لعل» و«ليت» وأخرى يستخدم فيها «مع» فى سياقات تغنى فيها صيغة الفعل مثل تفاعل وافتعل الدالين على المشاركة، وانظر ص ٥٥ فى الحديث عن تغيير صيغة المفاعيل.
٦٤ ـ البيان والتبيين ١٤١ ـ ١/١٤٣.
٦٥ ـ البيان والتبيين ١/١٦٨.
٦٦ ـ انظر: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، د. عبد الشافى غنيم عبد القادر، ٧١.
٦٧ ـ البحر الأحمر ٧٢.
٦٨ ـ نقلاً عن: البحر الأحمر والفتح العربى لمصر، د. سيدة إسماعيل كاشف (ضمن أبحاث الأسبوع العلمى الثالث ـ سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث ـ جامعة عين شمس، القاهرة) ١٩٨٠، ص ٩٥.
٦٩ ـ البحر الأحمر والفتح.. وانظر: حسن المحاضرة للسيوطى ١/٩٢.
٧٠ ـ راجع: فقه اللغة، للدكتور على عبد الواحد ٢٢ وما بعدها، وانظر: المدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمى حجازى، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٦ ص ٩٤ وما بعدها.
٧١ ـ انظر: حضارة مصر فى العصر القبطى، د. مراد كامل، ٦٣.
٧٢ ـ حضارة مصر، ٦٤.

٧٣ ـ انظر: الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين، عبد المسيح المسعودى نقلاً عن: اللهجة المصرية الفاطمية، د. عطية سليمان ط ١٩٩٣، ص٥.
٧٤ ـ انظر: اللهجة المصرية الفاطمية ٦.
٧٥ ـ انظر: تاريخ اللغة العربية فى مصر، د. أحمد مختار عمر ١٥.
٧٦ ـ انظر: اللهجة المصرية ٧٠.
٧٧ ـ انظر: اللهجة المصرية ١٨.
٧٨ ـ اللهجة المصرية ٢٧ وما بعدها.
٧٩ ـ اللهجة المصرية ٧٧.
٨٠ ـ اللهجة المصرية، ١٣٣، ١٣٤ وراجع: اللسان «درس».
٨١ ـ اللهجة المصرية ١٤٥.
٨٢ ـ اللهجة المصرى ١٦٠ ومابعدها، وانظر: العربية الفصحى، هنرى فليش ١٨٣ والمقتضب ٢/٣٠٢ .٤
٨٣ ـ انظر: فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين، د. محمد كامل حسين.
٨٤ ـ الفهرست، نشر فلوجل ٢٤٢ نقلاً عن: البردى فى مصر، د. عبد العزيز الدالى ١١٩.
٨٥ ـ العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، نشر الخانجى ١٩٨٠ ص٢٤.
٨٦ ـ انظر: فى الأدب المصرى ٣٠، ٣١.
٨٧ ـ انظر: فى الأدب المصرى ٣١.
٨٩ ـ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ٢/٢٢٦.
٩٠ ـ انظر: فى الأدب المصرى الإسلامى ص ٣٢.
٩١ ـ لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده، د. عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٢.
٩٢ ـ انظر: البردى العربى فى مصر ١١٢.
٩٣ ـ انظر: القبائل العربية فى مصر وأثرها فى الأدب فى القرون

الثلاثة الأولى للهجرة، عبد الله خورشيد البرى، ماجستير مخطوط ١٩٥٦.

٩٤ ـ انظر: القبائل العربية، وانظر: فى الأدب المصرى ٢٣، وانظر: العربية ٣٢.

٩٥ ـ انظر: البردى العربى فى مصر ١٣١.

٩٦ ـ انظر: العربى ٣٢.

٩٧ ـ العربية؛ ويقصد «فك» ههنا تأثر لغة التفاهم بغير العرب لأسباب منها نظام التسرى الذى نتج عنه جيل يحمل الخصائص اللغوية الدارجة الغريبة عن العربية، ويلاحظ «فك» أن تعريب مصر تم أسرع وأعمق مما حدث فى العراق بسبب هجرة عرب الشمال وفق نظام مرسوم، وتكاثر الدخول فى الإسلام فى القرن الثانى، فرجحت العربية فى القرن الثالث وتراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت تماماً فى القرن السادس.

٩٨ ـ انظر: آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا، محرم كمال، نقلاً عن علم اللغة، د. وافى ٢٣٤، ٢٣٥.

٩٩ ـ انظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ١١٢ وفى الحاشية: ١ نب فى المصرية القديمة معناها سيد ووردت فى الكتابات المصرية القديمة فى عصور متقدمة «نبو»، وقد تكون «نبى» بإضافة ياء المتكلم فى المصرية القديمة بمعنى: سيدى.

١٠٠ ـ انظر: تفسير الألفاظ الدخيلة فى العربية، طوبيا العنيسى ص «ب»، دار العرب ١٩٨٩/٨٨.

١٠١ ـ يرى آخرون هذا اللفظ عربياً، منهم أبو هلال العسكرى وابن دريد،يرون اشتقاقه من السواف أى الهلاك. انظر: التذييل والتكميل لما استعمل فى التلفظ بالدخيل، جمال الدين البشبيشى، تحقيق نصوحى أرسلان ص١٧٧، وممن قال بآراميته برجشتراسر فى «التطور النحوى، ٢٢١» وانظر: تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٨.

١٠٢ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة٣٧ .
١٠٣ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٨ .
١٠٤ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة ٤٧ .
١٠٥ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة ٤٨ .
١٠٦ ـ المعرب ٢٧٦ .
١٠٧ ـ ورد بصيغتى المفرد فى الأنعام ٦/٩١، ٦/٧ .
١٠٨ ـ التطور النحوى ٢٢٨ .
١٠٩ ـ نقلاً عن: ألفاظ الحضارة فى شعر المعلقات، وحيد أحمد صفية، ص ٩٩ .
١١٠ ـ الحاشية، ٦ المعرب للجواليقى ٢٧٦ .
١١١ ـ ورد بلفظ المفرد فى القلم ٦٨/١ والعلق ٩٦/٤، وبصيغة الجمع فى لقمان ٣١/٢٧ وآل عمران ٣/٤٤ .
١١٢ ـ التطور النحوى، ٢٢٨ وانظر: تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٧ .
١١٣ ـ السبع الطوال، ٨/٤ وانظر: تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد على، ٨/٢٥٣ وألفاظ الحضارة ١٠٠ ـ ١٠٢ .
١١٤ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة ١٢، وانظر: بعض اصطلاحات يونانية فى العربية، بندلى جوزى، مجلة مجمع اللغة العربية ٣/١٩٣٦، ص ٣٤٦ .
١١٥ ـ القصائد العشر ٩/١٥٧ .
١١٦ ـ الممتحنة، ٨/٦٠، ومثل ذلك فى النساط ٣/٤ والحجرات ٤٩/٩، والبقرة ٢/٢٨٢، والأحزاب ٣٣/٥، والمائدة ٥/٤٢ .
١١٧ ـ الجن ٧٢/١٤، ٧٢/١٥ .
١١٨ ـ الأعراف ٢٩، آل عمران ٣/١٨، النساء ٤/١٢٧، المائدة ٥/٨، الأنعام ٦/١٥٢ وغيرها .
١١٩ ـ شرح المعلقات السبع للزوزنى ٧/٢٨ .
١٢٠ ـ انظر: المفردات الأجنبية فى القرآن الكريم، وآرثر جيفرى ٢٣٨، والمعرب للجواليقى ٢٥١ .
١٢١ ـ انظر: ألفاظ الحضارة فى المعلقات ٨٤ .

١٢٢ ـ السبع الطوال ٢/٢٢ .
١٢٣ ـ آل عمران ٣/١٤ .
١٢٤ ـ انظر: غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة ٢٦٦ .
١٢٥ ـ انظر: المزهر، ١/٢٧٧ والتطور النحوى ٢٢٨ .
١٢٦ ـ انظر: ألفاظ الحضارة فى المعلقات ١٦٤ .
١٢٧ ـ يوسف ١٢/٢٠ .
١٢٨ ـ السبع الطوال ٣/٣٣ .
١٢٩ ـ المعرب ١٤٨ .
١٣٠ ـ انظر: ألفاظ الحضارة فى المعلقات ١٨٤ .
١٣١ ـ ديوان الأعشى، تحقيق فوزى عطوى، دار صادر بيروت ١٩٨٠، ص١٩ .
١٣٢ ـ انظر: أدب الكاتب، كتاب الأبنية ٣٨٥ ومابعدها .
١٣٣ ـ ديوانه ١٢ .
١٣٤ ـ ديوان الأعشى ص ١٣٨، وفيه «أيهم» بدل «أيكم» .
١٣٥ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى، تحقيق د. إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢، ص١٩١ وفى الحاشية: قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير: ١٠٣٠ القردمان الدروع وهو فارسى أصله كردمانه أى عمل فبقى .
١٣٦ ـ البيت فى شرح ديوان النابغة الذبيانى، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (د. ت) ص ٤٨، وفيه: «وما ريت» بدل «وقارفت» .
١٣٧ ـ شرح ديوان امرئ القيس، تأليف حسن السندوبى، المكتبة الثقافية، بيروت ط٧، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ١٨٤، وفيه: كأن أسرابها رعال .
١٣٨ ـ ديوان الأعشى ص ٩٥ .
١٣٩ ـ ديوان الأعشى، ص ١٢٧ .

الهاء العربية

الصوت والوظائف

(دراسة توليدية)

د. رضوان منيسى عبد الله

مدرس اللغويات ـ كلية آداب بنى سويف

تمهيد

الموضوع:

تقوم فكرة البحث على دراسة الهاء العربية فى إطار مجموعة من العلاقات الصوتية، والنحوية والدلالية التى تبرز الوظائف والخصائص المختلفة لصوت الهاء؛ وذلك لما للهاء من أدوار لغوية متعددة الجوانب تفتح مجالاً للبحث النظرى والتطبيقى. وقد قسمت البحث إلى تمهيد، وموضوع، وخاتمة.

التمهيد: يتحدث عن الهاء والوصف الصوتى لها بين القدماء والمحدثين والنظر إليها باعتبارها وحدة صوتية (فونيم) داخل تشكيلات لغوية ثم يعرض لمنهج البحث.

أما موضوعات البحث الأساسية فقد انتظمت على النحو التالى:

أولاً: هاء الضمير، وتشمل الضمير المنفصل والضمير المتصل.

ثانياً: هاء التنبيه؛ باعتبارها سابقة صوتية.

ثالثاً: هاء السكت؛ باعتبارها لاحقة صوتية.

رابعاً: هاء التأنيث؛ باعتبارها وحدة صوتية مولدة.

الخاتمة: اشتملت على النتائج العامة للبحث حيث تذكر النتائج التفصيلية فى مواضعها من البحث بالإضافة لاشتمال الخاتمة على المصادر والمراجع.

ولا أزعم أننى قد أحطت أو استقصيت كل ما يتعلق بصوت الهاء فى العربية؛ ولكنى أحسب أننى قد حاولت ما وسعتنى المحاولة أن أقدم صورة بنائية متكاملة للهاء العربية بصورة جديدة، أحسب أنها نافعة ولَمِنْ سبقنى فضل السبق، ولِمَنْ استدرك علىَّ فضل التدقيق والتحرى، واستغفر الله من الخطأ والإساءة.

المنهج:

إن دراسة الخصائص الصوتية والدلالية لصوت الهاء العربية وفق المنهج البنيوى التوزيعى يتطلب مجموعة من الإجراءات التصنيفية التى تكشف لنا عن تلك الخصائص[١]، تتمثل فى الخطوات التالية:

١ ـ التجزئة: وتشمل تقسيم الأدوار الدلالية والتشكيلات الصوتية لصوت الهاء. وقد بينت القراءة المبدئية وجود ثلاثة عناصر دلالية أساسية لفونيم الهاء وهى: هاء الضمير (الكناية)، وهاء التنبيه، وهاء السكت، والقاسم المشترك بينها هو الانتماء إلى وحدة صوتية أساسية واحدة بتشكيلات متنوعة.

٢ ـ الاستبدال: تعد الأجزاء الممكن تبادلها عناصر صوتية متماثلة وتسمى البدائل الحرة أو تحقيقات لوحدة صوتية (فونيم).

٣ ـ تحديد محيطات كل عنصر من العناصر السابقة لكى يمكن

مقارنة العلاقات الأفقية (النحوية) بالمحيطات وهى الأجزاء المتجاورة مباشرة.

٤ ـ التصنيف لكل عنصر من العناصر الصوتية حسب الحركات والصوامت وكذلك تصنيف العناصر الدلالية وفق معطيات المعانى النحوية (الأسماء والضمائر وما يلحق بها والأفعال وأسماء الأفعال وما يلحق بها).

٥ ـ مقارنة التوزيعات وذلك من خلال رصد العناصر الصوتية والدلالية على أكثر من مستوى من مستويات الشواهد اللغوية. فهناك القراءات القرآنية ومأثور كلام العرب من الشعر والنثر ولغات القبائل.

٦ ـ النظر إلى فونيم الهاء على أنه عنصر لغوى تحدد وظائفه من خلال موقعه فى النظام اللغوى ومن خلال علاقاته الأفقية (المحيط) وعلاقاته الجدولية (إمكانية الاستبدال وعدمه). ويرتبط الوصف كذلك بإجراءات الكشف عن العناصر البنيوية المكونة والمناهج التى تسوغها للدراسة والوصف والتحليل. ويمكن أن نقول بأننا لا ندرس الهاء بحسبها عنصراً صوتياً فقط، ولكن بالنظر إليها باعتبارها عنصراً صوتياً ولغوياً معاً.

صوت الهاء:

نظر العلماء إلى صوت الهاء على أنه صوتٍ حلقى يخرج من أقصى الحلق[٢] (أسفله)، وهو قريب من النقطة التى تنتج منها الهمزة. وهذا التحديد لا يبعد كثيراً عن تحديد المحدثين حيث ينظرون إلى الهاء بكونها صوتاً حنجرياً[٣]، والحنجرة فى عرف القدماء هى أقصى الحلق وأسفله أو صوت مزمارى يخرج من فجوة لسان المزمار الذى يسد الحنجرة.

والهاء عند سيبويه موصوفة بالرخاوة والهمس والانفتاح[٤]. أما عند

الخليل فتقع الهاء فى المجموعة الصوتية الناتجة من أقصى الفم فهى تقع وسطاً عنده فى الترتيب بين العين الحاء من جهة والخاء والغين من جهة أخرى (ع ح هـ خ غ)، وقد أضافوا لها الهمزة وجعلوها مجموعة الأصوات الحلقية، وصارت الخصائص الصوتية لتلك المجموعة تنطبق على مفرداتها الصوتية مع أن الأحياز الموضعية والصفات الأكوستيكية ونسبة الوضوح السمعى مختلفة من صوت إلى آخر.

ونحاول هنا أن نقدم وصفاً للهاء يُبين أهم صفاتها كفونيم صوتى مستقل، ويوضح علاقاتها الصوتية داخل المجموعة الصوتية المنتمية إليها وكذلك الخارجة عنها وأقرب فونيمات صوتية ذات علاقة.

كيف يحدث صوت الهاء؟

تتكون الهاء العربية عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة (كالفتحة مثلا)، ويمر الهواء خلال الانفراجة الواسعة (نسبياً) الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة، حيث يرفع الحنك اللين (الطبق)؛ فلا يمر الهواء من الأنف، ولا تتذ بذب الأوتار الصوتية محدثاً صوتاً احتكاكياً مهموساً يخرج من الحنجرة(٥).

والهاء فى هذا الوصف الصوتى تنتمى إلى ما يعرف بالانطلاقيات الاحتكاكية التى تشترك فى خاصية عدم توقف تيار الهواء فى أثناء النطق بها(٦) وتمتاز من سائر الانطلاقيات عموماً بحدوث تقارب شديد بين العضوين الناطقين ينشأ عنه تضييق لممر الهواء عند نقطة المخرج، وحدوث حفيف أو احتكاك مسموع، وهذا الاحتكاك ناتج عن اندفاع الهواء خارجاً من خلال المضيق، وتصادم ذرات الهواء بعضها ببعض واحتكاك الدوامة بالسطوح الملامسة من قناة الصوت(٧).

ويختلف شكل المضيق وحجمه عند النطق بصوت من تلك الأصوات الانطلاقية ومن بينها الهاء، فتارة يأخذ شكلاً أخدودياً كما يحدث مع السين والشين والزاى grove - like shape وقد يأخذ شكلاً طولياً شقياً slit - like shape كما يحدث مع صوت الخاء(٨). ويبدو أن شكل المضيق مع الهاء يأخذ شكلاً طولياً شقياً ويبين علماء الأصوات أن تلك الأصوات التى تمتد من منطقة اللهاة حتى المزمار هى أصوات ذات مخرج رأسى وهى أصعب فى الفحص الصوتى؛ لأن أفلام (أشعة إكس) لم تظهر حركات عضلات الحلق، وإنما أظهرت فقط الجدار الخلفى للحلق، ولذلك لم تكن النتائج كاشفة كما كان متوقعاً(٩).

وتلتبس فى صوت الهاء صفة الجهر وصفة الهمس لقربها من وضع الحركات عند المحدثين، فذهب د. «إبراهيم أنيس» إلى أنها صوت مهموس غالباً يجهر به فى بعض الأحيان(١٠) وأيده فى ذلك د. «سعد مصلوح» فهو عنده من الانطلاقيات المهموسة غالباً وليس حتماً(١١) وذهب د.تمام حسان(١٢) إلى أنه صوت فيه بعض الذبذبة فهو مجهور بينما قطع د. أحمد مختار عمر ود. كمال بشر(١٣) بأنه صوت مهموس وجمع د. رمضان عبد التواب بعضاً من هذه الآراء وذهب إلى أنه صوت مهموس وأن الهواء يخرج عند نطقه لصوت الهاء مثل خروجه فى حالة الزفير الاعتيادية، ولولا الحفيف أو الاحتكاك بمنطقة الأوتار الصوتية لما سمِع غير صوت الزفير العادى، وانعدام الذبذبة هو الذى يميزه عن الحركات(١٤). ونخلص من ذلك إلى مايلى:

- صوت الهاء يخرج من الحنجرة فهو استمرارى حنجرى (مزمارى).

ـ صوت احتكاكى، ويتفارق مع صوت الهمزة لكونها من الوقفيات والهاء من الانطلاقيات.

ـ شكل المخرج عند النطق بالهاء يشبه شكل المخرج عند نطق الفتحة.

ـ الهاء صوت مهموس لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية، وهو ما يميزه عن الحركات فإذا جُهر اشتبه بالحركات.

وإذا نظرنا إلى صوت الهاء نظرة فونيمية وظيفية نجد أنه يمثل ألفبائية هجائية فى اللغة العربية، تشكل وحدة صوتية قادرة على إيجاد تغيير دلالى[١٥]. فالهاء فى كلمة: هِلال، قادرة على إيجاد مفارقة دلالية عن كلمة: ظِلال، وكلمة هَجْر تختلف عن كلمة فَجْر، والهاء فى كلمة رَهِبَ قادرة على تغيير المعنى عن رَغِبَ، وكذلك الحال بين وَجْه ووَجْد. وهو صوت أصيل فى اللغة العربية وكذلك فى أخواتها الساميات فكلمة هِلال فى العربية تقابلها helal فى الحبشية وheylel فى العبرية[١٦]. وتشترك الهاء مع مجموعة الحروف الحلقية (الأصوات عميقة المخرج) فى بعض الخواص الصوتية والصرفية فى اللغة العربية، منها أن الفعل على وزن فَعَلَ يَفْعَل بفتح العين فى الماضى والمضارع لا يقع إلا إذا كان عين الفعل أو لامه من حروف الحلق مثل (ذهب، زهد، وهب) مضارعها مفتوح العين (يذهب، يزهد، يهب).

ومن هذه الخواص اللهجية جواز تحريك الاسم الثلاثى ساكن العين بالفتح إذا كانت هذه العين حرف حلق حسب اللهجة التى تنتهى إليها، فيقال مثلاً نَهَر وبَحَر بفتح الهاء والحاء[١٧]. وكذلك (الرَّهْب) فى القصص[١٨]، جاء فى قراءات سبعية بفتح الهاء لغةً بمعنى الخوف[١٩]،

ولَهَب جاءت ساكنة عند ابن كثير ومفتوحة عند الآخرين، ومثل ذلك: ﴿إن الله مبتليك بنَهَر﴾، كما فى قراءة حفص عن عاصم. واللغة المشهورة بسكون الهاء[٢٠].

والميل نحو الفتح فى صوت الهاء ملحوظ فى أخوات العربية، فكلمة (نَهْر) العربية يقابلها فى السريانية nahra، والهاء تنطق ساكنة فى اللغتين ويتحول السكون إلى حركة مركبة فى الآرامية nahĕra تميل نحو الفتح وإلى فتحة طويلة فى اللغة العبرية nāhar[٢١] وفتحة قصيرة فى اللغة العربية فى بعض القراءات (نَهَر) كما رأينا. وبيّن ابن الباذش أنه لاخلاف بين القراء السبعة فى نطق الهاء على ما هى به من السماع من إعراب أو بناء (حركة أو سكون) مثل: (هَداهُمُ الله)[٢٢]، (ويَهْدِى الله)[٢٣].

أولاً: هاء الضمير

هاء الضمير التى للغائب توجد على نمطين: أحدهما له صورة مستقلة فى الكلام؛ وهو ما يعرف بالضمير المنفصل، والنمط الثانى يأتى متصلاً بغيره من الأسماء والأفعال والحروف وليس له صورة مستقلة؛ ويعرف بضمير الكناية وبخاصة عند القراء.

(أ) الضمير الغائب المنفصل:

قال سيبويه: (وأما المضمر المحدث عنه فعلامته: (هُوَ)، وإن كان مؤنثاً فعلامته (هِىَ)، وإن حدثت عن اثنين فعلامتهما (هما)، وإن حدثت عن جميع فعلامتهم (هم)، وإن كان الجميع جمع مؤنث فعلامته (هُنَّ)[٢٤].

ونُقِل عن أبى على الفارسى أن هذه الألفاظ ألفاظ مرتجلة وهى الضمير بجملتها[٢٥]. وهذا ما عليه أغلب البصريين.

وذهب الكوفيون، والزجاج وابن كيسان إلى أن الهاء من (هُو) والهاء من (هى) هى الاسم والواو والياء مزيدتان للتكثير.

وقال أبو حيان: وتأوّله ابن كيسان على سيبويه[٢٦]، وهناك آراء تقول أن الأصل فى ذلك الضمير (هو)، ثم قالوا: هوموا وهون، وهذه زوائد على أصل الضمير[٢٧].

وفى تعليقه على إحدى القراءات الشاذة قال أبو حيان: «وحذف الواو من الضرورات فتقول (هـ) و(هِـ)[٢٨].

أشكال الضمير المنفصل فى لغات العرب:

وأشهر اللغات إثبات الواو والياء مفتوحتين مخففتين (هُوَ وهِىَ). ويجوز تسكين الهاء فى حالات خاصة[٢٩]، ويسكنها قيس وأسد يقولون:

(هُو) و(هِي)[٣٠]، وحكى الكوفيون تشديدها (هُوَّ و(هيَّ)، قال ابن مالك هى لغة همدان[٣١].

ومن خلال العرض السابق لتفسير أشكال الضمير المنفصل ومعرفة أشكال وجوده فى اللغة الفصحى ولهجات العرب يمكن أن نقدم رؤية تحليلية من خلال منهج المدرسة التوليدية فى الخطوات التالية:

الخطوة الأولى:

الهاء المضمومة (هــُـ) هى الوحدة الصوتية الأساسية التى تحمل الدلالة الاسمية لضمير الغائب سواء أكان ضميراً منفصلاً أو متصلاً، ويؤيد ذلك عدة أمور:

١ ـ ما صرح به الكوفيون والزجاج وابن كيسان من أن الهاء من (هُو) و(هِي) هى: الاسم والواو والياء مزيدتان للتكثير.

٢ ـ وجود ضمير منفصل فيما نقله أبو حيان (هــُـ) للمذكر و(هــِـ) للمؤنث، وإن رأى أبو حيان أن حذف الواو والياء ضرورة، فإننا نرى أن هذا من بقايا المرحلة الأولى فى تطور الضمير وأنه الأصل وأن الواو والياء زيادة فى الحركة طارئة على الضمير.

٣ ـ ما يوجد فى اللهجات العربية المعاصرة عند أعراب مصر من نطق الضمير للمذكر بضمة تارة طويلة وتارة أخرى قصيرة.

٤ ـ علامة التثنية وعلامة الجمع بنوعيها تقوم دليلاً على أن الوحدة الصوتية الأولى هى الهاء المضمومة.

ـ هــُـ + ما هُمَا ←—— للمذكر والمؤنث

ـ هــُـ + م (الجمع هُمْ ←—— لجمع المذكر

ـ هـُـــ + ن ـَـ (نون النسوة)

(ضُعِّفت النون لتعميم الحالة)

ـ هـُــ ن نـَـــ هُنَّ ـــــــ > لجمع المؤنث

فالعماد الأساسى لكل ذلك؛ هو الهاء المضمومة فقط. وهذا التفسير عندى أولى من التفسير الذى نقله أبو حيان من أن «هو» أضيف لها (ما) ثم قصرت الحركة (أو حذفت الواو) لأن ذلك يتعارض مع وجود الضمير (هِيَ) للمؤنث.

٥ ـ اتفاق هذه الصيغة (هـــُــ) مع الضمير المتصل فى القيمة الصوتية والوظيفة الدلالية.

لذلك تعد الهاء المضمومة هى أقدم صيغة للضمير الغائب، وهى أصل الضمير المنفصل. أما صيغة ضمير المؤنث (هـــِـ) فقد وقعت من باب المخالفة للمذكر فكما أن الكسرة دلت على التأنيث فى أنتِ، ولكِ وكتبتِ فى خطاب المؤنث جاءت الكسرة مورفيماً للتأنيث مع الهاء فى مرحلة لاحقة،وبخاصة أن الكسرة تتعاقب مع الضمة فى اللغة الفصحى.

الخطوة الثانية:

تطويل (إشباع) حركة الضمة فى المفرد المذكر هـــُــ ـــــ > هـــُــ ـــــ وكذلك فى المفرد المؤنث هـــِــ ـــــ > هـــَــ ـــَــ (بعد اختصاص) الصيغة الأصلية بالمذكر والصيغة المتعاقبة معها بالمؤنث) . وهذه الصيغة هى لغة قيس وأسد وتميم(٣٢)، وقرئ بها فى القراءات القرآنية(٣٣)،وهى مرحلة من التطور تشترك فيها العربية مع أخواتها من اللغات السامية حيث نجدها فى العبرية والسريانية للمذكر وللمؤنث(٣٤).

ويرى القدماء أنها زيدت (أى الواو والياء) للتكثير، وبالمفهوم التوليدى زيدت الحركة فى الكمية أو المدة الزمنية فصارت حركة طويلة.

الخطوة الثالثة:

تحولت الحركة الضيقة (الضمة، والكسرة) إلى صوت انزلاقى؛ لوجود حركة فتح بعدها (صامت شبيه بالحركة) وقد اتخذ ذلك اتجاهين:

الأول: اتجاه اللغة الفصحى تحول الحركة الضيقة (الضمة، أو الكسرة) إلى صوت انزلاقى مخفف هـ ـُـ ـَـ ← هـ ـُـ و ـَـ ذلك فى حالة الوصل هـ ـِـ ـَـ ← هـ ـِـ ى ـَـ.

وللحفاظ على الصوت الانزلاقى عند الوقف وقيمته الصوتية الجديدة لجأت بعض اللهجات العربية التى هى مصدر رئيسى من مصادر الفصحى لاجتلاب هاء السكت عند الوقف مثل هُوَهْ وهِيَهْ، بينما اكتفت لهجات أخرى بالعودة إلى المرحلة السابقة عند الوقف هـ ـُـ ـُـ وهى ـِـ ـِـ. وقد حفلت كتب التراث بذلك، وهو ما نعرض له بالتفصيل فى الجزء الخاص بهاء السكت.

الثانى: تتحول فيه الحركة الثانية إلى صوت انزلاقى مُضَعَّف لتكثير اللفظ.

هـ ـُـ ـَـ ← هـ ـُـ و و ـَـ (هُوَّ)

هـ ـِـ ـَـ ← هـ ـِـ ى ى ـَـ (هِيَّ)

وهو اتجاه لغة همدان ومن جاورها (وهو ما نسمع فى لغة سكان القاهرة وعامة المصريين).

(ب) : ضمير الغائب المتصل :

ويسميه الكوفيون هاء الكناية، وهو فى عرف القراء هاء الضمير التى يكنى بها عن الواحد المذكر الغائب، وحقها الضم إلا أن يقع قبلها كسر أو ياء ساكنة فحينئذ تكسر ويجوز الضم كما قرئ به فى (لأهلهُ امكثوا) و(ما أنسانيهُ) و(عليهُ الله)(٣٥).

قال أبو حيان: (الهاء وحدها الضمير والواو التى تلحقها تقوية للحركة هـ ← هو إلا أن الزجاج يزعم أن الضمير مجموعها والهاء فى لغة الحجاز مضمومة مطلقاً مثل ضربهُ ولهُ، وبهُ، إليهُ، وعليهم وكذلك مَنْ جاور الحجاز من أهل اليمن الفصحاء)(٣٦).

وعلى هذه اللغة قرأ حمزة (عليهمُ - إليهمُ - لديهمُ) بضم الهاء(٣٧).

وقال أبو شامة: «فى إبراز المعانى»(٣٨) (وتلحق الصلة بالواو وبالياء) هاء الضمير لأن هاء الضمير اسم على حرف واحد فناسب أن تقوى).

ولغة أهل نجد من بنى تميم وقيس وأسد يكسرونها فإن وليت ساكناً غير الياء ضمت نحو: منْهُ، وعنْهُ ومن لدنه ولم يضربهُ، وكذلك فى التثنية والجمع نحو: منْهُما ولم يضربْهُما ومنْهُم ولم يضربهم، ولم يضربْهُنَّ(٣٩).

وبنو تغلب يقولون: منْهِم بكسر الهاء وقال أبو حيان: وما أدرى هل يطردون ذلك فى نحو منْهِ ومنْهِما ومنهن أو لا إذا كان ساكناً غير الياء(٤٠). ولكن التراث اللغوى نقل إلينا طرفاً من الذين يطردون ذلك وهم «بنو كلب» فيقولون: منْهِم وعنْهِم وبينِهِم، وسماه علماء اللهجات ظاهرة «الوهْم» وقال الفراء: هى لغة مرفوضة(٤١).

ويمكن أن ننظر إلى التراث اللغوى فى هاء الضمير «هاء الكناية» عن المفرد المذكر الغائب فى ضوء المنهج التوليدى على النحو التالى:

الخطوة الأولى: هاء مضمومة (هـُ) تعبر عن المفرد المذكر الغائب فى لغة الحجاز، وقد حافظت الهاء على الضم عند اتصالها بالضمائر.

بهُ بـِ هـُ لهُ لَـ هـُ منْهُ ن هـُ

عليهُمْ ى هـُ م منهُنَّ منهُمَا..

لغة تميم وقيس وأسد (أهل نجد) اختارت الكسر إذا سبقت بكسرة أو بياء ساكنة.

بهِ بـِ هـِ عليهِمْ ى هـِ مْ

ويبدو أن هذا التغير حديث بالقياس للغة الحجاز؛ وعلى ذلك تكون لغة الحجاز هى الأقدم؛ حيث سبقت الهاء بكسرة طويلة أو قصيرة وتليت بضمة فمالت اللغة إلى المماثلة فأثرت الكسرة أو ما فى حكمها تأثيراً تقدمياً فتحولت الضمة إلى كسرة مثلها وهو تأثير مقبل كلى فى حالة انفصال.

الخطوة الثانية: اللغة الفصحى، اختارت الكسر المشروط لهاء الضمير إذا سبقت بكسرة أو بما فى حكمها من أهل نجد للانسجام الصوتى واختارت الأصل الموجود فى لغة الحجاز أصلاً لهاء الضمير.

الخطوة الثالثة: استمر التطور نحو الكسر عند بنى تغلب بشكل جزئى وطُرِدَ الباب على وتيرة واحدة عند بنى كلب، وصارت هناك معاقبة تامة بين الضم المطلق (فى الحجاز) والكسر المطلق (فى بنى كلب).

القراءات: اختيارات القراء. فمنهم من اختار لغة الحجاز أصلاً له فى القراءة مع الإشارة إلى وجاهة الكسر المشروط (عند أهل نجد) بقراءة بعض الكلمات القليلة بالكسر إذا توفرت فيها الشروط، ومن هؤلاء حمزة والكسائى.

ومن القراء من اختار ما توافق عليه فصحاء العرب في اللغة المشتركة من اعتبار الضم أصلاً، والكسر إذا توفرت شروطه (لَهُما، لَهُ، لَهُم عَنهُنَّ فيهِ ـ بهِ إليهِنَّ عليهِن). وهذا ما عليه بقية القراء السبعة إلا أن بعضهم كان يشير إلى أن الضم فيما توفرت فيه الشروط، جائز فقرأ بالضم فى بعض الكلمات[٤٢]، مثل: حفص عن عاصم فى قوله تعالى: ﴿وما أنسانيهُ إلا الشيطان﴾[٤٣]، وقوله: ﴿عاهد عليهُ الله﴾[٤٤] بالضم، وقراءةورش من طريق الأصفهانى ﴿بهُ انظر﴾[٤٥] بالضم، وقراءة حمزة: ﴿لأهلهُ امكثوا﴾[٤٦] كذلك.

البنية الصوتية لضمير الغائب المتصل:

قال ابن الجزرى فى هاء الكناية: هاء الكناية عن المذكر كثيرة الدَّور فى القرآن الكريم جداً، وهى تتصل بالأسماء والأفعال والحروف، وهى عندهم (أى عند القراء) هاء الضمير المكنى بها عن المفرد المذكر الغائب[٤٧].

ويمكن من خلال ابن الباذش وابن الجزرى أن نستعرض اختيارات القراء السبعة وتلاميذهم فى هاء الغيبة للمذكر فى الخطوات التحويلية التالية:

١ـ الهاء المتلوة بساكن أو ما فى منزلة الساكن:

لا خلافَ بين القراء فى بقاء حركة الهاء (الضمة القصيرة والكسرة

القصيرة) على ما هى عليه فى الفصحى، ولا اعتبارَ عندئذ لما قبلها من حركة أو سكون مثل قوله تعالى: ﴿على عبده الكتاب﴾(٤٩)، ﴿إليه المصير﴾(٥٠)، ﴿ويأتيه الموت﴾(٥٤)، ﴿فقد نصره الله﴾(٥٢) ﴿له الملك﴾(٥٣) ﴿تذروه الرياح﴾(٥٤).

البنية الصوتية: هـ ـــِ ص ص، هـ ـــُ ص ص

النتيجة: إذا تليت هاء الضمير بساكن لا تتغير قيمة حركتها الصوتية من الناحية الكمية، وتحافظ على أصل بنيتها الصوتية

٢ ـ الهاء التى بعدها صامت متحرك [هـ ـــُ / هـ ـــِ] + ص خ

وهى قسمان:

البنية الصوتية

٢ : ١ الهاء التى قبلها حركة ص ح + [هـ ـــُ / هـ ـــِ] + ص ح

٢ : ١ : ١ يُجمع القراء على وصلها بواو إذا كانت الحركة التى قبلها ضمة أو فتحة(٥٥).

التوليد الصوتى: ص ـــَ هـ ـــُ + ص ح ⟵ ص ـــَ هـ ـــُ ـــُ + ص ح

ص ـــ هـ ـــ + ص ح ⟵ ....

أمثلة: ﴿قال لَهُ صاحبهُ وهو يحاوره..﴾. قال : ل ـــَ هـ ـــُ ـــُ

﴿كأنهُ هوُ﴾(٥٧).

٢: ١: ٢ يجمع القراء على وصلها بياء إن كان قبلها كسرة(٥٨).

أمثلة: ﴿يضل به كثيراً﴾(٥٩). ﴿في ربه أن﴾(٦٠) ﴿إذ قال لقومه يا قوم﴾(٦١).

التوليد الصوتى:

ص ـــِ هـ ـــِ + ص ح ——— ص ـــِ هـ ـــِ ـــِ + ص ح

النتيجة: إذ تليت هاء الضمير بحركة، وسبقت بحركة فإن قيمة حركتها تتأثر بما قبلها فتتحول الضمة القصيرة إلى ضمة طويلة (قول القراء توصل بواو)، وتتحول الكسرة المنسجمة إلى كسرة طويلة (قول القراء توصل بياء).

٢ : ٢ الهاء المتبوعة بمتحرك وقبلها ساكن أو ما (فى حكم الساكن) فيها خلاف بين القراء.

٢ : ٢ : ١ ابن كثير (وحده) يجعلها مثل التى قبلها متحرك، فيصلها بواو إن كانت حركة الهاء الضمة أو الفتحة، ويصلها بياء إن كانت حركتها الكسرة.

أمثلة: ﴿مِنْهُ آياتٌ﴾(٦٢)، ﴿خذوه فغلوه﴾(٦٣)، ﴿خذوه فاعتلوه﴾(٦٤)، ﴿فيه هدى﴾(٦٥) ﴿عليه آية﴾(٦٦) ﴿اجتباه وهداه﴾(٦٧).

واتفق معه حفص عن عاصم فى قوله تعالى: ﴿ويخلد فيها مهاناً﴾(٦٨).

النتيجة: إذا تليت الهاء بحركة وقبلها ساكن تظل قيمتها الصوتية كما هى عند الستة (غير ابن كثير).

النتيجة الصوتية: ص هـ ـــُ ص ص ——— ص هـ ـــُ ـــُ ص ح

عند ابن كثير ص هـ ـــِ ص ج ——— ص هـ ـــِ ـــِ ص ح

عند الستة   ص هــُـ ص ح ———— O

ص هــِـ ص ح ———— O

ويمكن أن نعد مجموع البنى الصوتية السابقة عند القراء فى هاء الضمير والبيئة الصوتية المؤثرة فيها يمكن أن نعدها بمثابة قوانين صوتية تجرى على جمهرة القراءات القرآنية السبع المتواترة وهناك حالات خاصة (اختيارات) خرج فيها القراء عن البنية السابقة التى تنتظم فيها هاء الضمير وفق قوانين صوتية ثابتة، وقد جمعت تلك الحالات فوجدتها تتصل فى أكثرها بمجالين متشابهين وهما:

ـ الفعل الأمر المبنى على حذف حرف العلة.

ـ الفعل المضارع المجزوم بحف حرف العلة.

ووجدت النادر القليل فى غيرهما، وهاكم بياناً مختصراً بتلك الحالات:

٢ : ١ الفعل المضارع المجزوم بحذف حرف العلة، وأمثلته:

﴿يؤده إليك﴾(٦٩)، ﴿نؤته منهما﴾(٧٠)، ﴿نوله ما تولى﴾(٧١)، ﴿نصله جهنم﴾(٧١)، ﴿ومن يأته مؤمنا﴾(٧٢)، ﴿يره﴾(٧٣)، ﴿ويتقه﴾(٧٤)، ﴿أن لم يره آحد﴾(٧٥).

٣ : ٢ الفعل الأمر المبنى على حذف حرف العلة، وأمثلة: ﴿فالقه إليهم﴾(٧٦) و﴿أرْجِه﴾(٧٧) و﴿فبهداهم اقتده﴾(٧٨).

جاءت روايات عن القراء السبعة من طرق مختلفة فى الحالتين السابقتين على النحو التالى:

١ ـ إسكان الهاء ٢ ـ اختلاس الهاء بالكسر ٣ ـ إشباع الهاء بالكسر.

وهنا البنية الصرفية للفعل حُذف منها العجز وهو حرف العلة فتولدت بنية صوتية فى «هاء الضمير» تشبه البنية الصوتية التى تلحق بها هاء السكت، فحمل هاء الضمير على هاء السكت؛ فمن قرأ بالإسكان؛حمل الوصل على الوقف، ومن قرأ بالكسرة القصيرة أو الضمة القصيرة نظر إلى الجزم الحادث للفعل أو التسكين السابق للهاء.

ومن قرأ بالإشباع عاملها معاملة ابن كثير فى قراءته فنظر إلى ما بعد الهاء من متحرك ولم ينظر إلى عملية الجزم أو البناء المشابهة لها.

البنية الصوتية مضارع مجزوم هـــُ هـْ هـــُ هـــُـــُ

أمر مبنى هـــُ

حذف حرف العلة مضارع مجزوم هـــِ هـْ هـــِ هـــِـــِ

أمر مبنى هـــِ

حمل على السكت   موافقة جمهور القراء   ابن كثير

ـ ونلحظ مما تقدم أن المؤثر الأساسى عند القراء السبعة هو مراعاة ما بعد الهاء من حيث الحركة والسكون، فحيث وجدت الحركة بعد هاء الضمير عملت القوانين الصوتية.

ـ هاء الضمير ذات حركة أصلية هى الضمة التى تميز هاء الضمير عن غيرها من الهاءات، ولكنها تأتى مكسورة من باب المماثلة.

ـ توافق القراء فى حالة الوقف على الهاء أن تسكن الهاء إلا ما ندر.

ـ قد تحمل هاء الضمير على هاء السكت عند بعض القراء والمؤثر الأساسى هو حذف حرف العلة (فى جزم المضارع وبناء الأمر).

ـ اللغة المشتركة (الفصحى) هى الأصل عند جميع القراء.

واختار ابن كثير لغة الحجاز أصلاً له فى القراءة، واختار الباقون اللغة المشتركة، وقرأوا بعض كلمات على ما خالفت فيه لغة الحجاز اللغة المشتركة.

(د) : هاء الغائبة (البارز المتصل)

اتخذت اللغة الفصحى صوت الهاء مورفيما لضمير الغائب المذكر وجعلت حركته الأصلية الضمة وأحياناً الكسرة للمناسبة،كما رأينا فلا عجب أن تجعل الفتحة هى القيمة الصوتية الأساسية لهاء الغائب المؤنث حيث الفتحة عدوة الضمة والكسرة، وذلك على سبيل المخالفة بين حالة التذكير وحالة التأنيث ثم طولت الفتحة فصار مجموع الهاء والألف هو الضمير (ها). ولم نجد فيها اختلافاً يذكر عند القبائل حيث تمثل لاحقة صوتية وصرفية دالة على التأنيث تمثل نمطاً واحداً عند الغالبية العظمى من القبائل العربية.

وقد وجدتُ آثاراً نادرة وقليلة تبين أن الهاء الساكنة بدون الفتحة القصيرة أو الطويلة هى مورفيم التأنيث المتصل. وجاءت فى النثر فى قولهم: (والكرامة ذات أكرمكم الله بهْ) يريدون (بِهَا)[٨٠]. وفى بيت رواه قطرب[٨١] وهو قوله (البسيط):

أعلقت بالذيب حبلاً ثم قلت له	الحق بأهلك واسلم أيهـا الذيب
أمـا تقـود به شـاة فتـأكلهـا	أو أن تبيعه فى بعض الأراكيب

يريد تبيعها، فحذفت الألف.

قال ابن جنى[٨٢]: الهاء فى مثل رأيتها ونظرتها.. لم يقل إلا بإثبات الألف.. وقال إن مَنْ حذفها (وهو شاذ) فتشبيها بالواو والياء وأورد أبو حيان[٨٣] قول بعضهم، بأن الألف زائدة لتقوية الهاء وبناءً على الرؤية السابقة فى (هاء) الضمير عموماً يمكن أن نتصور صوت الهاء + فتحة قصيرة (مورفيم التأنيث)، ثم طولت تلك الحركة فصارت بهذا الشكل فى الفصحى، ولم يحدث لها أى تغير صوتى أو دلالى.

ثانياً: هـاء التنبيه

(ها) التنبيه هى سابقة صوتية ذات وظيفة دلالية تتقدم على الأسماء المبهمة لينتبه لها[٨٤]، وعدها ابن الحاجب من العوامل النحوية التى فى معنى الفعل. قال الرضى: أى ما يستنبط منه معنى الفعل[٨٥] ولذلك نعدها من حروف المعانى التى لها أكثر من وظيفة دلالية.

فالوظيفة الأساسية لها التنبيه إلا أنها تأتى توكيداً أو معاضدة للتوكيد أو القسم، ونحو ذلك فنقل ابن خالويه[٨٦] عن سيبويه قوله: (وأما الألف والهاء اللتان لحقتا «أى» توكيداً فكأنك كررت «يا» مرتين إذا قلت (يا أيها) وصار الاسم تنبيهاً). وقال ابن خالويه: وهو حسن جداً، وقد وقع عليه الزمخشرى، فقال: وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدة تبيين معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً عما يستحقه من الإضافة»[٨٧].

وإذا نظرنا إلى (ها) التنبيه وجدنا بنيتها الصوتية تتكون من صوت الهاء مضافاً إليه الفتحة الطويلة (هـــــــَــ)، وهى موجودة فى اللغة الآرامية والسريانية[٨٨] بنفس البنية الصوتية فى العربية (H ā) للتنبيه. وهذه البنية الصوتية استخدمتها العربية فى وظائف دلالية غير التنبيه، ففى بداية الجملة، كلمة (إجابة) أى أنها تستخدم بمعنى (نعم) واستخدمت اسم فعل أمر بمعنى خُـذْ، وتلحق بها كاف الخطاب[٨٩] مثل هاكَ وهاكِ.. ويظهر لى أن وظيفتها الدلالية الأولى كانت اسم فعل بمعنى (خُذْ) وهو رد بالإيجاب على سؤال سائل، ثم فُرِّغ اسم الفعل من معناه، وصار لازمة صوتية تسبق الجمل الاسمية المثبتة البادئة بأسماء مبهمة، ثم امتدت إلى أساليب مشابهة. وأهم الأنماط النحوية التى وردتها ها التنبيه ما يلى:

١ ـ التنبيه على أ ماء الإشارة (ها + اسم الإشارة).

دخلت (ها) على أسماء الإشارة ذا وذه أو لاء، فتولدت صيغ صوتية جديدة وصارت كأنها كلمة واحدة فى الكتابة (هذا وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء). وقُرِئَ فى الشواذ بدون (ها) التنبيه (إن ذان لساحران)[٩٠] ونلحظ أن (ها) سابقة صوتية تؤدى وظيفة دلالية هى التنبيه كما نلحظ أنها تفيد فى تكثير بنية أسماء الإشارة التى على حرفين، ولذلك نظر إليها العلماء كحرف تعويض عن النقص الحادث فى بنية الأسماء المبهمة، فهى لا تدخل على (ذلك) أو (تلك)[٩١] لأنها استغنت باللام وكاف الخطاب[٩٢] عن (ها) التنبيه فاستقرت بنيتها الصرفية، وقد دخلت واو العطف بين (ها) التنبيه واسم الإشارة اعتماداً على اتصال التنبيه باسم الإشارة فى الجملة السابقة المعطوف عليها قال لبيد:

نحن اقتسمنا المال نصفين بيننا فقلت لهم: هذا لها ها وذا ليا

قال النحاة[٩٣]: الشاهد (هذا لها ها وذا ليا) حيث استخدم (ها) للتنبيه وإنما جاز تقديم (ها) على الواو؛ لأنك إذا عطفت جملة على أخرى صارت الأولى كالجزء من الثانية فجاز دخول حرف التنبيه عليها.

٢ ـ التنبيه على الضمائر وبنيته على النحو التالى:

ها + ضمير + اسم إشارة. ــــ ﴿ها أنتم أولاء﴾.

ها أنا ذا ها أنتم هؤلاء ها أنت ذا ها هو ذا ها هى ذه

واستغنى الأسلوب بدخول (ها) التنبيه على الضمير عن دخوله على اسم الإشارة إلا فى (ها أنتم هؤلاء) فقد دخل التنبيه على الضمير وعلى اسم الإشارة فى جملة واحدة. وقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات

بتكرار ها التنبيه[٩٤] ومرة واحدة بدون تكرار له[٩٥]. قال الأندلسى: كرّر هاء التنبيه للتوكيد.

وإلى جانب التنبيه استخدمت للتوكيد بالإضافة إلى تكثير بنية الضمير واختلفوا فى إعراب الجملة الفعلية الواقعة بعد هذا الأسلوب، فقال البصريون: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ آل عمران/ ١١٩ جملة (تحبونهم) فى محل نصب على الحال أى فى تقدير: ها أنت ذا قائلاً، قالوا والحال هنا لازمة؛ لأن الفائدة معقودة بها والعامل فيه حرف التنبيه أو اسم الإشارة[٩٦]، وقال غيرهم: هى مستأنفه ولا محل لها، فهى جملة لازمة بعد اسم الإشارة لبيان الحالة المستغربة[٩٧].

واختلفوا أيضاً فى إعراب (أنتم هؤلاء)؛ فمن نظر إلى مرتبة (ها) التنبيه فى الجملة لكونها سابقة ومنزلتها التقديم أعرب «أولاء» مبتدأ مؤخراً، وأنتم خبر مقدم ومن هؤلاء أبو حيان الأندلسى وابن الباذش. قال الثعالبى: والعلة فى ذلك دخول التنبيه عليه (أى على المبتدأ) لاختصاصها بأول الكلام[٩٧].

٣ ـ التنبيه على أسلوب النداء.

تدخل (ها) التنبيه على «أى، وأية» للنداء، قال البيضاوى: (وأى وصله إلى نداء المعرّف باللام، فإن إدخال (يا) عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى تعريف؛ فإنهما كمثلين، وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له، والتزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود، وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه ـــ (يريد الإضافة) ـ وإنما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن الكريم[١٠٠] لاستقلاله بأوجه من التأكيد.

وقال الرضى[١٠١]: وأبدل ها التنبيه من المضاف إليه لأنه لم يكن يخلو من مضاف إليه أو من تنوين قائم مقامه نحو ﴿أيًّا ما تدعوا﴾ الإسراء/ ١١٠، وليس هذا موضع التنوين، وأيضاً التنوين بدل وتصلح (ها) أن تكون لاحقه دلالية بالنظر إلى أى أو سابقة بالنظر إلى الاسم الموصول المبهم الآتى بعدها. ولذلك قال البيضاوى بأنها مقحمة بينهما. ونلحظ هنا أن (ها) التنبيه جاءت لوظيفة أساسية هى التعويض عن الإضافة حيث لا يصلح التنوين فى الدخول على المعارف ولا يمنع ذلك دلالتها على التنبيه. وهذا ما أكد عليه الزمخشرى مع التأكيد حيث قال: (تبين معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضاً مما يستحقه من الإضافة)[١٠٢].

وقد رسمت فى المصحف الشريف (أيها) (أيتها) متصلة كما ظهرت فيها ألف المد إلا فى ثلاثة مواضع، قال الزركشى: سقطت الألف الزائدة (فى الرسم) لتطويل هاء التنبيه فى النداء فى ثلاثة أحرف ﴿أيه المؤمنون﴾[١٠٣]، ﴿يا أيه الساحر﴾[١٠٤]. ﴿أيه الثقلان﴾[١٠٥]، فقلت لهم: هذا لها ها وذا ليا[١٠٦] ثم فسر ذلك تفسيراً دلالياً، فقال: فيها إشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة[١٠٧].

وأرى أن تقصير الفتحة الطويلة جاء إشارة إلى لغة من لغات العرب تحذف الألف، وهى لغة بنى أسد[١٠٨]، يقولون: (أيُّهُ الثقلان) بضم الهاء فى الوصل إتباعاً. وقد حرص كتّاب المصحف على الإشارة إلى طرائق العرب المختلفة فى الأداء عن طريق الخط ما أمكنهم (أىّ + ها) أيّها.

ء ـَـ ي يـُـ + هـَـ ـَـ   ء ـَـ ي يـُـ + هـَـ ـَـ

تقصير الحركة + مماثلة رجعية (أيُّهُ) ء ـَـ ي يـُـ + هـُـ ـُـ

وفى تفسير الخليل لاسم الفعل (هلُمَّ) يرى أنها مركبة من (ها) التنبيه وفعل الأمر (لُمَّ) من قولك (لَمَّ) الله شعثه أى جمعه، أى أجمع نفسك إلينا فى اللازم، وأجمع غيرك فى المتعدى وتغير معناه بالتركيب، فصار بمعنى أقبل، أو أحضر بعدما كان بمعنى أجمع(١٠٩).

ونلحظ هنا أمرين: (ها) التنبيه فى هذا التفسير قد قصرت حركتها

(ها + لُمَّ) هـَـــــ + لُـــمْ مَـــ هـَــ لُـــمْ مَـــ

الثانى: دخولها على الفعل(١١٠) وقد دخلت فى الأساليب السابقة على الأسماء المبهمة وتوليد كلمة جديدة ذات دلالة جديدة.

٤ ـ التنبيه على أسلوب القسم.

تدخل (ها) التنبيه فى أسلوب القسم على الاسم والحرف فى النفى والإثبات، مثل قولهم: لا، ها الله ذا ما فعلت.

وها الله بقطع الهمزة ووصلها مع إثبات الألف(١١١).

وقولهم: لا ها لله ذا. وقولهم(١١٢): ها لعمر الله ذا قسماً.

دخلت على الحرف (الجار والمجرور) وفى غير القسم أورد النحاة قول النابغة:

ها ن تا عِذره إن لم تكن نفعت فإن صاحبها قد تاه فى البلد

دخلت (ها) على (إنَّ) وقال بعضهم: ها إن زيداً منطلق(١١٣).

ومن خلال الدراسة الوصفية لـ (ها) التنبيه فى التراث اللغوى نتبين الملحوظات التالية:

١ ـ ها (التنبيه) سابقة صوتية ذات وظائف دلالية أهمها التنبيه والتوكيد، وتؤدى العمل النحوى للفصل فى بعض السياقات.

٢ ـ الأصل فى (ها) التنبيه صوت الهاء بحركة الفتحة القصيرة ثم طولت حركتها.

٣ ـ دخلت (ها) التنبيه على الأسماء المبهمة كثيراً والأفعال والحروف قليلاً وحافظت على مصاحبة لغوية مع اسم الإشارة.

نمط ٢ ها + (اسم فعل أو حرف) اسم الإشارة

نمط ١ ها + (اسم الإشارة).

٤ ـ رتبة (ها) التنبيه الصدارة فى الجملة ولازمت بذلك الابتداء.

٥ ـ من الوظائف الصرفية زيادة بنية الكلمة (الإشارة والضمائر) وكذلك فى بعض الأفعال مثل (لُمَّ).

٦ ـ من الوظائف الصرفية أيضاً التعويض عن الإضافة فى أى.

ثالثاً: هـــاء السكت

مـصطلح أطلق على تصـويت ناتج عن الوقف فـى أسـاليب عـربيـة خـاصــة ليـؤدى وظـائف لغـويـة، لكنه تجـاوز ارتبـاطـه بالوقف فـى بعض الأحيـان إلى الوصل؛ فتـولدت عن ذلك وظـائف جـديدة، فما هو مـفـهوم ذلك الاصطلاح؟ ومـا عـلاقته بالوقف؟ ومـاذا عن الوظـائف التـى تؤديها هاء السكت من الناحية الصوتية والدلالية؟ ومـا تلك الأساليب والتعبيرات التى تـرد فـيـهـا ومـا هـى أهم المشكلات؟ وأسـئلة أخـرى يمكن أن تطرح ونحاول فى هذا العرض وصفها وتحليلها ومن ثم تفسيرها...

الوقف والسكت:

الوقف: قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة، ويختلف مفهوم الوقف فى الاصطلاح بين النحـاة والقراء وفق معايير كل فريق، فالنحـاة عندهم الوقف الاخـتيارى: هو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظ، وهو الوقف من أجل الوقف، وغير الاختيارى: هو الوقف الذى يكون استثباتاً أو إنكاراً، أو تذكاراً أو ترنما[١١٤]. أما القراء فيختلف المصطلح لديهم بالنظر إلى الرسم العثمانى وحكم القراءة وبالنظر إلى حال القارىء؛ فمن حيث الرسم لديهم مـصطلحان: وقف قياسى، مـا وافق الرسم العثمـانـى، ووقف اصطلاحى، وهو مـا خـالف الرسم العثمانى، ومن حيث حكم القراءة عند كل قـارىء؛ فهناك وقف لازم، ووقف جـائز. وحكم الوقف مستمد من الرواية والسماع وأحكام القراءة ومن حيث القارىء؛ فهناك وقف اختيارى (حسب الرواية والسمـاع) ووقف اضطرارى (لانقطـاع النفس)، ووقف اختبـارى (بالباء) (لل[illegible] التدريب)[١١٥] وإذا نظرنا إلى تلك الأنواع من الوقف وجـدنا أن أية [illegible]ـمة فى القرآن الكريم سواء أكانت اسماً أم فعلاً أم حـرفاً معرضة

للوقف عليها بأى نوع من أنواع الوقف السابقة، ويترتب على ذلك بيان حكم هاء السكت فى أنواع كثيرة ومختلفة من الكلمات فى القراءة القرآنية، وإذا جمعنا بين مفهوم الوقف عند النحاة وكذلك عند القراء وجدنا أنه فى كل أنواع الوقف يحدث لآخر اللفظة حالة من الحالات التالية:

١ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية وظهور حركة إعرابها أو بنائها على الحرف الآخر (وذلك بالروم والإشمام أو مطل حرف العلة أو التضعيف).

٢ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية واختفاء حركة الحرف الأخير (لزوم السكون كما فى اللغة الفصحى).

٣ ـ حذف الحرف الأخير أو إبداله أو قلبه إلى حرف علة (يعالج فى أبواب الإبدال).

٤ ـ احتفاظ الكلمة ببنيتها الصرفية وزيادة هاء السكت.

٥ ـ حذف الحرف الأخير من الكلمة وإلحاق هاء السكت.

والحالتان الرابعة والخامسة تكشفان عن العلاقة التى تربط بين السكت والوقف[١١٦]، فالسكت نوع من الوقف[١١٧]. وهاء السكت أثر يتولد عن الوقف فى إحدى اتجاهاته، وتنبع أهمية الوقف مما يمثله الحرف الأخير من وظائف صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية. فالحرف الأخير هو عجز الكلمة ويحمل علامة الإعراب أو البناء التى يستمد منها التركيب دلالاته النحوية، وفى نفس الوقت هذا الحرف (الصوت الأخير فى الكلمة) عرضة للتغيير، فإن زاد دفق الهواء تولد صوت جديد، وإن قل دفق الهواء وانقطع النفس ذهب الحرف الأخير وتولد صوت آخر. فكيف تصرفت

اللغة فى ذلك باجتلاب (اللاحقة الصوتية) هاء السكت؟ وما وظيفة الهاء من الناحية الصوتية والدلالة النحوية؟

ويمكن طرح الفروض السابقة من خلال عرض الأنماط التى تدخلها هاء السكت فى الأساليب المختلفة من خلال القراءات القرآنية وكلام العرب؛ ومن ثم مناقشة منهج النحاة والقراء فى وضع القوانين والضوابط التى تحدد خصائص هاء السكت الصوتية والوظيفية.

أولاً: فى المركبات الاسمية:

١ : ١ ـ النداء والندبة: (الأمثلة من كتاب سيبويه والارتشاف وشرح المفصل). تلحق هاء السكت الألف التى فى النداء مثل: يا غلاماه، وتلحق الألف والياء والواو فى الندبة مثل قول الخنساء: واصخراه، واصخراه.

وهاء السكت لازمة عند الوقف، وتحذف فى حالة الوصل إلا فى الضرورات الشعرية ومن ذلك قول الشاعر:

فواكبدا من حبٍّ من لا يحبنى ... ومن عبرات ما لهن فناء

وقول الآخر:

كم قائل يا أسعد بنى سعداه ... كل امرئ باك عليك أراه

ونلحظ أن الصوت الأخير جاء فى النداء والندبة على النحو التالى:

صَ ـَـ ـَـ ← صَ ـَـ ـَـ هـ

وهناك عدة أنماط للندبة غير ما تقدم ص + صوت لين + هـ

١ :٢ ـ فى حالة العطف:

يا زيدُ والحارثاه

وازيدُ وعمراه

١ :٣ ـ فى الاسم المقصور

واموساه ـــ> ص ـَ ـَـ ـــ> ص ـــَ ـــَ هـــ

يحذف أحد صوتى اللين فى الاسم المقصور (موسى)

١ :٤ ـ فى حالة الاسم الموصول: وامن قتله ابن ملجماه

١ :٥ ـ فى الاسم الممدود فى مثل: زكرياء، وورقاء، هناك اتجاهان:

ـ القياسى ، تقول: وازكرياءاه قال به بعض البصريين

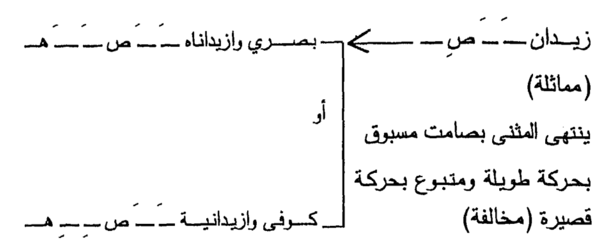
واورقاءاه ص ـَـ ـَـ هـ

ـ السماعى والكثير وازكرياه بحذف الهمزة، ثم معاملته معاملة الاسم المقصور (وهو الوجه الجائز فقط عند الكوفيين) واورقاه ص ـــَ ـــَ ء ـــ ـــ هـــ ـــ> ص ـــ ـــ هـــ

١ :٦ فى المثنى والتركيب الإضافى والأسماء المبنية، هناك اتجاهان:

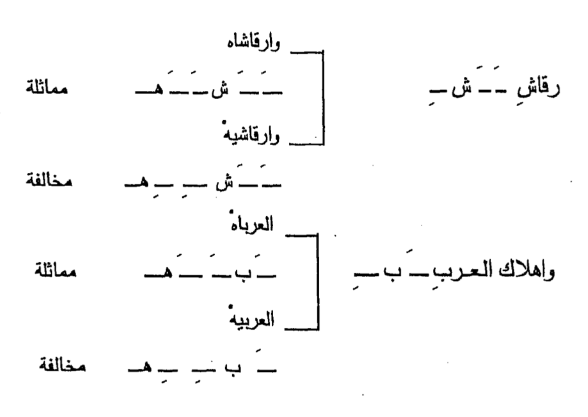
ـ القياسى، تقول فى ندبة المثنى: وازيداناه، وفى المركب الإضافى: واهلاك العرباه، وفى المبنى: وارقاشاه.

ـ والسماعى، وهو مرجح عند الكوفيين، وابن السراج، حيث يرون أن الندبة تابعة للإعراب فيقولون فى الأمثلة السابقة: وازيدانيهْ، واهلاك العربيهْ، وارقاشيهْ.



القوانين الصوتية تعمل فى المثنى،فإما أن تطول الحركة القصيرة وتتماثل مع ما قبل الصامت فى تأثير تقدمى (مماثلة فى حالة انفصال) وهو القياس ومذهب البصريين.

وإما أن تطول الحركة القصيرة وتتخالف مع ما قبل الصامت وبالتالى تحافظ على علامة البناء الأصلية لنون المثنى وهى الكسرة وهو مذهب الكوفيين وما يسرى على المثنى يسرى على الاسم المبنى وكذلك التركيب الإضافى فى الندبة.



ونخلص من ذلك أن الصامت الأخير فى المثنى والمضاف والاسم المبنى على الكسرة يقع بين حركتين مختلفتين فتح وكسر ـَ ص ـِ، فإما أن تحدث مماثلة وهو اتجاه البصريين أو تحدث مخالفة وهو اتجاه الكوفيين. ونلحظ أن الحركة السابقة للصامت أقوى فى التأثير من الحركة اللاحقة مما يبين ضعف حركة الصامت الأخير، ولذلك جاءت هاء السكت للحفاظ على تلك الحركة سواء أكانت حركة إعراب (فى المضاف) أم حركة بناء (فى بقية الأمثلة).

١ : ٧ ـ الاسم المندوب المنتهى بهاء (غير هاء السكت)

وقد تكون الهاء هاء ضمير مثل: انقطع ظهره، أو أصلية مثل: عبدالله، وجهجاه.

١ : ٧ : ١ ـ تقول فى الندبة من (انقطاع ظهره): وانقطاع ظِهر هِيهْ على اللفظة فى (بِهى) وتقول: وانقطاع ظهر هوه على اللفظة (بهو).

هـ ـِ ـــ< هـ ـــ ـِ ـ هـ ـــ وهنا حدثت مماثلة لحركة الهاء وصارت حركة طويلة مع

هـ ـــُ ـــ< هـ ـــ ـــُ هـ ـــ هاء السكت تمثل مورفيم الندبة.

ولا يجوز إثبات هاء الندبة المتصلة بهاء الضمير فى الوصل إلا فى الضرورة.وما جاء من ذلك إنما هو من إجراء الوصل مجرى الوقف وهذا ما يكاد يجمع عليه النحاة إلا أن الفراء أجاز إثبات هاء السكت فى الوصل متحركة بالضم أو بالكسر.

هـ ـِ ـــ< هـ ـــ ـِ ـ هـ ـــ< هـ ـــ ـــ هـ ـــ

هـ ـــُ ـــ< هـ ـــ ـــُ هـ ـــ< هـ ـــ هـ ـــ عند الفراء فى الوصل

ويتضح أن التأثير التقدمى للحركات امتد إلى هاء السكت وأعطاها جنس حركة الضمير الأصلية تحت عمل قانون المماثلة الصوتية، ونلحظ هنا أن تحريك هاء السكت فى الوصل جاء حملاً لها على هاء الضمير لوجود العلاقة الصوتية المباشرة (المجاورة فى البيئة الصوتية وعمل قانون المماثلة).

١:٧:٢ ـ عبدالله ـَـَـ هـ ـ واعبدالله ـَـَـ هـ

جهجاه ـَـَـ هـُـ واجهجاه ـَـَـ هـ

الهاء الأصلية مسبوقة بألف تتشابه صوتياً مع ألف الندبة وهاء السكت فاستغنى بهما، وبالتالى حذفت الحركة التابعة للهاء الأصلية حتى تتماثل مع هاء السكت من الناحية الصوتية والوظيفة الأسلوبية، وهذا رأى ابن مالك أما أبو حيان فلا مانع عنده من القياس فيقول: واعبد اللهاه، واجهجاهاه على القياس.

ومن خلال الأشكال السابقة للندبة يتضح ما يلى:

الشكل الأساسى للنداء والندبة فى حالة الوقف يتكون من:

ص + حركة طويلة (الفتحة فى الفصحى غالباً والضمة والكسرة فى بعض اللهجات) + هاء السكت (مقطع طويل مغلق).

إذا كان الصامت متبوعاً بفتحة طويلة (الاسم المقصور) فإنه يكتفى بإضافة هاء السكت ليتجانس مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت صوت الهمزة الممدودة (فى الاسم الممدود) حذفت الهمزة وبقيت المدة، ثم أضيفت لها هاء السكت لتنسجم مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت هاءً أصلية مسبوقة بحركة استغنى بها عن الندبة وهاء السكت وقامت مقامها لينسجم مع الشكل الأساسى.

إذا كان الصامت الأخير حركته الأساسية كسرة مثل الأسماء المبنية على الكسر والمثنى والمضاف فإنه ينسجم تبعاً لقانون المماثلة، ويتجانس مع الشكل الأساسى. هذا ما اتبعته اللغة الفصحى وعليه جمهور النحاة. وتوجد أشكال أخرى بعضها قياسى وبعضها سماعى، لكن ذلك لا يمثل اللغة الغالبة. وقد أشرت إليه فى أثناء التحليل ويكشف لنا التحليل الصوتى فى النداء والندبة أن الهاء جاءت لإغلاق المقطع الطويل المفتوح، وهى الوظيفة الأساسية للهاء هنا.

٢ : ١ ـ ما فسر على الندبة والنداء فى القراءات

جاء فى قراءة عن رويس بإثبات الهاء فى قوله تعالى: ﴿يا ويلتى﴾[١١٨]، وفى قوله تعالى: ﴿يا أسفى﴾[١١٩]، ﴿يا حسرتى﴾[١٢٠]، وكذلك فى قراءة عن ابن جبير عن أبى عمرو: (يا ويلتاه ـ يا أسفاه ـ يا حسرتاه)[١٢١]، وقرأ غير حمزة والكسائى من السبعة بغير إمالة وحجتهم أنها ألف الندبة ولا أصل لها فى الإمالة[١٢٢].

قال ابن خالويه: هذه أصعب مسألة فى القرآن، فالحسرة لا تنادى وإنما تنادى على الأشخاص؛ لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب كقولك: يا عجبا لم فعلت؟! قيل: فكأن التقدير يا عجباً احضر، يا حسرة احضرى، ومنهم من قال: الأصل يا حسرتاه، ثم أسقطوا الهاء تخفيفاً؛ ولهذا قرأ عاصم: (يا أسفى على يوسف) وقال ابن جنى: معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها[١٢٣]، ونقل عن ابن عباس: يا حزناً على النداء وكذلك عن مجاهد: يا جزعا[١٢٤]، وذكر

صاحب المحرر الوجيز (٢٧٢/٣) قوله: يا أسفى على جهة الندبة وحذف الهاء التى هى فى الندبة علامة المبالغة فى الحزن تجلداً منه ـ عليه السلام ـ إذ كان ارتبط إلى الصبر الجيل، أو هو نداء فيه استغاثة، وقال فى موضع آخر: قراء الجمهور يا ويلتَى (بالفتح)، والأصل يا ويلتىِ (بكسر التاء)؛ لكن مِنْ العرب مَنْ يبدل من الياء ألفاً، ويفتح الياء لذلك، فيقولون: يا ويلتى، يا غلاما، ويقف بعضهم على هاء السكت فيقول: يا ويلتاه(١٢٥).

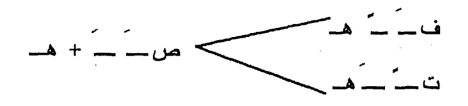
وهناك من فسر الألف فى الكلمات الثلاث بأنها لغة من يرد الياء (ياء الإضافة) ألفا نحو: يا غلاماً، يا أبتا، فى يا غلامى، يا أبتى؛ فالألف بدل ياء الإضافة، وقال الزجاج: أبدل من الياء ألفا لخفة الفتحة(١٢٦).

يا أسفاه

يا حسرتاه ـــــ هناك من القراء من أثبت الهاء فى الوقف.

وهذا ينطبق عليه الشكل الأساسى للنداء والاستغاثة والندبة: يا ويلتاه.

وهناك من أسقط الهاء فى الوقف، لكنه قرأ على كونها من النداء أو الندبة، وأسماه بعضهم الندبة المخففة وكأنه أجرى الوقف مجرى الوصل. ولذلك لا يميل الألف فى الوقف ولا فى الوصل.



ونلحظ ما يلى:

ـ حذف الهاء وتسمى الندبة المخففة.

ـ إبقاء الهاء (فى بعض القراءات القليلة). وهناك من اعتبر الألف منقلبة عن ياء الإضافة، وبالتالى أخرجها من باب هاء السكت.

٣ ـ ما فسر على الندبة والنداء فى الشعر

٣ : ١ قال الشاعر (عبد يغوث الحارثى):

فيا راكبا إما عرضت فبلغ ندامای من نجران أن لا تلاقيا

قال أبو عبيدة: أراد يا راكباه للندبة محذوف الهاء كقوله تعالى: يأسفى، ولا يجوز يا راكباً بالتنوين لأنه قصد بالنداء راكبا بعينه.....

٣ : ٢ ـ وكذلك يوجه بيت الراعى:

يا عجبا للدهر شتى طرائقه والمرء يبلوه بما شاء خالقه

أنشده سيبويه منوناً وأنشده ابن جنى بدون تنوين على أن ابن جنى يرى أنها ياء قلبت ألفا(١٢٨).

٣ : ٣ ـ وفى قول امرئ القيس(١٢٩):

وقد رابنى قولها يا هناه ويحك ألحقت شرّ بشر

يا هَنُ أى: يا رجل، أقبل ولك أن تدخل فيه الهاء لبيان الحركة فتقول: يا هِنُه، ولك أن تشبع الحركة فتتولد الألف فتقول: يا هناه، أقبل. هذه اللفظة تختص بالنداء خاصة وحركة الهاء فيها منكرة وقال ابن برى: هذه الهاء هاء السكت عند الأكثر، وقال أبو على: الهاء من هناه إنما ألحقت لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة، ثم شبهت بالهاء الأصلية فحركت(١٣٠).

يا عجبا، يا راكبا ب ـَـ ـَـ هـ، ب ـَـ ـَـ

هنُ ← هـ ـ نُ ـ ← هـ ـ نَ ـ هـ ـ هـ ـ نَ ـ ـَ ـ هـ مماثلة لماقبلها

ـ هـ ـ نَ ـ ـَ ـ هـ ـُ تقل الحركة

بعد المماثلة إلى الهاء قال أبو على: (حملاً على الهاء الأصلية).

النتائج: ١ ـ حذف هاء السكت.

٢ ـ تحقيق الشكل الأساسى.

٣ ـ تحقيق الشكل الأساسى مع زيادة الحركة حملا على هاء الضمير.

٤:٣ ـ مما يلحق بالأمثلة المتقدمة قول بعض العرب فى الإشارة هؤلاء، وها هناه

هؤلاء ← هؤلا ← هؤلاه

ها هُنا ← ها هناه ←

وكأنهم حَمَّلوا اسم الإشارة مخفف الهمزة واسم الإشارة المسبوق بها التنبيه؛ حيث يتشابه آخره بالنداء والاستغاثة من الناحية الصوتية (عليهما)؛ فلفظة هاهنا تنتهى بصامت ذى حركة طويلة ص ـَ ـَ، فتدخل هاء السكت لتغلق المقطع الطويل.ومع أن الأسلوب للإشارة وليس للنداء إلا أن التشابه الصوتى حوّل الإشارة إلى ذلك.قال سيبويه: لقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف فى الوقف لأن الألف خفية فأرادوا البيان، واعلم أنهم لا يتبعون الهاء ساكناً سوى هذا من الحروف الممدودة؛ لأنه خفى فأرادوا البيان...(١٣١) على أن الوقف فى [هؤلا وههناه] بهاء السكت غير لازم، فهناك ناس من العرب كثير، كما قال سيبويه لا يلحقون الهاء(١٣٢).

٤ ـ أسلوب الاستفهام

وفى الاستفهام قسمان: قسم تلزمه الهاء فى الوقف، وآخر لا تلزمه، ولكن الأفضل أن تدخله الهاء فى الوقف.

٤ : ١ ـ قال سيبويه: (وأما قولهم: مجىء م، ومثلُ مَ أنت، فإنك إذا وقفت ألزمتها الهاء، ولم يكن فيه إلا إثبات الهاء؛ لأن مجىء، ومثل، يستعملان فى الكلام مفردين لأنهما اسمان وأما الحروف الأول فإنها لا يتكلم بها مفردة من ما لأنها ليست بأسماء؛ فصار الأول والآخر بمنزلة حرف واحد لذلك)(١٣٤).

٤ : ٢ وأما قولهم: علامَهْ، وفيمَهْ، ولِمَهْ، وبِمَهْ، وحتامَهْ؟ فالهاء فى هذه الحروف أجود إذا وقفت لأنك حذفت الألف من (ما)(١٣٤).

١ ـ اسم + م + هاء السكت مجىء مَهْ؟

٢ ـ حرف + م + هاء السكت فيمهْ؟ فيمَ

فى النمط الأول انفصلت (ما) الاستفهامية عن هاء السكت فى الصوت والصورة (الرسم)، وساعد على هذا الانفصال استقلال (ما) عن الاسم السابق عليها، فلذلك كانت الهاء ضرورية عند الوقف للحفاظ على بنية (ما) الاستفهامية. أما النمط الثانى فإنّ اتصال (ما) الاستفهامية بالحرف صوتاً وصورة وفّر لها الحفاظَ على بنيتها الصرفية، وكانت الهاء جيدة فى الوقف لأداء وظيفتها من التصويت وبيان الحركة. ونستنتج من ذلك أن وظيفة الهاء فى النمط الأول، محورها الحفاظ على بنية (ما) الاستفهامية والتعويض عن نقص الحركة

اسم + م ـَـ + هـ ← اسم + م + هـ [كلمتان]

حرف + م ـَـ + هـ ← ب ـِـ م ـَـ ب ـِ م ـَـ هـ [شكل كلمة واحدة]

قال الزمخشري[١٣٥] : (في النمط الثاني)، وإنما حذفت الألف لأن (ما) والحرف كشيء واحد.ووقع استعمالها كثيراً في كلام المستفهم والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان. ثم يبين أن من بين أسباب دمج الكلمات هنا هو كثرة الاستعمال حتى صار كأنه الأصل، وأشار النسفي إلى أن الأصل استعمل قليلاً كما في قول الشاعر[١٣٦] :

على مَا قام يشتمني جرير

٤ : ٣ ما جاء في القراءات القرآنية

وقف البزي ـ وكذا يعقوب بخلاف بينهما ـ بهاء السكت في الكلمات الخمس الاستفهامية المجرورة وهي (عمَ ـ وفيمَ ـ وبمَ ـ ولمَ ـ وممَ) عوضاً عن الألف المحذوفة لأجل دخول حرف الجر على (ما) الاستفهامية، وقال الزمخشري[١٣٧] في قوله تعالى: ﴿لمَ تقولون ما لا تفعلون﴾[١٣٨] : لمَ، هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بمَ، وفيمَ، وممَ، وعمَ، وإلامَ، وعلامَ... والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان[١٣٩] عمَّهْ، فيمَهْ، لمَهْ، ممَّهْ.

لـ ـِ مـ ـَ هـ ونلحظ أن (ما) الاستفهامية سبقت في الأمثلة إما بحرف من جنسها هو الميم أو

مِمْ مـ ـَ هـ بصوت مد (الياء أو الألف) أو بصوت من أصوات الذلاقة مثل الباء واللام محرك بالكسرة

بـ ـِ مـ ـَ هـ وجاءت الهاء هنا للتعويض عن تقصير حركة الميم والحفاظ على بنية الكلمة

فـ يـ م ـَ هـ بالإضافة إلى كونها لاحقة صوتية فى الوقف.

٥ ـ زيادة الهاء فى الاستفهام الإنكارى: وقد يكون الغرض إنكاراً أو استثباتاً إذا أنكرت على متحدث أن يكون وجه الحديث على ما ذكر استخدمت الأسلوب التالى:

٥ : ١ : ١ ـ يقول قائل: ضربت زيداً. فتقول منكراً لقوله: أزيدَ نيه ؟!

٥ : ١ :٢ ـ ويقول:قدم زيدُ. فتقول منكراً لقوله: أزيدُ نيه ؟!

٥ : ١ : ٣ ـ لقيت زيداً وعمراً ← فتقول: ← أزيداً وعمرنيه ؟!

٥ : ٢ : ١ ويقول: مررت بعثمان

رأيت عثمان ـ تقول مستثبتاً:

جاء عثمان ← أعثماناه ؟!

٥ : ٢ : ٢ ـ هذا عمرُ ← فتقول ← أعمرُوه ؟!

٥ : ٢ : ٣ ـ ضربتُ زيداً الطويل ← فتقول ← أزيداً الطويلاه ؟!

٥ : ٣ ـ مررت بحذام ← فتقول: ← أحذاميه ؟!

ـ الأمثلة السابقة من كتاب سيبويه. وإذا نظرنا إلى التطبيقات المختلفة لتلك الأساليب وجدنا أن الاسم اتخذ الأنماط التالية:

١ ـ اسم معرب يقبل التنوين، الأمثلة: (الأول والثانى والثالث).

٢ ـ اسم معرب غيرمنون (الممنوع من الصرف، المعرف بأل) (من المثال الرابع حتى المثال الثامن).

٣ ـ اسم مبنى (المثال الأخير).

فى الاسم المعرب المنون اعتبر التنوين (النون الساكنة) هو آخر الاسم، وأدخلت هاء السكت الساكنة، وحركت النون بالكسرة، فهى أقوى الحركات، وتم مطل الكسرة فصارت كسرة طويلة.

ن + هـ ← نـِـِ هـ

وفى حالتى الاسم المعرب غير المنون، وكذلك الاسم المبنى مطلت الحركة الموجودة، ثم ألحقت هاء السكت...

عثمانَ نَـ ← نـَـَ هـ

عمرُ رُ ← رُـُ هـ

حذامِ مـِ ← مـِـِ هـ

ويتفق النمطان فى زيادة الحركة الموجودة أو المتولدة مع إلحاق هاء السكت، وصار هذا الفونيم (حركة طويلة + هاء السكت) ذا وظيفة نحوية خاصة يعطى دلالات بحسب حال السامع والمتكلم من الاستفهام الإنكارى أو استفهام غرضه الاستثبات والتّذكار أو التوكيد بوقوع هذا الحدث، وصارت وظيفة هاء السكت هنا وظيفة أساسية لا يمكن الاستغناء عنها وهى وظيفة دلالية فى المقام الأول، قال سيبويه: وصارت هذه الزيادة علما لهذا المعنى كعلم الندبة(١٤١).

٥: ٤ ـ هناك من العرب من يزيد الهمزة قبل التنوين وهاء السكت تقول: أزيدُإنيه، ويرى سيبويه أن الزيادة هنا زيادة إنْ مع هاء السكت يقول: واعلم أنّ من العرب من يجعل بين هذه الزيادة وبين الاسم (إن) فيقول: أعمرُإنيه وأزيدإنيه، فكأنهم أرادوا أن يزيدوا العلم بياناً وإيضاحاً كما قالوا: من أن، فأكدوا بأن، وكذلك أوضحوا بها هاهنا(١٤٢). ومن خلال

النمط السابق يمكن أن نقدم تفسيراً آخر، وهو زيادة الهمزة توهماً وزيادة فى التفصح فتحولت:

أزيدُنيه ⟵ أزيدُإنيه ظناً عند بعضهم أن النمط الأول قد حذفت منه همزة إن، فأعادوها زيادة فى التفصح، وبخاصة إذا عرفنا أن النمط الأول هو الأكثر استعمالاً. ويبدو أن زيادة الهمزة تمت عند من يحققون الهمزة ويحافظون عليها، ولذلك أقحموها فى هذا الأسلوب. وساعد على ذلك ميل الكلمة الطويلة إلى استقلال ركنيها الاسم واللاحقة الصوتية (أزيد + إنيه) فجاءت الهمزة لتصنع حاجزاً صوتياً بين التركيب الأصلى واللاحقة الصوتية. ويمكن أن نستنتج أن أسلوب الاستفهام قد مرّ بعدة مراحل:

١ ـ تقول: ضربت زيداً ⟵ أضربت زيداً؟ ثم اختصر فحذف الفعل، واجتلبت لاحقة صوتى: أزيدُنيه

٢ ـ جاء عمروٌ وزيدٌ أعمرٌو وزيدنيه نّ هـ ⟵ ن ـِ هـ ⟵ ن ـِ ـِ هـ

٣ ـ ثم أقحمت الهمزة أزيدُإنيه ⟵ ء ـِ ن ⟵ ء ـِ ن ـِ ـِ هـ

والتصور الصوتى الافتراضى أن التنوين (نون ساكنة) قد التقى مع هاء السكت الساكنة فتغلبت اللغة على التقاء الساكنين بتوليد حركة ثم مطل الحركة أو مطلها مع زيادة الهمزة لإيجاد تمايز بين الاسم واللاحقة الصوتية.

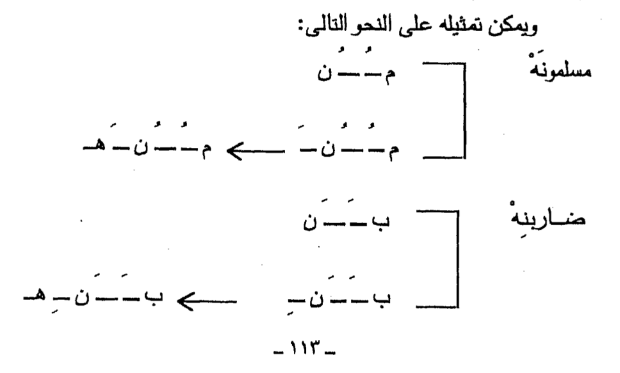
النتيجة: إن وجود الهاء قد أثر فى المحيط الصوتى وأدى إلى توليد صيغ جديدة لأساليب نمطية.

٦ ـ الأسماء المنتهية بنون لازمة قبلها صوت مد

٦ ـ مثل مسلمونه وضاريانه ونحو ذلك... تدخل هاء السكت على جمع المذكر السالم والمثنى عند الوقف على سبيل الجواز، وليس على سبيل الوجوب، وقال سيبويه: (وكان هذا أجدر أن تبين حركته)[١٤٣] وحجة سيبويه أن العرب تبين الحرب الأخير بالهاء إذا كان متحركاً، فما بالنا إذا كان ما قبل الأخير ساكناً، وجاءت القراءة القرآنية عن البزى بهاء السكت وفقاً فى (العالمينه ــ الذينه)[١٤٤]، وقرأ يعقوب بإلحاق الهاء فى الوقف على النون المفتوحة فى نحو العالمين والمفلحون والذين[١٤٥]. ونلحظ أنه فى الوقف على تلك الأسماء هناك اتجاهان فى لغة العرب: اتجاه يقف بتسكين النون وعدم إظهار حركة بنائها (الفتحة ــ الكسرة)، ويكون شكل المقطع على النحو التالى:

ص + حركة طويلة + ص واتجاه آخر يهتم بإظهار حالة البناء فى الوقف ويترتب على ذلك تحويل شكل آخر الكلمة من مقطع طويل مغلق بحركة طويلة إلى مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ص + حركة قصيرة + ص

ويمكن تمثيله على النحو التالى:



وبينما تختصر الكلمة فى الاتجاه الأول، ويطول آخرها تطول الكلمة فى الاتجاه الثانى، ويقصر آخرها.والقانون الصوتى الذى صاغه سيبويه لحدوث هذه الظاهرة يشترط أن تكون النون زائدة ليست نون إعراب وقبلها حرف ساكن(١٤٦) أما العلل التى ساقها لاجتلاب هاء السكت فى مثل هذه الأسماء(١٤٧) فهى كون النون ساكنة، وهو ما أشرنا إليها بتحويل المقطع ذى الحركة الطويلة فى آخر الكلمة إلى المقطع ذى الحركة القصيرة.

٧ :١ـ ماحمل من الأسماء والضمائر وبعض الظروف والحروف على ذلك...

مثل أين، وهَنَّ ـ قالوا: أينهْ، وهنَّهْ، وأنَه (فى قول حاتم الطائى: (هذا فزدى أنه)(١٤٨) يريد: أنا). ونلحظ هنا أن صوت النون مسبوق بصوت لين أو صامت من جنسه وهو النون

آخر الكلمة مقطع قصير مفتوح ء ـ َى ن ـ َ ←ء ـ َى ن ـ َ هـ

هـ ـ َ ن ن ـ ُ ← هـ ـ ُ ن ن ـ َ هـ

آخر الكلمة مقطع طويل مغلق

٧ : ٢ـ ويبدو أن الظاهرة كما يقرر

سيبويه قد امتدت لتشمل قطاعا آخر من الكلمات، بينه وبين تلك الكلمات علاقة صوتية، فالميم أشبه الحروف بالنون فى: ثمَّ، هلمَّ، وما قبلها ساكن، فاجتمع سكون ما قبلها وخفاؤها، مثل خفاء النون فلحقت بها الهاء، فقالوا: ثَمَّهْ، وهلَمَّهْ(١٤٩)، قال الراجز: يا أيها الناس ألا هلمَّهْ

ث ـ َ م م ـ َ ← ث ـ َ م م ـ َ هـ

هـ ـــ لَ ـــ مُ م ـــ هـَ ⟵ هـ ـــ لَ ـــ مُ م ـــ هـَ

وقــرأ ابن أبى ليلى (ثَمّــه) بالفــتح مع هاء السكت[١٥٠] وقـال القرطبى[١٥١]: والهاء يجوز أن تكون لبيان الحركة فتحذف فى الوصل، ويجوز أن تكون لتأنيث البقعة فتثبت فى الوصل تاء.

٧ : ٣ ـ وإذا اعـتمـدنا نظرية سيبويه فى كـون النون خفيفة وهاء السكت تظهرها نجد أن قانون حمل كلمة على أخرى للتشابه الصوتى أو الصرفى أو الدلالى يعمل فى هذا السياق، فما حمل على هنَّ من الضمائر (هى، وهو) حيث تتشابه فى كونها ضمائر رفع منفصلة ومنتهية بصوت مد كما رأينا فى: مسلمونه وضاريانه. وجاء فى سورة القارعة ﴿وما أدراك ما هيه﴾ وقف يعقوب بالهاء على (هو وهى) حيث وقعا[١٥٢]، وقال ابن خالويه: ودخلت هاء السكت لتتبين بها حركة ما قبلها... وسائر القراء (عدا حمزة والكسائى) يثبتها وصلاً ووقفاً (ما هيه)، وقال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات الثابتة فى رسم المصحف، ولا توصل لأنها أدخلت للوقف.. وهذه رؤوس آيات فالوجه أن يقف عندها[١٥٣]، وبين فى موضع آخر[١٥٤] أن الوصل بالهاء فيه تجاوز للقاعدة النحوية والوصل بدون هاء فيه تجاوز لرسم المصحف، والسنة اتباع. وبذلك قدم حلاً من وجهة نظره بأن الأولى هو الوقف اتباعاً لرسم المصحف واتفاقاً مع القاعدة النحوية وتحقيقاً للانسجام الصوتى مع رؤوس الآيات.

٧ : ٤ ـ وعلى هذا جاء بيت حسان بن ثابت (المتقارب)[١٥٥]

إذا ما ترعرع فينا الغلام   فما إن يقال له من هُـوَهْ

وقول محمد بن زياد المازنى[١٥٦]:

يا نظرى قل لى تراه كما هوْه   إنى لأحسبه تقمص لؤلؤه

وإذا نظرنا إلى السياق الذى ألحقت فيه هاء السكت بالضمائر نلحظ مايلى:

ـ الضمائر المبنية على حركة الفتحة: (هِىَ) و(هُوَ).

ـ الصوت الصامت الذى يحمل حركة الفتحة هو صوت شبيه بالحركة (الواو أو الياء).

هـ ـ ِ ى ـ َ ← هـ ـ ِ ى ـ َ هـ

هـ ـ ُ و ـ َ ← هـ ـ ُ و ـ َ هـ

آخر الكلمة مقطع قصير مفتوح يتحول إلى مقطع طويل مغلق فى حالة الوقف.

وجعل سيبويه دخول هاء السكت على الحرف (إنَّهْ) وفى بعض الظروف والنون التى للجمع فى مثل (اعلمَنهْ) وكذلك تاء الضمير فى انطلقتُهْ[١٥٧] من باب الحمل على قضية إظهار النون بهاء السكت يقول: ومثل ما ذكرت لك (أى فى نون إنَّ وهنَّهْ)؛ إنّه وهم يريدون إنَّ ومعناها: أجلْ، وذكر قول الشاعر:

ويقلن شب قد علا ك وقد كبرتَ فقلتُ إنهْ

ومثل نون الجمع قولهم: اعلمنَهْ، لأنها نون زائدة وليست بحروف إعراب وقبلها حرف ساكن، فصار هذا الحرف بمنزلة هنَّ. وقالوا: فى الوقف كيفَه، وليته، ولعله، لمّا لم يكن حرفاً يتصرف للإعراب، وكان ما قبلها ساكناً جعلوه بمنزلة ما ذكرنا[١٥٨].

ونلحظ على تلك المجموعة من الكلمات مايلى:

١ ـ تنتهى بصوت النون فى أكثر الأمثلة ويليها فى الترتيب الميم

والفاء الواو والياء. والتاء.ونلحظ أنها مجموعة متقاربة من الأصوات، فهى أصوات شفوية أو شبيهة بالحركات أو من مقدمة الفم.

٢ ـ أن هذه الأصوات مسبوقة بصوت ساكن من جنسها فى كلمات مثل: هنَّ، وثمَّ، وهلمَّ، وإنَّ، أو بصوت لين مثل: أيْنَ وكيْفَ وليْتَ.

٣ ـ تتفق هذه الأمثلة فى قلة حروفها وكون الحركة التابعة للصامت الأخير هى حركة بناء لازمة لها وجاءت الفتحة غالبة على ما سواها.

٨ : ١ـ دخول هاء السكت على ياء المتكلم

للعرب فى الوقف على ياء المتكلم اتجاهان:

الأول: الوقف بتسكين الياء، وبالتالى لا تلحق هاء السكت. وبيّنَ سيبويه أن من يفعل ذلك يرى أن ذلك أمرها فى الوصل؛ فلم يحذف منها فى الوقف شيء(١٥٩).

الثانى: الوقف بتحريك الياء بالفتحة واجتلاب هاء السكت. ويوضح سيبويه أن من يفعل ذلك كَرِه أن يسكن الياء إذا لم تكن حرف الإعراب، وكانت خفيّة فبيّنوها.... وذلك قولك هذا غلامِيَهْ، وجاء مِنْ بَعْدِيَهْ وإنه ضَرَبَنِيَهْ.

كتابى ،	كتابيَهْ	ـ الوظيفة الدلالية
↓	↓	
ب ـِ ـِ	ب ـِ ى ـَ هـ	ـ إظهار حركة ياء المتكلم
مقطع مفتوح	مقطع مغلق	ـ الحفاظ على حركة البناء
ص ح ح	ص ح + ص ح م + ص	
٢	١ + ٣	

وجاءت القراءة على الوجهين ومما جاء من الاتجاه الثانى قوله تعاليك ﴿يا ليتنى لم أوت كتابيهْ * ولم أدر ما حسابيهْ﴾... ﴿ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيهْ﴾[١٦٠].

قرأ بعض القراء [كتابيهْ، حسابيهْ وماليهْ، سلطانيهْ] بالهاء فى الوصل والوقف اقتداء بخط المصحف، وهي فى الوصل بنية الوقف. وطرح الهاءات فى الوصل لا فى الوقف حمزة[١٦١]، والأعمش وابن أبى إسحاق وكذلك ابن محيصن وسلام[١٦٢].

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: الاختيار عندى فى هذا الباب كله الوقوف عليها بالهاء بالتعمد لذلك، لأنها إن دمجت فى القراءة مع إثبات الهاء كان خروجاً من كلام العرب وإن حذفت فى الوصل كان خلاف الكتاب (خط المصحف) فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعانى الثلاثة من أن يكون مصيباً فى العربية وموافقاً للخط وغير خارج من قراءة القراء[١٦٣]. واختيار ابن سلام السابق هو ما اختاره الزجاج وأضاف إليه أن الوقف بهاء السكت هو الوجه لأن هذه رؤوس آيات[١٦٤].

ونستنتج من العرض السابق مايلى:

أن من قرأ فى الوقف والوصل بهاء السكت إتباعاً لخط المصحف فقد أوجد تحولاً جديداً فى وظيفة هاء السكت ورفع قيد الوقف عنها، وأوجد قاعدة نحوية توليدية تجعل هاء السكت وحدة صوتية (مورفيما) متحركة.

أن من قرأ فى الوقف بهاء السكت وفى الوصل بدونها نظر إلى تحقيق وظائف الهاء فى الوصل بدونها وهى إبانة حركة البناء على ياء المتكلم.

أن اختيار الوقف للجمع بين القاعدة والخط العثماني والانسجام مع رؤوس الآيات هو اختيار للتوفيق بين تأثير الرسم الكتابي والمنطوق القرائي.

٨ : ٢ ـ دخول هاء السكت على ياء المتكلم المسبوقة بصوت مد أو بصوت لين.

وذلك قولهم: غلامايَهْ وبشرايَهْ وعصايَهْ ويا قضيَّهْ(١٦٥) في غلاماي وغلامي، وعصاي، وبشراي، وقاضيّ وإذا طبقنا الاتجاهين السابقين نلحظ مايلي:

غلاماي: م ـَـ ـَـ ى ـــــ > م ـَـ ـَـ ى ـَـ هـ

غلاميّ: م ـِـ ى ى ـــــ > م ـِـ ى ى ـِـ هـ

بشراي: ر ـَـ ـَـ ى ـــــ > ر ـَـ ـَـ ى ـَـ هـ

عصاي: ص ـَـ ـَـ ى ـــــ > ر ـَـ ـَـ ى ـَـ هـ

قاضيّ: ض ـِـ ى ى ـــــ > ض ـِـ ى ى ـُـ هـ

ويمكن حصر الأمثلة الخمسة التي قدمها سيبويه في نموذجين:

ـ نموذج (١) يتكون من ص + ح ط + ص (شبيه بالحركة).

ـ نموذج (٢) يتكون من ص ح ق + ص ص (شبيه بالحرف المثقل)

ويتحول النموذج الأول عند الوقف بهاء السكت إلى ص + ص ط + ص (شبه حركة) ح ق + ص فينقسم المقطع الطويل المغلق (النوع الرابع) إلى مقطعين مقطع مفتوح + مقطع مغلق بحركة قصيرة. وهذا له أثر صوتي ملموس في شكل آخر الكلمة المبنية، ويتحول النوذج الثاني عند الوقف بهاء السكت إلى: ص ح ق ص + ص ح ق + ص. فينقسم المقطع الطويل المغلق (النوع الخامس) إلى مقطعين مغلقين من (النوع الثالث) وهو المقطع الأكثر حيوية في اللغة العربية، ونستنتج من ذلك أن اللغة العربية تميل إلى تقصير المقاطع المغرقة في الطول وتحويلها إلى مقاطع من النوع الثاني والثالث. ولذلك فإن وجود الهاء في الوقف له

وظيفة صوتية فونيميه هى الحفاظ على نظام المقاطع كثيرة الدوران فى العربية.

ثانيا: دخول هاء السكت على الأفعال:

تدخل هاء السكت على بعض الصيغ لفعلى الأمر والمضارع المجزوم عند الوقف، ويختلف حكم اجتلاب هاء السكت بين تلك الصيغ من الوجوب إلى الكثرة إلى القلة؛ والقصد أن نعرض لتلك الصيغ، وتفسير العلماء لها، ثم نعرض لذلك فى القراءات القرآنية.

الأنماط التى تدخلها هاء السكت وجوباً

١ : ١ النمط الأول

الفعل الذى ذهب منه حرفان حال بنائه للأمر، أو جزمه فى المضارع، مثال: لا تقهْ من وقيت، وإن تع أعهْ، من وعيت. قال سيبويه: لأنها ذهبت منها الفاءَ واللام، فكرهوا أن يسكنَوا فى الوقف فيقولوا: إن تعِ أعْ فيسكنوا العين مع ذهاب حرفين، وبيّن بأن ترك الهاء فى الوقف مجحف بها، لذلك ألزم العرب تلك الأفعال الهاء عند الوقف(١٦٦).

ويمكن أن نمثل التحول المقطعى على النحو التالى:

أَعْ أصل مرفوض فى حالة الوقف فى الجملة السابقة

أعِهْ المستعمل الفصيح فى الجملة السابقة

المرفوض ءـَ ع = ص ح ق + ص مقطع طويل مغلق النوع الثالث

المستعمل ءـَ عـِ هـ = ص ح ق + ص ح ق + ص مقطع قصير مفتوح + مقطع طويل مغلق من النوع الثلث.

ملاحظات:

ـ الأصل المرفوض فى الوقف يتكون من مقطع واحد.

ـ المستعمل الجارى فى الوقف يتكون من مقطعين.

ـ الجزء الأخير من الكلمة في المرفوض والمستعمل من النوع الثالث.

يتبين مما سبق أن الوظيفة الأساسية لهاء السكت هنا هي وظيفة صرفية للحفاظ على بنية الكلمة في المقام الأول، لأن هناك اتفاقاً في نظام المقطع عند الوقف في آخر الفعل. وهذا يشير إلى دقة قول سيبويه أن ترك الهاء في الوقف مجحف بالكلمة.

١ : ٣ـ النمط الثاني

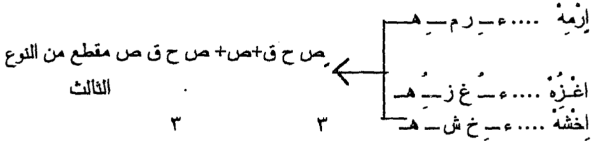
تدخل هاء السكت على الأفعال الناقصة التي يحذف منها حرف العلة في بنائها للأمر أو جزمها في المضارع استحساناً وتجويداً للغة، مثل: ارمِهْ، ولم يغزهْ، واخشهْ، ولم يقضهْ، ولم يرضهْ.

قال سيبويه: وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللام والإسكان جميعاً، فلما كان ذلك إخلالاً بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك، فهذا تبيان أنه قد حذف آخر هذه الحروف. وبين أن الكثير هو الوقف بالهاء والقليل الوقف بالسكون في لغة قليلة حكاها عيسى بن عمر ويونس بن حبيب، يقولون في الوقف: ارمْ، واغزْ واخشْ...

ويمكن أن نمثل ذلك في النظام المقطعي على النحو التالي:

اللغة القليلة

ارمْ	..... ءـِ ر م	ص ح ق + ص + ص
اغزْ	..... ءـُ غ ز	
اخشْ	..... ءـِ ش	مقطع مغلق من النوع الرابع



اللغة الجيدة الكثيرة (متحولة عن السابقة)

بزيادة هاء السكت تغلبت اللغة على التخلص من المقطع من النوع الرابع وتحويل الكلمة إلى مقطعين والوقف على الحرف الأخير، فتحول إلى مقطع من النوع الثالث.

النتيجة:

الوظيفة الأساسية لهاء السكت فى هذا النمط هى وظيفة صوتية حيث تكون هاء السكت وسيلة للتخلص من المقطع الأقل دوراناً فى العربية إلى المقطع الصوتى الأكثر دوراناً فى العربية.

١ :٣ ـ النمط الثالث:

كل فعل آخره ياء أو واو، وإن كانت الياء زائدة أو كانت إبدالا من حرف صحيح ونحو ذلك، قال سيبويه: لأنها تجرى مجرى ما هو نفس الحرف(١٦٩).

مثال: يتسذن ← يتسنى ← يتسنّه.

١ :٤ ـ ما ورد من تلك الأنماط فى القراءات وكلام العرب

مثال ١: فى قوله تعالى: (طَهْ) سورة طه/١ وعلى ذلك قراءة من قرأ بفتح الطاء وسكون الهاء، وأصله طأ فحذت الهمزة وأدهلت هاء السكت(١٧٠).

وجاء فى روح المعاني: طأ الأرض بمعنى استراح خفف الهمزة فصار: (طا) ثم حذفت الألف وضم إليها هاء السكت وأجرى الوصل مجرى الوقف(١٧١).

التحول المقطعى: (طأ) فعل أمر ← طـَ ء مقطع طويل مغلق من النوع الثالث.

تخفيف الهمزة ←———— طـَ ـَ مقطع طويل مفتوح

طهَ اجتلاب هاء السكت ←—— طـَ هـ مقطع طويل مغلق من النوع الثالث.

مثال ٢ : (فبهداهم اقتداه)

فى قراءة الستة (غير ابن عامر) اقتده بسكون الهاء غير أن حمزة والكسائى يحذفانها فى الوصل، والباقون يثبتونها فى الوقف والوصل، وحصل الإجماع على إثباتها فى الوقف.

قال الواحدى: الوجه الإثبات فى الوقف والحذف فى الوصل لأن هذه الهاء وقعت فى السكت بمنزلة همزة الوصل فى الابتداء وذلك لأن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء فكما لا تثبت الهمزة حال الوصل ينبغى ألا تثبت الهاء إلا أن هؤلاء الذين أثبتوا راموا موافقة المصحف فإن الهاء ثابتة فى الخط (١٧٢).

اقتده

ءِ ـ ق تـَ ـ دِ ـ هـ

ص ح + ص   ص ح   ص ح + ص

إذا ذكرت الكلمة مفردة نلحظ التعادل الصوتى فى المقطع الذى نبتدئ به ونقف عليه، فكلاهما من النوع الثالث، وبينهما المقطع من النوع الأول، وهذه ملحوظة من الواحدى حيث ربط بين هاء الوقف وهمزة الابتداء، فإذا كانت الهمزة يتوصل بها للنطق الساكن فإن هاء السكت يتوصل بها إلى إغلاق المقطع، وكلاهما يسقط فى درج الكلام.

مثال ٣:

ومما جاء فى كلام العرب الفصحاء فى حديث نافع بن جبير: (إذا ذكر عبد مناف فالطه). جاء فى اللسان هو من لطئ بالأرض (لزق بها) محذوف الهمزة، ثم أبتعها هاء السكت، يريد: إذا ذكر فالتصقوا فى الأرض ولا تعدوا أنفسكم وكونوا كالتراب (١٧٣).

ألطأ ءِـ ل طـ ء   ءِـ ل طـَـَـ

ءِـ ل طـ هـ تقصير الحركة

مثال٤: ﴿يؤت الله﴾ النساء/١٤٦ ﴿ومن تق السيئات﴾ غافر/٩

قال أبو عمرو: ينبغي ألا يتوقف عليها، لأنه إن وقف بالحذف خالف النحويين وإن وقف بالياء خالف المصحف، أى إن وقف بغير هاء السكت خالف الصناعة النحوية، لأن الفعل عندهم إذا بقى على حرف واحد ووقف عليه ألحق هاء السكت وجوباً نحو: عه، ولم يقه، ولم يعه، ولا يقدر بحرف المضارعة لزيادته، وإن وقفَ بهاء السكت خَالف المصحف..(١٧٤).

مثال ٥: لم يتسنه﴾ البقرة/٢٥٩.

اتفق القراء على إثبات الهاء فى الوقف لأنها توافق رسم المصحف وحذفها حمزة والكسائى فى حالة الوصل(١٧٥)، ومن أثبتها فى الوقف والوصل نظر إليها على أنها؛ إما هاء أصلية، (١٧٦) أو هاء سكت يحملها فى حالة الوصل على حالة الوقف(١٧٧)، وهنا إشكال يتولد فى الفعل الذى لم يفقد من حروفه الأصلية (لم يتسنه) وعدم وجودها فى الفعل الذى فقدت منه حروف، وكذلك الذى فقد منه حرفان (يؤت – تق).

ويمكن أن نتناول القضية على النحو التالى:

الفعل الذى فقد منه حرفان إذا وقف عليه لزمته هاء السكت ولكنَّ كتَّاب المصحف لم يضعوا الهاء فى الخط لوضوح ذلك الأمر واشتهاره بين عامة العرب. أما الفعل الذى لم يفقد منه شيء من الأصول، وجاءت القراءة فيه فى الوقف بهاء السكت فأثبتوها لأنها ليست واجبة فلو لم تثبت ما قرأ بها القراء وإضافة إلى ذلك أن الأفعال التى فقد منها حرفان ليست على رؤوس الآيات وليست محل وقف، وإنما الوقف فيها اضطرارى وهو متعلق بالقارىء لا بالقراءة.

المقاطه الصوتية:

١ – لم يتسنن   يتسنى   يتسنه

سَ – نْ نَ – نَ   سَ – نَ نَ – –َ   سَ – نَ نَ – هـ

المقطع المتحول لها السكت (مقطع قصير + مقطع طويل مفتوح)

←— مقطع قصير + مقطع مغلق بحركة قصيرة.

يؤت ى – ء ت (ص ح ص ص) مقطع طويل مغلق بصامتين، لكن هذه الكلمة دائماً متصلة بما بعدها فتحرك التاء، وبذلك يحدث نظام التحول فى المقاطع (ومنْ تقِ السيئات) ت – قْ (ص ح + ص) بعد وصلها بكلمة السيئات. ت – ق – س (ص ح + ص). ومن هنا نجد أن للهاء وظيفة صوتية فى مجالَ المقطع تتحول الكلمة الموقوف عليها بمقطع طويل مغلق بصامتين إلى مقطع من النوع الثالث مغلق بصامت واحد.

٢– دخول هاء السكت على اسم الفعل واسم الفعل المضارع

دخلت هاء السكت على أسماء فعل الأمر والمضارع حملا على فعل الأمر والمضارع المجزوم مثال: ﴿فلا تقل لهما أفٌ﴾ الإسراء/٢٣.

ومن العرب من يزيد فيها هاء السكت، فيقول: أفاه، ومعنى اللفظة أنها اسم فهل يريد أن يقول: أتضجر [١٧٨]. ومما تحمل دخول هاء السكت للحفاظ على بنية الكلمة قياساً وحملاً على الأفعال التى فقدت منها حروف مثل (إى) بمعنى نعم فى قوله تعالى: ﴿قل إى وربى إنه لحق﴾ سورة يونس/٥٣ حرف جواب. وتستعمل فى القسم كثيراً، وسمع من كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به فيقولون: ويوصلون بهاء السكت، فيقولون: إيوه[١٧٩]، وقالوا: إن ما سمع أبو حيان من لفظة إيوه وشيوعها فى مصر ليس حجة لأنه لا يحتج بكلامهم فى ذلك الوقت.

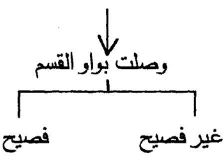
أُفِ ←— أفّا ←— أفاه

ءُ – فَ فَ ←— ءُ – فَ فَ – –َ ←— ءُ – فَ فَ – –َ – هـ

وهذا أشبه فى قلة الحروف فى الأفعال، وفى طريقة هاء السكت أشبه الاسم المندوب، فجمع بين شبه الاسم وشبه الفعل.

إِى ←— إيو ←— إيوه

ءِ – ى ←— ءِ – ى و ←— ءِ – ى + و – هـ



لا يوجد مقسم به   يوجد مقسم به

حذف المجرور (المقسم به) بواو القسم والاكتفاء بها، لم يسمع من موثوق به، وهو مخالف للقياس.

رابعاً: هاء التأنيث وهاء السكت

تنطق الكلمة بتاء التأنيث عند الوقف هاءً، ولذلك درج بعض القدامى على إصطلاح هاء التأنيث بدلاً من تاء التأنيث فكلمات مثل: بقيّة، وحمزة، ورحمة، وطلحة، وفاطمة، تنطقها عند الوقف بقيهْ، وحمزهْ.... وفاطمهْ. وتلك هى اللغة الفاشية الغالبة عند العرب، وعليها اللغة الفصحى، وقد وجدت إلى جوار ذلك لغة لطيىء تنطق فى الوقف تاءً ساكنة فى مثل الكلمات السابقة فيقولون: بقيتْ، وحمزتْ... وفاطمتْ، ولها شواهد معتبرة، والسؤال المطروح فى هذه القضية: ما العلاقة بين تاء التأنيث والهاء؟ وهل هذه الهاء هى هاء السكت؟ وما أشكال تلك الظاهرة فى القراءات القرآنية؟ وإذا كانت إحداهما قد تطورت إلى الأخرى فكيف تم هذا التطور وما هى خطواته؟ ويحاول البحث أن يعرض تلك القضية طلبا لإيجاد التفسير المناسب للموضوع بطريقة توضح تلك الظاهرة.

١- بيّن سيبويه أن الهاء التى نسمعها فى الوقف على المؤنث بتاء التأنيث إنما هى هاء السكت تلزم طلحهْ وما يشبهه فى الوقف، وأوضح أن هذا فى أكثر كلامهم فى النداء[١٨٠].

٢- أما الأخفش فسماها (هاء التأنيث) لا هاء السكت فإذا وقفت على المنادى المرخم ترد المحذوف مثل يا طلح.... فإذا وقفت فتقول: يا طلحهْ[١٨١].

٣- وفى قراءة الكسائى ومذهبه أنه يميل الهاء التى تكون فى

الأصل تاء نحو: رحمهْ ونعمهْ، حيث أمالها بعض العرب تشبيها بألف التأنيث. وهذا موضع تأييد الأخفش والدانى وصاحب إبراز المعانى(١٨٢).

٤- قال أبو حيان الأندلسى: إذا وقفت على المرخم بحذف التاء ألحقته هاء ساكنة، أما هل هى التاء التى تكون حذفت، أم هاء سكت، ففيه خلاف، ويجوز على قلة أن تقف بغير هاء(١٨٣).

من خلال آراء العلماء تتبين النتائج التالية:

- يتفقون على أن التاء (التى للتأنيث) فى حالة الوقف لا تنطق تاءً ولكنها تنطق صوتيًا هاءً. وهذا هو نهج اللغة الفصحى، وأشار صاحب الإتحاف إلى أنها لغة قريش.

- يتفقون على أن الوقف بالتاء وظهور التاء فى النطق هى لغة قليلة عند العرب وأشار صاحب الإتحاف إلى أنها لغة طيىء.

- يختلفون فى تفسير الظاهرة بين أن تكون الهاء هاء السكت (سيبويه) اجتلبت للتعويض عن حذف التاء التى للمؤنث، وبالتالى أدت وظيفة تاء التأنيث وبين من يقول بأنها ليست هاء السكت إنما هى فى الأصل (الهاء) وعند النطق تتحول إلى تاء (ثعلب وآخرون)(١٨٤).

وإذا نظرنا فى هذه الظاهرة إلى اللغات السامية وجدنا أن العربية الفصحي ليست وحدها تجرى هذا التغير الصوتى لتاء التأنيث فنجد أن لفظة أمة تنطق تاء التأنيث فى الوقف وفى الآرامية والعبرية ألفاً وتكتب فى الخط العبرى هاءً دليل على تطورها إلى هاء لينة شبيهة بالألف.

- أُمّه ummah فى العربية، Ammah فى العبرية، و Omma فى الآرامية.

- أما لفظة (أُمّه) فى الآشورية والسريانية فقد حافظت على بقاء تاء التأنيث وصلاً ووقفاً فنجدها فى الآشورية ummatu وفى السريانية úmta(١٨٥) وتتضح علاقة الهاء بالصوت اللين من خلال تبادلها فى الرسم مع صوت الألف في العبرية(١٨٦). مثال ذلك الفعل المعتل الاخر بالهاء فى العبرية الذى يرسم آخره بالهاء مثال: Ḳanah (بمعنى اشترى) كما يرسم

أيضا بالألف. ونلحظ أن الهاء تقلب ياءً عند إسناده للضمائر المتصلة للرفع، وتتبدل الهاء تاء عند إسناده إلى المفردة الغائبة، وتحذف لامه (الهاء) فى العبرية مثلما تحذف حروف العلة فى اللغة العربية (فى الفعل الناقص) عند إسناده إلى جماعة الغائبين.

– وإذا رجعنا إلى القراءات القرآنية وجدنا الأمر أكثر وضوحاً فى وجود نمطين للتعامل مع الألفاظ التى تنتهى بتاء التأنيث؛ فهناك مجموعة كبيرة ترسم (بالتاء المربوطة)، وتنطق هاءً فى جميع حالات الوقف وتاء فى جميع حالات الوصل. وهذا هو الأعرف عند القراء والأقيس عند اللغويين والنحاة، وهناك مجموعة محددة من الكلمات المنتهية بتاء التأنيث ترسم بالتاء المبسوطة، ويختلف القراء فى الوقف عليها؛ فمنهم من يقف بالهاء ومنهم من يقف بالتاء موافقة لرسم المصحف. وقد أحصاها الدمياطى فى ثلاث عشرة لفظة أساسية وخمسة ألفاظ إضافية، وقد زادت على ستين موضعاً فى القرآن الكريم بالإضافة إلى الكلمات المختلف فى قراءتها مفرداً أو جمع مؤنث مثل: (جمالة صفر/ جمالات صفر) المرسلات/٣٣.

وإذا دققنا النظر فى أحكام الوقف فى القراءات القرآنية وجدنا أن أى كلمة قرآنية يمكن أن يقف عليها بنوعٍ ما من أنواع الوقف فهنام وقف اختيارى، وهو وقف مقصود لذاته وآخر اضطرارى لانقطاع النفس وثالث اختبارى، للتعليم والتدريب. وهذه الأنواع الثلاثة مرتبطة باعتبار حال القارىء[١٨٧].

بيان إحصائى بما ورد رسماً فى الخط العثمانى:

١– رحمة، (رَحْمَتْ)، وردت فى سبع مواضع: (البقرة/٢١٨، الأعراف/٥٦، هود/٧٣، مريم/٢، الروم/٥، الزخرف/٣٢).

٢– نعمة، (نعمَتْ)، وردت فى أحد عشر موضعاً (البقرة/ ٢٣١، المائدة/ ١١، آل عمران/١٠٣، إبراهيم/٢٨، ٣٤، النحل/٥٣، ٧١، ٧٢، ٨٣، لقمان/٣١، فاطر/٣، الطور/٢٩).

٣- سنة، (سُنَّتْ)، وردت فى خمسة مواضع (الأنفال/٣٨، غافر/٨٥، وثلاثة مواضع فى (فاطر/٤٣).

٤- امرأة، (امرأتْ)، وردت فى سبع مواضع (آل عمران/٣٥، يوسف/٣٠، ٥١، القصص/٩، التحريم/١٠، ١١).

٥- بقيّة، (بقيتْ)، وردت فى (هود/٨٦).

٦- (قرة)، (قرّتْ)، وردت فى (القصص/٩)

٧- فطرة، (فطرتْ)، وردت فى (الروم/٣٠).

٨- شجرة، (شجرتْ)، وردت فى (الدخان/٤٣).

٩- لعنة، (لعنتْ)، وردت فى (آل عمران/٦١، النور/٧).

١٠- جنة، (جنّتْ)، وردت فى (الواقعة/٨٩).

١١- ابنة، (ابنتْ)، وردت فى (التحريم/١٢).

١٢- معصية، (معصيتْ)، وردت فى (المجادلة/٨، ٩).

١٣- كلمة، (كلمتْ)، وردت فى (الأعراف/١٣٧).

أما ما رسم بالهاء (أى بالتاء المربوطة) فلا خلاف فيه بين القراء أن ينطق تاءً فى الوصل هاء فى الوقف. أما ما ورد فى هذا الجدول فالخلاف فيه بين القراء فى الوقف: هل يقفون بالتاء أم بالهاء(١٨٨).

وقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائى وكذلك يعقوب ووافقهم اليزيدى وابن محيصن والحسن بالهاء على هاء التأنيث (يريد تاء التأنيث) المكتوبة بالتاء، وسماها الدمياطى لغة قريش.

ووقف الباقون (أى بقية القراء الأربعة عشر) موافقة لصريح الرسم وهى لغة طيء.

أما الكلمات الأخرى وهى ست كلمات (يا أبت) وردت فى يوسف (٤/ ١٠) ومريم (٤٢) والقصص (٢٦) والصافات (١٠٢) فوقف عليها بالهاء ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ووافقهم ابن محيصن، لكونها عندهم تاء تأنيث لحقت (الأب) فى باب النداء خاصة، والباقون

بالتاء على الرسم (هيهات) المؤمنون/٣٦ بالهاء (اليزيدى وقنبل والكسائى) ووافقهم ابن محيصن والباقون بالتاء (مرضات) البقرة/٢٠٧، ٢٦٥ والنساء/١١٤ والتحريم/١.

وفى (ولاتَ حين مناص) ص/٣، (اللات) النجم/١٩ وقف الكسائى عليها بالهاء والباقون بالتاء.

وقال أبو حيان: وإن كان فى مؤنث بالهاء يريد التاء (يريد التاء المربوطة) فالأعرف أن يبدل التاء هاء فتقول: رأيت قائمهْ. وتقف عليها بالتاء بعض العرب مطلقاً، وتجرى فى القياس مجرى سائر الحروف عند بعض العرب، فتقول: رأيت قائمتا، وأكثر أهل هذه اللغة تسكنها لا غير، وقال ابن يعيش: ومن العرب من يقف بالتاء ومنه قولهم: (عليه السلام والرحمت)، وقولهم: (هذا طلحت)، وفى الرجز: (الله نجاك بكفى مسلمت)، وقوله: (كظهر الجحفت) وهىَ لغة فاشية حكاها أبو الخطاب(١٨٩).

وقد أجمل ابن الأنبارى موقف القراء بقوله: المواضع التى يوقف عليها بالهاء (بالتاء المربوطة) الحجة فيها اتباع المصحف، وإنما كتبوها فى المصحف بالهاء لأنهم بنوا الخط على الوقف، والمواضع اللاتى كتبوها بالتاء الحجة فيها أنهم بنوا الخط على الوصل(١٩٠).

ويمكن من خلال العرض السابق لعلاقة الهاء بالتاء وكذلك بأصوات العلة (الألف اللينة والياء) فى الساميات والقراءات القرآنية أن نحدد ملامح التغير الصوتى فى الخطوات التالية:

الأصل فى الألفاظ المؤنثة هو التاء، فهو مورفيم أصيل وعلامة أساسية من علامات المؤنث فى اللغات السامية، فيمكن أن نتصور أن التاء كانت موجودة بشكلها المباشر: (فاطمت – حمزت – قائمت) مثل: أخت وبنت فى اللغة العربية.

المرحلةِ التالية حِدثت فى أسلوب النداء(١٩١) وبخاصة النداء المرخم فقالوا: أفاطم.. أحمز.. فى الوصل، فإذا وقفوا عادت التاء إلى الكلمات مرة أخرى. لكنه مع كثرة استخدام الترخيم، وجد اتجاهان للحفاظ على

حركة الميم (الحرف الأخير) فاطمَ (بالفتح) فى لغة من ينتظر، وفاطمُ بالضم)فى لغة من لا ينتظر، والحفاظ على حركة الميم ضرورى لكونه يشير إلى أسلوب الترخيم، ويشير إلى وجود حرف محذوف والعرب فى حالة الوقف لحماية العناصر الدلالية والنحوية التى تؤديها الحركة (وهذا هو ما ذهب إليه سيبويه، فقالوا: أفاطمهْ) . فالهاء هاء السكت، ولكنها تحولت من مجرد لاحقة صوتية عند الوَقف للحفاظ على حركة الترخيم فى لغة من ينتظر (حالة الفتح) تحولت إلى مورفيم مولد للتأنيث، ولذلك أطلقوا عليها هاء التأنيث ثم عممت الظاهرة على كل مؤنث فى حالة الوقف م – ت ——> م – ——> م – هـ.

ويؤيد هذا التفسير من وجهة نظرى أمران:

١- هو قراءة بعض الكلمات فى القرآن الكريم فى حالة النداء والوقف عليها، وتفسير العلماء لقراءة من قرأ بالهاء فى الوقف وخالف رسم المصحف وهو رسم بالتاء وهى ست كلمات معظمها جاء فى أسلوب نداء مباشر أو جملة أولها النداء والتنبيه والاستفهام لفظة (يا أبت) يوسف/٤، فوقف عليها ابن كثير وابن عامر بهاء فى الوقف[١٩٢] فيقرآن فى الوقف يا أبهْ، وأصلها يا أبى، فعوض عن الياء تاء التأنيث. قال الدمياطى: لكونها عندهم تاء التأنيث لحقت الأب فى النداء خاصة. ولو قال الدمياطى لكونها هاء السكت لحقت الأب فى النداء خاصة لكان أوقع.

ولعل سائلاً يسأل فلماذا كتبوها فى المصحف تاء قلت ليدللوا على جواز القراءة بالتاء وقفاً ووصلاً، وهى لغة من لغات العرب.أما رسم اللفظة (اللات) النجم/١٩ حتى لا تلتبس فى اللفظ والنطق بلفظ الجلالة فقد أشير إلى أصلها بالتاء وقف عليها بالهاء الكسائى[١٩٣]، وفيه تفصيل لماذا رسمت بالتاء المبسوطة؟

قال المبرد فى تفسير قراءة الكسائى (لاه) النجم/١٩، الحجة فى ذلك أنها دخلت عليها الهاء لتأنيث الكلمة، كما يقال: ثمة وربة، وقال القشيرى: وقد يقال: ثمت، وربت، بمعنى (ثم) و (رب) فكأنهم زادوا فى (لا) الهاء، فقالوا: (لاه)، كما قالوا فى ثم: ثمه وعند الوصل صارت تاء[١٩٤].

٢- حمل إحداهما على الأخرى: أشار عدد من العلماء إلى العلاقة

التى ترتبط هاء السكت بتاء التأنيث وكيف أن تلك العلاقة قد أنتجت نوعاً من التشابه فى الوظيفة الصرفية نابع من التشابه فى الأداء الصوتى عند الوقف مما أدى إلى حمل إحداهما على الأخرى فى بعض الأساليب والمواقع سواء فى الشعر أو فى القراءات.

مثال ١: فمما جاء فى تفسير قول أبى وجزة:

والعاطفون تحين ما من عاطفٍ والمفضلون يداً إذا ما أنعموا

قيل أراد: العاطفونه، فأجراه فى الوصل علي حد ما يكون عليه فى الوقف، وذلك أن يقال فِي الوقف: هؤلاء مسلمونه.. فتلحق الهاء لبيان حركة النون، ثم إنه شبه هاء الوقف (هاء السكت) بهاء التأنيث، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها تاءً، فكما قلت: هذا طلحتنا فعل هذا، قال: العاطفونه، وفتحت التاء كما فتحتْ فى آخر ربت، وثمت، وذيت وكيت(١٩٥).

مثال ٢: ومما جاء فى تفسير قراءة الكسائى:

وكان مذهب الكسائى إمالة هاء التأنيث إلا أن تكون فى الوصل تاءً نحو (رحمة – نعمة)... وقال بعض العلماء أمالها (أى هاء التأنيث) بعض العرب كما تميل العرب الألف.. وقال (الأخفش): وإنما أمليت لشبه الهاء بالألف لخفائها واتحاد مخرجهما، وخفى هاء التأنيث بذلك حملا لها على ألف التأنيث لتآخيهما، وكون ما قبلها لا يكون إلا مفتوحاً أو ألفاً، ولم تقع الإمالة فى الهاء الأصلية وتقع فى الألف الأصلية لأن الألف أصلها الياء، والهاء لا أصل لها (يريد لا أصل لها فى الإمالة)(١٩٦).

مثال ٣: ملاحظة الزمخشرى لطريقة العرب فى سرد الأعداد فيقولون: كما سمع ثلاثة، أربعهْ.... بالهاء، وإلقاء حركة الهمزة عليها(١٩٧). وملاحظةُ الزمخشرى تفيد بأن العرب يشبهون الهاء بالتاء حيث يلقون عليها حركة الهمْزة بعد تخفيفها متصِلة، وتمِثيل ذِلك (ثلاثه - أربعه) تنطق: (ثـ لا ثـ هر بـ عـه) ث – ل – – ث – هـ – ر ب – ع – هـ (ص ح ص ح ح ص ح ص ح ص ح ص).

ومثل أى ظاهرة لغوية تبدأ فى بيئة لغوية خاصة ثم تأخذ فى

التوسع والانتشار حتى تصير ظاهرة عامة.فقد تجاوز اجتلاب هاء السكت حالة نداء المؤنث محذوف التاء (المرخم) إلى كل حالات المؤنث، وصارت هناك صيغة أحدث. واصطلاح الخط العربى لها التاء المربوطة للتغلب على مشكلة النطق حال الوقف وحال الوصل دون أن تلتبس بالتاء الأصلية. وقد بقى الأصل الأول كما هو عند بعض العرب ومنهم طىء وبقيت بعض الكلمات على حالها فى لغة قريش مثل أخت وبنت مما يمكن أن يقع ضمن الركام اللغوى للمرحلة الأولى.

الاتجاه الثانى هو زيادة حركة الصامت الأخير مع قليل من النبر للحفاظ على الحركة. وهذا هو ما سلكته بعض اللغات السامية الأخرى وكذلك العاميات الحديثة عند وقفهم على الكلمات المؤنثة، فيقولون: حمزا فاطما. أما القبائل التى حافظت على الأصل وصلاً ووقفاً وأبقت على التاء فقالوا: طلحت وحمزت. فقد وقف التغيير عندهم،وأما الفريق الثالث (كما رصده أبو حيان) فقد اعتبروا أن التاء من أصل الكلمة وزادوا حركة مجانسة للتنوين فى التاء للحفاظ على التاء.

قائمتِ قائمتا فى حالة الوقف م – تَ – –

ص – ←—— ص – ص (هـ).

ترخيم ←—— ص – ص (ت) + – –.

ص – ص (ت).

خطوات التوليد الصوتى

١- الأصل: حمزت، طلحت، فاطمت... الصامت الأخير ص – ص (لغة طىء) مقطع مغلق.

٢- حالة النداء المرخم يا حمزَ، يا طلحَ، يا فاطمَ ص ح ص ←—— (حذف الصامت الأخير للترخيم) ص ح فى لغة من لا ينتظر (ص –) وفى لغة من ينتظر (ص –) مقطع مفتوح.

٣- زيادة هاء السكت للحفاظ على حركة الصامت وتبينها.

فى لغة من ينتظر ص – ←—— ص – ص (الهاء)

ص – ←—— لغة من لا ينتظر لم يعمل فيها القانون الصوتى.

٤- تعميم الظاهرة فى لغة قريش فى النداء وغير النداء وهو اختيار اللغة الفصحى.

- فى اللغات السامية وبعض العاميات الحديثة (عامية مصر)

ص - - زيادة حركة منبورة قليلاً.

- فى لغة فريق من طىء (نادر) ص - ص (ت) تعامل مع التاء على كونها من أصل الكلمة، وحدث التطور فى اتجاه آخر لكنه لم يكتمل حيث غلبت الفصحى على ما سواها.

نتائج البحث

ونلحظ أن التاء التى حذفت عُوِّض عنها بالهاء مسبوقة بالفتحة دائما (وذلك فى الاتجاه الأول فى أسلوب الترخيم)، وأن الحالة التى سبقت فيها بضمة (الاتجاه الثانى) لم يعمل القانون الصوتى، وبقيت فى لغة من لا ينتظر مما يدل على أن الهاء تتآلف مع الفتحة أكثر من أى حركة أخرى. وهذا ملمح صوتى خاص بما عرف عند العرب بالأصوات الحلقية.

بقاء الأصل كما هو فى لغة طىء، وكذلك فى تعريب الأتراك للكلمات المؤنثة، فيقولون: عصمت فى عصمة، وعزت فى عزة، وشوكت فى شوكة، ومدحت فى مدحة، وحكمت فى حكمة، وهمت فى همة، وثروت فى ثروة، ونجدت فى نجدة، ومرفت فى مروة... وهو أكثر من أن يحصى. وقد دخلت إلى البلاد العربية فى شكل أسماء تركية زمن الخلافة العثمانية. ويبدو أن قبيلة طىء كانت أكثر تأثيراً فى فتح جبال الأناضول من غيرها (قرأت فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على أن أهل أسيا الصغرى كانوا يعدون طيئاً هم العرب لكثرة اتصالهم، وطايايا عندهم تعنى العرب، ومنها طاجيك ستان أى أرض العرب؟!).

وتحولت الهاء التى للحفاظ على حركة الترخيم فى الصامت الأخير من الكلمة إلى بديل عن مورفيم التأنيث فى غير النداء، وبالتالى أدت الدور أو الوظيفة الدلالية التى تؤديها تاء التأنيث عند الوقف وصارت لغة فاشية فى قريش، وعليها أغلب القراء وصارت هى المعلم الأعرف والأقيس عند النحاة. حافظ الرسم العثمانى على اللغتين فرسم الكلمة

الواحدة تارة بالتاء المربوطة (إشارة إلى نطقها حالة الوقف هاء) ورسمها تارة أخرى فى أحيان قليلة بالتاء المبسوطة.

أكثر القراء على اللغة الغالبة وبعضهم على اللغة القليلة ولا تكاد توجد قراءة على اللغة النادرة.

أما من قال بأنها هاء للتأنيث فقد نظر إلى الوظيفة التى تؤديها هاء السكت بأنها حافظت على الوظيفة التى كانت تؤديها التاء قبل حذفها ويضاف إلى ذلك من أمال الهاء تشبيها لها بألف التأنيث لأن الألف فى نظره أصلها الياء، وهي ممالة والهاء الأصلية لا تمال فنحمل هاء الزيادة على الألف. ومن قال أصلها التاء واستبدلت بالهاء أو أن الهاء ألحقت عوضاً عن التاء وما شابه ذلك فقد نظر إلى الناحية الصوتية.

نتائج عامة

١. اختار البحث صوتاً له وظائف متعددة، وصنع له بناءً موضوعياً ومنهجياً يمكن أن يفتح المجال لدراسة أصوات أخر.

٢. توصل البحث من خلال النتائج التفصيلية المذكورة في ثنايا البحث إلى رؤية شاملة عن صوت الهاء فى العربية وكيف تولدت أشكالها وتعددت وظائفها.

٣. رصد البحث علاقة الضمير المنفصل بالضمير المتصل مما يفتح المجال لدراسة بنية الضمائر فى اللغة العربية.

٤. رصد البحث علاقة اللهجات العربية القديمة باللغة الفصحى من جهة، وعلاقتها بالقراءات من جهة أخرى.

٥. فسر البحث مجموعة من العلاقات اللغوية عن طريق رصد حركة الهاء فى المجال الصوتى (المماثلة والمخالفة والحذف والتخفيف)، وفى المجال النحوى (الندبة والنداء والأسماء المبنية)، وفى المجال الدلالى (حمل صيغة على أخرى لقرائن صوتية أو نحوية أو قرائن تتعلق بتشابه البنى الصرفية).

٦. كشفت الدراسة عن أصالة البحث اللغوى عند العرب فيما قدمه العلماء من النحاة والقراء والمفسرون من رؤى علمية نافعة ودقيقة.

٧. أفاد البحث من منهج المدرسة التوليدية بصورة مباشرة فى دراسة البنية الصوتية والنحوية لصوت الهاء.

الهوامش

١- هذه الرؤية المنهجية تعتمد على ما قدمه كارل ديتر بونتنج فى كتابه المترجم بـ المدخل إلى علم اللغة، ترجمة د. سعيد بحيرى، انظر فى ذلك من ص ٧٧ - ١٠١. وفى الفونيم ومصطلحاته ووظائفه والنظريات المتعددة فيه اعتمدنا على ما قدمه د. أحمد مختار عمر فى كتابه دراسة الصوت اللغوى ص ١٦١ - ٣٥٥.

٢- انظر: سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣.

٣- انظر: كمال بشر، دراسات فى علم اللغة، ص٧٧.

٤- انظر: سيبويه، المرجع السابق، ٤٣٤ - ٤٣٦.

٥- انظر: كما بشر، علم الأصوات، ١٢٢.

٦- انظر: سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، ١٨٤.

٧- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق. ٣١٩.

٨- انظر: سعد مصلوح، المرجع السابق، ١٨٥.

٩- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ٣١٩.

١٠- انظر: رمضات عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ٥٩.

١١- انظر: سعد مصلوح، المرجع السابق، ١٨٥.

١٢- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ٤٢٣.

١٣- انظر: المرجع السابق، ١٢٢.

١٤- انظر: رمضان عبدالتواب، المرجع السابق، ٥٩.

١٥- انظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ١٧٩.

١٦- انظر: حازم كمال، معجم مفردات المشترك السامى، ٤٣٤.

١٧- انظر: كمال بشر، دراسات فى علم اللغة،٦٧.

١٨- انظر: ابن الباذش، الإقناع فى القراءات العشر، ٧٣٢، ٢/٧٢٣.

١٩- المرجع السابق، ٢/٧٥٣.

٢٠- المرجع السابق، نفسه.
٢١- انظر: حازم كامل، المرجع السابق نفسه، ٤٢٩ وانظر: ربحى كمال، ٨١١.
٢٢- الزمر ١٨.
٢٣- النور ٢٤.
٢٤- سيبويه، الكتاب ٢/٣٥١.
٢٥- أبو حيان، الارتشاف ٢/٩٢٩.
٢٦- المرجع السابق، ٢/٩٢٨.
٢٧- نَقل ذلك أبو حيان، المرجع السابق ٢/٩٢٩.
٢٨- المرجع السابق، نفسه.
٢٩- وهذا ما عليه اللغة العربية الفصحى.
٣٠- وتنتشر فى اللهجات المعاصرة فى بنى سويف والفيوم والمنيا عند قبائل عرب السعادى،وهم ينتمون إلى بنى سليم من القيسية.
٣١- وتنتشر هذه اللغة عند سكان مدينة القاهرة والمشهور والمعروف تاريخياً أن همدان والصدف وبلى من قبائل اليمن أول من أقام بالوجه البحرى والفسطاط خصوصاً.
٣٢- انظر أبو حيان، الارتشاف وشواهده فى الارتشاف وحواشيه، انظر ٢/٩٢٨ و ٩٢٩ وما بعدها.
٣٣- انظر أبو حيان، المرجع السابق ٢/٩٢٨ وانظر: ابن يعيش شرح المفصل ٥/٢٣٦.
٣٤- حازم كمال، معجم مفردات المشترك السامى ٤٣٢. وانظر: ربحى كامل ٨١.
٣٥- أبو شامة، إبراز المعانى فى حرز الأمانى فى القراءات السبع ١/١٠٣. والآيات على الترتيب: طه ١٠ والكهف ٦٣، والفتح ١٠.
٣٦- أبو حيان، الارتشاف ٢/٩١٧.
٣٧- ابن الباذش، الإقناع، ٢/٥٩٥.

٣٨- أبو شامة، المرجع السابق، ١/١٠٥.
٣٩- أبو حيان، المرجع السابق، ٢/٩١٧.
٤٠- انظر: المرجع السابق. ٢/٩١٨.
٤١- انظر: رمضان عبدالتواب، فصول فى فقه العربية ص ١٥٢ و ١٥٣.
٤٢- انظر: ابن الجرزى، تقريب النشر، ٩٣.
٤٣- سرزة الكهف ٦٣.
٤٤- سورة الفتح ١٠.
٤٥- سورة الأنعام ٤٦.
٤٦- سورة طه ١٠.
٤٧- ابن الباذش، الإقناع ١/٤٩٦.
٤٨- انظر: تقريب النشر لابن الجزرى ٩١.
٤٩- سورة الكهف ١.
٥٠- سورة غافر ٣.
٥١- سورة إبراهيم ١٧.
٥٢- سورة التوبة ٤٠.
٥٣- سورة فاطر ١٣.
٥٤- سورة الكهف ٤٥.
٥٥- انظر: تقريب النشر، لابن الجزرى، ٩١. وابن الباذش فى الإقناع ١/٤٩٦ و ٤٩٧.
٥٦- سورة الكهف ٣٧.
٥٧- سورة النمل ٤٢.
٥٨- انظر ابن الجزرى، المرجع السابق ٩١، وانظر: ابن الباذش، المرجع السابق ٤٩٦، ٤٩٧.
٥٩- سورة البقرة ٢٦.
٦٠- سورة البقرة ٢٥٨.
٦١- سورة الصف ٥.

٦٢- سورة آل عمران ٧.
٦٣- سورة الحاقة ٣٠.
٦٤- سورة الدخان ٤٧.
٦٥- سورة النحل ٦٩.
٦٦- سورة الأنعام ٣٧.
٦٧- سورة النحل ١٢١.
٦٨- سورة الفرقان ٦٩.
٦٩- سورة آل عمران ٧٥.
٧٠- سورة آل عمران ١٤٥.
٧١- سورة النساء ١١٥.
٧٢- سورة طه ٧٥.
٧٣- سورة الزلزلة ٧، ٨.
٧٤- سورة النور ٥٢.
٧٥- سورة البلد ٧.
٧٦- سورة النمل ٢٨.
٧٧- سورة الأعراف ١١١، والشعراء ٣٦.
٧٨- سورة الأنعام ٩٠.
٧٩- انظر: الألوسى روح المعانى، ١٨/١٩٨. وانظر: أبو شامة إبراز المعانى ١/٢٧٨، العكبرى فى التبيان فى علوم القرآن ١/٢٧٢، وابن الباذش، المرجع السابق ١/٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٣، والأندلسى، المحرر الوجيز ٢/٣١٩.
٨٠- انظر: أبو حيان، الارتشاف ٢/٩١٧.
٨١- انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٤/٣٤٠.
٨٢- المرجع السابق نفسه.
٨٣- أبو حيان، المرجع السابق، ٢/٩١٧.
٨٤- انظر: ابن يعيش فى شرح المفصل ٥/٤٠.
٨٥- انظر: الرضى على الكافية ٢/١٤.

٨٦- انظر: الحجة فى القراءات السبع ١/ ٢٣٤.
٨٧- السابق نفسه.
٨٨- انظر: الفيروز آبادى فى القاموس المحيط ٣/٤٩٧ وابن هشام فى مغنى اللبيب ١/ ١٢٩.
٨٩- انظر: حازم كمال، المرجع السابق ٤٣١/ وريحى كمال **المرجع السابق نفسه.**
٩٠- الألوسى، روح المعانى ١٦/ ٢٢١.
٩١- انظر: الرازى، مختار الصحاح، باب الذال ١/ ٩٢.
٩٢- تدخل الهاء أحياناً على ذاك فيقولون: هذاك، لسقوط اللام.
٩٣- انظر: ابن يعيش ٥/ ٤١.
٩٤- جاء ذلك فى آل عمران/٦٦، والنساء/١٠٩، محمد/٣٨.
٩٥- فى آل عمران/١١٩.
٩٦- الرضى، على الكافية ٤/ ٤٢٣.
٩٧- السابق نفسه.
٩٨- الثعالبى، التفسير ١/ ٨٥.
٩٩- تفسير البيضاوى ١/ ٢١٥ و ٢١٦.
١٠٠- ورد هذا الأسلوب فى القرآن الكريم أكثر من مائة وأربعين مرة، انظر: المعجم المفهرس/١٠٩.
١٠١- فى الشرح على الكافية ١/ ٣٧٥.
١٠٢- ابن خالويه، الحجة فى القراءات السبع ١/ ٢٣٤.
١٠٣- سورة النور ٣١.
١٠٤- سورة الزخرف ٤٩.
١٠٥- سورة الرحمن ٣١.
١٠٦- الزركشى، البرهان ١/ ٣٩٥ و٣٩٦.
١٠٧- انظر: ابن هشام، مغنى اللبيب ١/ ١٢٩، والفيروز آبادى: القاموس ٣/٤٩٧.
١٠٨- انظر: الرضى على الكافية، ٣/ ١٠٠.

١٠٩- أورد النحاه (ها أفعل كذا) مثالاً لدخول التنبيه على الفعل.
انظر: ابن يعيش، شرح المفصل ٥/ ٤٠.
١١٠- انظر: الفيروز آبادى، القاموس ٣/٤٩٧، وانظر ابن هشام، مغنى اللبيب ١/١٢٩.
١١١- انظر: الرضى، المرجع السابق ٢/٤٨٢ و٤٨٣.
١١٢- انظر: ابن يعيش، المرجع السابق، ٥/ ٤٠.
١١٣- أبو حيان الأندلسى، الارتشاف، ١/٧٩٨.
١١٤- صنفنا أنواع الوقف باختصار من خلال الإرشادات الموجودة فى نهاية المصحف الشريف، وانظر: الدمياطى، إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٧.
١١٥- قال ابن الجزرى: اعلم أن أصل الوقف هو السكون، ويجوز بالروم والإشمام عن جميع القراء. وورد النص بهما عن أبى عمرو والكوفيين، والمختار الأخذ بهما للجميع. انظر: تقريب النشر ١٥٨.
١١٦- الفرق بين الوقف والسكت عند القراء، أن الوقف هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، ويأتى فى رؤوس الآيات وأوساطها، ولا يأتى فى وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما ولابد معه من التنفس وأما السكت فهو قطع الأصوات زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس انظر: ابن البانش، الإقناع حاشية ١، والتعريف باختصار عن النشر ١/٢٣٨ - ٢٤٣.
الوقف أول السكوت الذى ينقطع فيه عمل اللسان ويسكن والابتداء أول الكلام الذى هو بحركة اللسان وتصرفه، ابن الباذش ١/٥٠٤.
١١٧- قطع له بذلك ابن مهران وغيره... انظر إتحاف فضلاء البشر ١/١٤٠.
١١٨- سورة الفرقان/٢٨.
١١٩- سورة يوسف/٨٤.

١٢٠- سورة الزمر/٥٦.
١٢١- إبراز المعانى ١/ ٢٢٤.
١٢٢- ابن زنجلة حجة القراءات ١/ ٢٢٤.
١٢٣- الزركشى البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٣٥٣.
١٢٤- معانى القرآن للنحاس ٢/ ٤٥٢.
١٢٥- السابق ٢/ ١٨١.
١٢٦- فتح القدير للشوكانى ٣/ ٤٨، تفسير الثعالبى ٢/ ٢٥٤، والجلالين ١/ ٢١٦، وتفسير أبى السعود ٤/ ٢٠١، والبيضاوى ٢/ ٢٠٤، إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٥٨، أبو شامة فى إبراز المعانى ١/ ٢٢٩.
١٢٧- اللسان مادة (عرض) ٧/ ١٧٢.
١٢٨- اللسان مادة (طرق) ١٠/ ٢٢١.
١٢٩- اللسان مادة (هناه) (عن نوادر أبى زيد)، ١٥/ ٣٦٦.
١٣٠- السابق نفسه.
١٣١- الكتاب ٤/ ١٦٥.
١٣٢- الكتاب ٤/ ١٦٥.
١٣٣- الكتاب ٤/ ١٦٤، ١٦٥.
١٣٤- السابق ٤/ ١٦٤.
١٣٥- الكشاف ٤/ ٥٢٢. وقال ابن يعيش: قالوا: مجيء مه؟ ومثل مه؟ ليقع السكت عليه ولا يخرج الاسم عن أبنية الأسماء، انظر شرح المفصل ٥/ ٢٤٠.
١٣٦- تفسير النسفى ٤/ ٢٤١.
١٣٧- إتحاف فضلاء البشر ١/ ١٣٩.
١٣٨- سورة الصف/ ٢.
١٣٩- الكشاف ٤/ ٥٢٢.
١٤٠- كتاب سيبويه ٣/ ٤٢٠.
١٤١- الكتاب ٣/ ٤٢٠.

١٤٢- الكتاب ٢/٤٢١، ٤٢٢.
١٤٣- الكتاب ٤/١٦١.
١٤٤- إبراز المعانى ١/٢٨٢.
١٤٥- إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٩.
١٤٦- الكتاب ٤/١٦٢.
١٤٧- السابق ٤/١٦١.
١٤٨- انظر: ابن يعيش، المرجع السابق ٥/٢٣٦.
١٤٩- إعراب القرآن للنحاس ٣/٢٦، وروح المعانى ١٦/١٢٤.
١٥٠- إتحاف فضلاء البشر ١/١٣٩.
١٥١- القرطبى ١١/١٤١.
١٥٢- إعراب ثلاثين سورة/ ١٨٠.
١٥٣- معانى القرآن ٥/٢١٧.
١٥٤- معانى القران ٥/٣٥٦.
١٥٥- بيت حسان ذكره إميل يعقوب فى المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية، وخرجه من أكثر من عشرة مصادر ومن بينها ديوان حسان انظر إميل يعقوب ٢/١٠٥١، وجاء فى اللسان بعده بيتان على القافية نفسها، اللسان مادة (شعب).
١٥٦- جاء بيت محمد بن زياد فى مقطوعة قافيتها مقيدة بهاء ساكنة، انظر معجم البلدان ٢/٤٧١.
١٥٧- قال سيبويه: دخلت الهاء فى قولهم: انطلقته، يريدون انطلقت، كما زعم الخليل لأنها ليست بتاء إعراب وما قبلها ساكن، الكتاب ٤/١٦٣.
١٥٨- الكتاب ٤/١٦٤.
١٥٩- الكتاب ٤/١٦٣.
١٦٠- سورة الحاقة من الآية ٢٥ إلى ٢٩.
١٦١- الإقناع لابن الباذش ٣٠٧ - ٣٠٨.
١٦٢- المحرر الوجيز ٥/٣٦٠، وانظر: إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٠٥، ٣٠٦.

١٦٣- إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٣١١.
١٦٤- معانى القرآن وإعرابه ٥/٢١٧.
١٦٥- الكتاب ٤/١٦٣.
١٦٦- الكتاب ٤/١٥٩، ١٦٠.
١٦٧- الكتاب ٤/ ١٥٩.
١٦٨- المرجع السابق نفسه.
١٦٩- الكتاب ٤/ ١٥٩.
١٧٠- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٣٦.
١٧١- الألوسى ١٦/١٤٨.
١٧٢- المرجع السابق ٧/٢١٧، الرازى، التفسير الكبير ١٣/ ٥٩ ابن عطية، المحرر الوجيز ٢/ ٣١٩.
١٧٣- لسان العرب (لطأ) ١/ ١٥٢، ٥٣.
١٧٤- إتحاف فضلاء البشر ١/ ٢٤٧.
١٧٥- الرازى التفسير للكبير ٧/ ٣٠.
١٧٦- من قال أنها هاء أصليه قال بأنها من السنة والسنة لها أصل من سنهة، وتصغيرها سنيهة فالهاء فى لم يتسنه هى لام الفعل وهى لذلك لا تحذف عند الوقف، التفسير الكبير للرازى ٧/ ٣٠.
١٧٧- وأما من قال أنها هاء السكت، وحملت فى الوصل على الوقف فبين أن أصل السنة، سنوة تقول سانيت الرجل مساناة إذا عاملته سنةً سنةً وتصغر على سنية. وإذا ثبت هذا فالهاء للسكت وليست من أصل الكلمة وكذلك ما جاء عن الفراء أن أصل سنةٍ: سننة لأنهم قالوا فى تصغيرها (على قلة): سنينة ولم يتسنَّ أصلها يتسنن، ثم أسقطت النون الأخيرة، ثم أدخل عليها هاء السكت عند الوقف. المصدر السابق نفسه، المحرر الوجيز ١/ ٣٤٩.
١٧٨- المحرر الوجيز ٣/٤٤٨.
١٧٩- روح المعانى ١١/ ١٣٦.

١٨٠- سيبويه، الكتاب ٤/ ١٦٤.
١٨١- انظر رأى الأخفش فى الارتشاف ٥/ ٢٣١.
١٨٢- انظر قراءة الكسائى وتأييد الدانى والاستدلال بلغة أهل الكوفة حيث يقولون أخذه وضربه بالإمالة وهم من أبناء العرب وهى لغة أكثرهم، وكذلك ما نقله عن الأخفش سعيد بن مسعدة فى إبراز المعانى ١/ ٢٢٤.
١٨٣- أبو حيان الارتشاف ٥/ ٢٢٤١.
١٨٤- الإتحاف ١/ ١٣٧، ١٣٨.
١٨٥- انظر: لفظة أمّة فى معجم مفردات المشترك السامى/ ٢٦.
١٨٦- انظر ربحى كمال دروس فى العبرية/ ١٨٣.
١٨٧- هناك أنواع أخرى من الوقف؛ فهناك أقسام للوقف تتبع حكم القراءة وهى مرتبطة بالرواية والتفسير مثل الوقف اللازم والوقف الجائز والوقف الممنوع. وما وافق الرسم العثمانى فى كل ما تقدم فهو قياسى وما خالف الرسم العثمانى اصطلاحى.. انظر ذلك الإفادات المختصرة فى نهاية المصحف، وكذلك إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٨٧، وإتحاف فضلاء البشر ١/ ١٣٧، والزركشى البرهان ١/ ٣٦٥.
١٨٨- انظر تفصيل القضية بين القراء فى الإتحاف ١/ ١٣٧ - ١٣٨.
١٨٩- أبو حيان، الارتشاف تحقيق د. رجب عثمان ٢/ ١٠٠ وانظر: ابن يعيش شرح المفصل ٥/ ٢٣١.
١٩٠- إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٨٧.
١٩١- والأمثلة التى نقلها الزخفش خول تحول التاء إلى هاء تحدث عنها فى سياق المنادى المرخم.
١٩٢- الإقناع ٢/ ٦٦٩.
١٩٣- الإتحاف ١/ ١٣٩، إبراز المعانى ١/ ٢٧٥.
١٩٤- القرطبى ١٥/ ١٤٦.
١٩٥- اللسان مادة (حين) ١٣/ ١٣٤.

١٩٦- إبراز المعانى ١/ ٢٤٢.

١٩٧- الكشاف ٤/ ٥٢٢، والنسفى ٤/ ٢٤١.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن البـاذش، أبو جـعـفـر أحـمـد بن على بن خلف الأنصـارى، كتاب الإقناع فى القراءات السبع، تحقيق، عبدالمجيد قطامش - مكة المكرمة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣- ابن الجـزرى، محمد بن محمد بن على الجزرى، تقريب النشر فى القراءات العشر، تحقيق، إبراهيم عطوة عوض - القاهرة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٤- ابن جنى، أبوالفتح عثمان بن جنى، المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق، على النجدى ناصف وآخرون - القاهرة: المجلس الأعلى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥- ابن خالويه، أبو عبدالله الحسين بن أحمد:

أ) الحجة فى القراءات السبع - جدة: المكتبة الشاملة، ومركز التراث للبرمجيات C.D.R..

ب) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق، محمد إبراهيم سليم - القاهرة: (د.ت) وبتحقيق، عبدالعال سالم مكرم، ١٤٠١هـ، المكتبة الشاملة، مركز التراث للبرمجيات C.D.R.

٦- ابن زنجلة، حجة القراءات، جدة - مركز التراث للبرمجيات C.D.R.

٧- ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسى، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، عبدالسلام عبدالشافى محمد - بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات C.D.R.

٨- ابن مجاهد، أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد، السبعة فى القراءات، تحقيق، شوقى ضيف - القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

٩- ابن منظور، محمد مكرم بن منظور الأفريقى المصرى، لسان العرب، نشرة دار المعارف - القاهرة: (د.ت).

١٠- ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، http://www.alwarraq.com(الترقيم الآلى غير موافق للمطبوع).

١١- ابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن على بن يعيش، شرح المفصل للزمخشرى، تحقيق، إميل بديع يعقوب - بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢- أبو حيان الأندلسى (محمد بن يوسف أثير الدين) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق، رجب عثمان - القاهرة: الخانجى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٣- أبو السعود، محمد بن أحمد، تفسير أبى السعود - بيروت: (د.ت) المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات C.D.R ..

١٤- أبو شامة (عبدالرحمن بن إسماعيل)، إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع، تحقيق، إبراهيم عطوة عوض - القاهرة: (د.ت) المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات C.D.R ..

١٥- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوى - القاهرة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٦- الألوسى، أبو الفضل شهاب الدين، السيد محمود الألوسى، روح المعانى، بيروت: (د.ت). مركز التراث للبرمجيالت C.D.R.

١٧- البيضاوى، تفسير البيضاوى، بيروت: المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات، C.D.R.

١٨- الثعالبى، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبى، تفسير الثعالبى - بيروت: (د.ت) مركز التراث للبرمجيات C.D.R.

١٩- الجلالين، جلال الدين السيوطى، وجلال الدين المحلى، تفسير الجالالين، القاهرة: (د.ت) ، المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات C.D.R.

٢٠- جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، ١٩٧٦م.
٢١- حازم على كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامى فى اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الاداب، ١٩٩٣م.
٢٢- الدمياطى (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالمغنى الدمياطي)، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، لبنان: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، مركز التراث للبرمجياتC.D.R.
٢٣- الرازى، محمد بن أبى بكر الرازى، تحقيق، محمود خاطر - بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجياتC.D.R.
٢٤- ربحى كمال، دروس اللغة العبرية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.
٢٥- الرضى، الشريف الرضى، شرح شافية ابن الحاجب، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، الترقيم موافق المطبوع. المكتبة الشاملة C.D.R.
٢٦- رمضان عبدالتواب:
أ) المدخل إلى علم اللغة ومناهة البحث - القاهرة: الخانجى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
ب) فصول فى فقه العربية. القاهرة: الخانجى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٢٧- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السرى، معانى القران وإعرابه، تحقيق: عبدالمجيد شلبى، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٨- الزركشى، أبو عبدالله محمد بن بهادر الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: ١٣٩١هـ، المكتبة الشاملة ومركز التراث للبرمجيات C.D.R. وموقع يعسوب، الترقيم موافق للمطبوع.
٢٩- الزمخشرى، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، تحقيق:

عبدالرازق المهدى، بيروت: (د.ت)، مركز التراث للبرمجيات C.D.R .
٣٠- سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٣١- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
٣٢- الشوكانى، محمد بن على بن محمد الشوكانى، فتح القدير - بيروت - دار الفكر (د.ت)، مركز التراث للبرمجيات C.D.R.
٣٣- صلاح الدين صالح حسنين، القوانين الفنولوجية - القاهرة: مجلة الدراسات الشرقية، (١٤)، ١٩٩٥م.
٣٤- العكبرى، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض - القاهرة: (د.ت)، مركز التراث للبرمجيات C.D.R .
٣٥- الفرجانى، عبدالعظيم عبدالسلام الفرجانى، قبائل العرب فى مصر - القاهرة: دار غريب، ١٩٩٧م.
٣٦- الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، موقع الوراق، http://www.alwrraq.com ترقيم آلى غير موافق للمطبوع.
٣٧- القيسى، مكى بن أبى طالب القيسى، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محى الدين رمضان، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٣٨- كمال بشر:
أ) دراسات فى علم اللغة، القاهرة: دار غريب، ١٩٩٨م.
ب) علم اللغة العام، الأصوات، القاهرة: ١٩٦٩م.
٣٩- النحاس، معانى القرآن، تحقيق، محمد على الصابونى - مكة

المكرمـة ١٤٠٩هـ - المكتبـة الشـاملة ومـركـز التـراث للبرمجيات C.D.R.

الكتب المترجمة:

١- فولفد يتريش فيشر، دراسات فى العربية لمجموعة من المستشرقين، ترجمة، سعيد بحيرى - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.
٢- كارل ديتر بونتج، المدخل إلى علم اللغة، ترجمة، سعيد بحيرى - القاهرة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣- كلاوس هيشن، القضايا الأساسية فى علم اللغة، ترجمة، سعيد بحيرى - القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٤- ماريو باى، أسس اللغة، ترجمة، أحمد مختار عمر - طرابلس، ١٩٧٣م.

مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة

د/محمد محمد محمد الخربي

أستاذ مساعد بكلية اللغات

جامعة صنعاء

توطئة:

تحتل اللغة موقعا متميزا في بحوث الدراسات اللسانية الحديثة ،بدءا بآراء اللساني السويسري فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) (١٨٥٧ – ١٩١٣) في كتابه المعروف "دروس في اللسانيات العامة" (Cours de Linguistique Générale) (١) الذي نشره شارل باللي وسيشهاي سنة ١٩١٦م ،وختاما بأفكار اللساني الأمريكي (نوام تشومسكي (Noam Chomsky) ولد سنة ١٩٢٨) ويعمل في مجال البحث اللغوي منذ فترة تزيد عن نصف قرن،وتمكن عبر مراحل متتالية من تطوير اجتهاداته بصور شتى.

ولا ريب في أن هناك نظريات عديدة قد عالجت مفهوم اللغة ،بل واستندت في وضع تصوراته المختلفة إلى تحديدها الدقيق لمعنى اللغة شكلا ومضمونا. ،ولا يمكننا أن نفهم معالم كل مدرسة ألسنية إلا بالإدراك التام لكيفية معالجتها المبدئية والأساس للمسألة اللغوية في ذاتها ولذاتها .

ونعتقد أن هذا البحث إضافة متخصصة في علم اللسانيات العامة لأنه يحاول إعادة قراءة مفهوم اللغة في ضوء مضامين النظريات اللسانية الحديثة التي وضعها نخبة من كبار علماء اللغة في الغرب مع تقييمها ومناقشتها بعد عرضها في جوانبها الكمية والكيفية.

ويجدر بنا أن نؤكد أن الفكرة الجوهرية في تحديد هدف اللسانيات المعاصرة بكونها "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها "(٢) مع تقديم مختلف المنطلقات والركائز النظرية والعلمية في هذه المسألة من خلال آراء سوسور القوية والمتقصية قد أعطت هذه المدارس بنظرياتها المتعددة قواعد سليمة في إدارة الدرس اللغوي وإنجازه بما لا يتعارض مع الهدف الرئيس في موضوع هذا العلم الآنف الذكر.

وهكذا تكون اللغة البشرية قد تخلصت من كل ما هو ليس من نظامها الخاص، وأصبحت محل اهتمام اللغويين دون أن يقحم فيها من العوامل الخارجية التي تتنافى –حسب مؤسس علم اللسانيات– مع خصوصية نظامها الداخلي.

ولعل سوسور بهذا الفصل قد وضع حدا بين اللغة كأداة تواصل دلالي يقوم على جملة من الأركان اللغوية مثل الأصوات والكلمات والتراكيب والدلالات وما يتعلق بهذه الحقول من مبادئ خاصة هذا من جهة ،وبين اللغة كمكون فكري عقلي يقتبس من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية والتاريخية على وجه العموم كثيرا من السمات التي لابد لعالم اللغة أن يقوم أثناء تطبيق اللسانيات بعزلها وإيلاء اللغة كنظام حر ومستقل حقه من الدرس والتحليل.

ولذلك فإن اللسانيات العامة وتحديد هدفها ومجال عملها في جهود علماء اللسانيات المختلفة وما ساوقها من نظريات قد أنهى فعليا قضايا الازدواج بين البحث اللغوي والتداخلات العقائدية كالتي حدثت لدى علماء اللغة العرب

المسلمين ،أو التداخلات الفلسفية والمنطقية كالتي جرت مع علماء اللغة الغربيين قبل القرن العشرين، مما جعل البحث اللغوي خاضعا لعوامل خارجية لا تسهم في فهم اللغة كمكون دلالي تواصلي في ذاته وتعمق علاقاته وقوانينه في أسسه وظواهره الفاعلة.

وسنحاول فيما يأتي من محاور متالية أ ن نتقصى بشيء من التفصيل وجها واحدا لدى علماء اللسانيات الحديثة ،وهو كيف قدمت كل نظرية اللغة كمفهوم وما هي الأطر المرجعية التي أعانت على صياغة الأصول اللسانية في كل نظرية ؟ كما سنلجأ إلى عملية ربط دلالي بديهي بين مختلف هذه الجهود لنبين في الختام الحدود التي استطاع بها هؤلاء الناس تطوير مجالات البحث اللغوي حتى صارت اللغة وما يتعلق بها حقلا علميا قائما بذاته.

ونعتقد أن أبرز النظريات التي أثرت تحديد اللغة في جانبيها الشكلي والمعنوي هي الآتية:

أولا النظرية السوسورية: (Theorie Saussurienne):

تعتبر هذه النظرية من أكثر الجهود اللغوية ثراء ودقة ،و مثلت النسغ الذي ترجع إليه كل النظريات في تأطير اهتماماتها اللغوية ،ولعل سوسور كان رائدا في وضع المبادئ الكبرى التي عزلت الدرس اللغوي عما سواه من مؤثرات غير لغوية وقام بإعطاء اللغة مكانة خاصة مع تحديد مجالاتها ومصطلحاتها العلمية بطرق متطورة غطت حقول الأصوات والصرف والنحو والدلالة على حد سواء.

ونعتقد أن أهم ركيزة انطلق منها سوسور في بيان مفهوم اللغة هو قوله بوجوب التفريق بين أنواع ثلاثة من الأداء اللغوي(٢): (الكلام (Langage) واللغة (Langue) واللفظ (Parole))

ويهمنا هنا كيفية تحديد سوسير مفهوم اللغة في مختلف جوانبها الفاعلة ،ويرى في البدء أن اللغة هي(٤) :

١- أداة تواصل مكونة من علامات ودلالات أي شكل ومعنى.

٢- مؤسسة اجتماعية تسمى مدونة (Nomenclature أو Corpus).

٣- نظام من العلامات المحددة التي تعبر عن أفكار معينة (٥).

٤- وحدة الكلام الاجتماعية التي تجعل من إمكانية التواصل بين الأفراد الناطقين شيئا ممكنا عبر مجموعة من المواضعات الضرورية فيما بينهم (٦).

٥- ملكة اجتماعية يتم أداؤها ضمن شبكة معقدة حال التواصل بين طرفين ،فهناك عناصر مادية (موجات صوتية) وعناصر عضوية (تصويت واستماع) وعناصر نفسية (الصور العصبية والمفاهيم الذهنية) (٧) ،أي تتلخص في صورة صوتية ومتصور ذهني داخل شبكة تواصل مغلقة بين الطرفين.

٦- كنز مودع في عقول الناطقين بها عن طريق ممارسة اللفظ في النصوص الخاصة بمجموعة بشرية معينة (٨) .

٧- نظام نحوي تركيبي يوجد في كل دماغ الأفراد الذين ينتمون إلى مؤسسة اجتماعية واحدة أو في كل أدمغة الأفراد الاجتماعيين (٩) .

٨- كيان دلالي أساس أو رئيس لا يبدو كاملا في دماغ واحد بعينه ولكنه يتجلى في صورته المثلى في المجموع كله (١٠) ، فلا يوجد ناطق مثالي للغة عند سوسير في أي مجتمع بشري كان.

٩- ذات طبيعة غير محدودة أي مفتوحة في مفرداتها المعجمية وما تدل عليه ،ولكنها متجانسة والهدف الرئيس منها وحدة المعنى والصورة الصوتية الدالة عليه وهما عنصران ذوا مرجعية نفسية (١١) .

١٠- هي شكل وليست مادة ،أي لا يمكن لمسها وإنما يتم وعيها وإدراكها، فهي ذات صبغة تجريدية مطلقة قابلة للتطور والتوسع ،ويمكن العودة إلى الفصل الخاص بـ "القيمة اللغوية" من الصفحة (١٥٥) إلى الصفحة (١٦٩) .

١١- كل صورة صوتية فيها يتم ترجمتها بصورة مرئية ثابتة ،وهي خلاصة لعدد محدود من العناصر أو الصواتم تقابلها علامات مخصوصة أثناء الكتابة، فاللغة مستودع من الصور الصوتية يتم نقلها كتابيا في شكل دلالي واضح ومنظم ،(وقد خصص سوسير فصلا كاملا في كتابه لدراسة كيفية تمثيل اللغة بواسطة الكتابة من ص ٤٤ إلى ص ٥٤ في المصدر نفسه) .

١٢- يفصل سوسير بين اللغة كنظام دلالي قائم بذاته له شكله المجرد وبين أعضاء النطق التي تقوم بإنتاج اللغة نفسها، ويجعلها عناصر خارجة عن عالم اللغة الداخلي (١٢)، ولعله يقصد بذلك أن هذا الجهاز الصوتي ينتج آلاف اللغات البشرية ،بينما تبقى اللغة نظاما خاصا .

١٣- يتدرج سوسير في بيان مفهوم اللغة عن طريق نقد الفكرة التقليدية حولها أن "اللغة قائمة من الألفاظ التي تتطابق مع مثيلاتها من الأشياء (١٣) ،ثم يطور هذه المسألة ليبلغ مفهوما تحليليا دقيقا، وذلك بتقديم الوحدة الصغرى في اللغة وهي العلامة اللغوية التي تصلح على مختلف العلامات المشكلة في نهاية المطاف لمفهوم اللغة قيد الدرس قائلا :"العلامة اللغوية Le Signe) (Linguistique لا تجمع بين شيء واسم بل بين متصور ذهني (Concept)، وصورة صوتية (Image acoustique) (١٤) ،وهذه الصورة ليست الصوت المادي أي ذلك الشيء الفيزيائي المحض ،ولكنها الأثر النفسي الذي يحدثه ذلك الصوت أي التمثيل الذي تقدمه

لنا حواسنا، وهي صورة حسية ننعتها بالمادية من باب المقابلة مع الطرف الآخر من المعادلة اللغوية أي المتصور الذهني الذي يعتبر أكثر تجريدا" (١٥) .

وهكذا يفكك سوسير مفهوم اللغة في وحدته الصغرى أي الدال (Signifiant) والمدلول (Signifie)، فالدال ذو طبيعة لغوية صوتية صرفة ،أما المدلول فذو طبيعة ذهنية تجريدية خالصة، وعملية الترابط الدلالي بينهما تؤدي إلى نعت الشيء الحقيقي في الواقع، وكأن اللغة نظام دلالي خاص ينقل بمقتضى قوانينه علامات الحياة الكائنة بين الأفراد الاجتماعيين وفق اصطلاح وتواضع متفق عليه فيما بينهم.

١٤- هناك أخيرا نوعان من العلاقات اللغوية التي أكد عليها سوسير في دراسة مفهوم اللغة : الأول يتعلق باللفظ وهي العلاقات السياقية (Syntagmatiques) وتتم في مستوى النص أو التركيب المنجز، وحقلها هو الجملة وما يتعلق بها من خيارات خاصة أثناء الإنجاز والأداء، أما الثاني فيتعلق باللغة كمدونة ذهنية تمد الفرد بكل ما يحتاجه في أداء الجمل والتركيب، وهي العلاقات الترابطية (Paradigmatiques)،وقد أسهب سوسير في بيان طبيعتها وأنها تلعب دورا مهما فيما يجب اعتماده من اللغة أو تركه أثناء الحديث ،كما أن هذه العلاقات تبين ثراء اللغة ومدى إمكانية التصرف الدلالي في إنجاز المعنى المراد تبليغه في تركيب ما .

ولذلك فالعلاقات السياقية أو النصية تتصل بمحور التوزيع اللغوي حال الأداء والإنجاز،بينما العلاقات الترابطية أو الذهنية ترتبط بمحور الاختيار اللغوي في مرحلة الكمون ،مما يؤدي إلى تزاحم مستويات اللغة في عقل الناطق بما يتناسب مع مقام الأداء أو التوزيع نفسه ،فإذا صيغت الجملة انتهت هاتان العمليتان.

فنستخلص إذا مما سبق أن مفهوم اللغة لدى سوسير هو مفهوم بنيوي يقوم على أساس كونها نظاما قائما بذاته مترابطا فيما بينه ومستقلا عما غيره من أنظمة تواصل غير لغوية ،والنظام مجموعة من الوحدات يقوم بينها عدد من العلاقات المتنوعة والمتآصرة فيما بينها ،بحيث إن أي تغيير يطرأ على أحد عناصرها فمن شأنه أن يؤثر بكيفية ما على النظام كله ،وهو نظام شكلي مجرد يتم تجسيده في التراكيب حال الأداء والإنجاز ،ولكن وفق قوانين وقواعد صارمة تفرضها اللغة نفسها على الأفراد الناطقين بها ، ولايمكنهم تجاوزها كما أنهم غير قادرين على تمثيلها تمثيلا كليا في حديثهم ،وهي مدونة مثالية وكاملة في أدمغة المجموع كله ،ويجري توظيفها في الحديث بدرجات متفاوتة وحسب ما يقتضيه المقام ذاته ،ولا أدل على ذلك من جدلية العلاقات السياقية النصية والترابطية الذهنية،وهي تؤكد بما لا يدع للشك مجالا أن حقول اللغة واسعة جدا ،وأن المتحدث لا يستثمر منها سوى جزء محدود ويسير.

ثانيا نظرية سابير: (Sapir):

"أسهم إدوارد سابير (١٨٨٤-١٩٣٩) بمجموعة من الأعمال اللسانية في دراسة اللغة باعتبارها "أداة تصنيف للتجربة" (...) إلا أن أبرز ما عرف به في مجال علم اللسان البنيوي كتابه "اللغة" الذي نشره بنفسه سنة ١٩٢١م ،وبين فيه أن اللغة ظاهرة ثقافية داخل نظام السلوك البشري"(١٦)، ويمكن اعتبار نظرية سابير أنها تتنزل ضمن أعمال البنيوية الوظائفية التي توجت بتأسيس نظرية مشتركة عرفت باسم "سابير وورف" ،وهي تذهب إلى وجود علاقة وطيدة بين اللغة والفكر ،وتنص على كوننا "نحلل الطبيعة ونصنفها في خطوط بواسطة اللغة أي من خلال الأنظمة اللغوية المودعة في عقولنا" (١٧) ، وكأنهما يقران بذلك أن اللغة هي نظام ذو طبيعة دلالية

وظائفية ينطبق تماما مع مختلف الموجودات والمتصورات المرئية في الحياة، بعد أن تحال في أدمغتنا الى أنظمة ذهنية قابلة للتحليل والتمثيل عبر هذه اللغة نفسها .

وقد أدلى سابير بأفكار عديدة حاول فيها تحديد مفهوم اللغة ضمن هذه الرؤية السلوكية، "وتتسم بقيامها على قاعدة شكلية ونظام من المفاهيم النحوية الداخلية ونسق من العلاقات التركيبية بين النظام الشكلي والإجراءات النحوية" (١٨) .

ثم يقدم تعريفا دقيقا للغة قائلا: إن" اللغة منهج إنساني محض لا غريزي لتبليغ الأفكار والمشاعر والأغراض بواسطة نظام من العلامات الموضوعية الاختيارية ،وهي مبدئيا علامات مسموعة تحدثها ما يسمى "أعضاء الكلام" ،فليس للكلام البشري قاعدة غريزية متميزة" (١٩) ،"فلا مفر من الأخذ باعتبار اللغة نظاما وظيفيا محكم البناء داخل التركيب النفسي أو الفكري للإنسان" (٢٠) ،ويضرب سابير مثالا لكلمة "منزل" ،معتبرا إياها علامة لغوية ،ولكنها تدل أيضا على "مفهوم" أو مضمون فكري داخل نسق من العلاقات والعناصر المتبادلة والمتعددة ،والتي يربطها نظام جامع لتلك المفاهيم كلها .

بل ويوغل سابير في جعل اللغة وظيفة سابقة للعقل ضمن ما يسميه بمستويات التعبير العلامي (Semiologique) الأعلى مؤكدا أنه "ليس في اللغة ما هو ثابت غير شكلها الخارجي ،بينما تختلف معانيها العميقة وقيمتها النفسية أو كثافتها اختلافا حرا بحسب إدراك الفكر أو اهتماماته المختارة ، ولاشك في أنه يختلف أيضا بحسب التطور الفكري العام ،فيمكن انطلاقا من هذه الوجهة اللغوية أن نحد اللغة باعتبارها أعمق مضامين الكلام أو المضمون الممكن له والحاصل بتأويل كل مكون من مكونات النظام اللغوي في إطار دلالاته المفهومية الخاصة ،وينجر عن ذلك مباشرة انعدام التلازم بين اللغة والفكر"(٢١)

ثم يوضح سابير حقيقة اللغة التي تنشأ من اجتماع العناصر الأصول والعناصر النحوية والكلمات والجمل اجتماعا طبيعيا بالمفاهيم أو مجموعة المفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة، جاعلا للوحدات الصوتية الأولوية المطلقة في تشكيل مكونات اللغة المفيدة ،ويسند إلى كل كلمة مفردة فكرة مخصوصة عبر مفهوم أو صورة ما .

- ويحاول أن يجعل اللغة حقلا من المفردات الدالة على أفكار ،ولكنها تفتقر إلى العملية الوظيفية التي تتبدى قيمتها حال التواصل اللغوي بين الأفراد ،فتحدث المفاهيم الخاصة بتلك الوحدات ضمن سياق النظام اللغوي العام والمتماسك (٢٢) .

ويمكن تلخيص رؤية سابير اللسانية عن اللغة في كونها بنية (Structure) وشكلاً (Forme) ، "وتقوم على عناصر صوتية تربطها علاقات معينة ،ولها أدوار وظيفية وتستقل تماما عن المادة المحسوسة (...) وتمتلك اللغة عند سابير (كما) كافيا من الوحدات الصوتية يكفيها في سد حاجات التواصل الاجتماعي والحضاري ،لذا فإنها تتعامل مع متطلبات الجماعة اللغوية بمرونة واقتدار وقوة وتلزم ناطقيها بجزئياتها وطرائق أدائها وتلويناتها (...) فاللغة تكون فكر متكلميها"(٢٣) .

وقد اقترح سابير في ضوء ذلك مجموعة من المفاهيم لمعالجة شكل اللغة المنجز أي النحوي التركيبي ليصل إلى المفاهيم النحوية الآتية:

١- المفاهيم القاعدية (الأصول) .

٢- المفاهيم الاشتقاقية (الفروع) .

٣- المفاهيم التعليقية المحسوسة .

٤- المفاهيم التعليقية المجردة .

وأنها في مجملها تلخص شكل اللغة الذي لا يستطيع أي فرد القيام بعمليات التواصل بدونها ،فالنحو عند سابير بعد تآلف الوحدات الصوتية هو جوهر اللغة الذي يجعل صياغة الواقع ممكنة في أنماط لغوية شكلية متنوعة داخل النظام العام لها (٢٤) .

ثالثا النظرية الوظيفية: (Theorie Fonctionnelle)

يمثل هذا الاتجاه مارتيني (Martine)(١٩٠٨) وجاكبسون (Jakobson) (١٨٩٦-١٩٨٣) وتروبتسكوي (Troubetskoi) (١٨٩٠-١٩٣٨) ، ويلاحظ أن الوظيفية قد انطلقت من آراء سوسير ،وعملت على تطويرها وتوسيعها ،وسننظر إلى هذه النظرية باعتبارها كلا واحدا، لأن رجالها قد اتحدوا إلى حد ما في بيان مفهوم اللغة بالاستناد إلى أسس مشتركة تنطلق من دراسة كل ما هو وظيفي في اللغة ،وجعلوا عناصر اللغة التي تحمل شحنة إعلامية هي محور بحثهم اللساني(٢٥) .

وأهم المؤلفات التي صبغت هذا الاتجاه هي (مبادىء الأصوات الوظيفية) "Principes de Phonologie" لتروبتسكوي (وعلم وظائف الأصوات) "Phonologie" لجاكبسون و(مبادىء في اللسانيات العامة) "Principes de Linguistique Generale" لمارتيني ،ثم توالت الأعمال الوظيفية حتى السبعينات من القرن الماضي(٢٦) .

ويرى الوظيفيون أن "اللغة أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلا يختلف من مجموعة إلى أخرى عن طريق وحدات ذات دلالة وشكل صوتي هي اللفاظم (Monemes) ،وتقطع هذه اللفاظم بدورها إلى وحدات مميزة متتالية هي الصواتم (Phonemes) ،وعددها محدود في كل لغة ،كما أنها تختلف أيضا من لغة إلى أخرى من حيث طبيعتها وعلاقة بعضها ببعض" (٢٧) ،وثنائية التقطيع هذه تشترك فيها جميع اللغات

البشرية ،وهي من الكليات (Universaux) التي تقرها النظرية الوظيفية ،وتسمح لنا عبر صوائم محدودة في اللغة أن ننتج قائمة لا نهائية من الألفاظ الدالة في التواصل ،كما تفرض هذه الظاهرة على المتكلم أن يختار من المدونة اللغوية الوحدات التي تحمل وظيفة في أداء الرسالة ،فالصوائم تتحول إلى لفاظم عن طريق التالي والتابع ،وكذلك اللفاظم تتحول إلى جمل ومقاطع نحوية تركيبية بالكيفية نفسها (٢٨) .

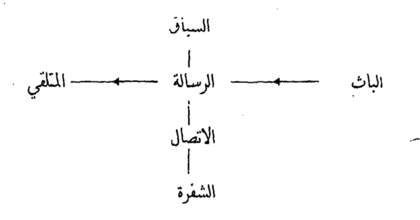
ولذلك يركز أصحاب هذه النظرية في دراستهم الصوتية على مفهوم الوظائف التمييزية (Fonctions distinctives) ،ويعتبرون أن اللغة تقوم على مستويين في الدلالة الوظيفية وهما :

أ) مستوى التعبير (Le Plan de Lexpression)

ب) مستوى المضمون (Le Plan de Contenu)

ويتجلى الجانب الأول من ثنائية التقطيع (double Articulation) أي اللفاظم في المستويين معا ،أما الجانب الثاني من هذه الثنائية أي الصوائم فيتعلق فقط بمستوى التعبير، فاللفاظم رغم كونها محدودة فإنها تسمح لنا بتكوين قائمة مفتوحة من الكلمات ،كما أن الصوائم رغم عددها البسيط الذي قد يبلغ خمسين صوتا في بعض اللغات فإنها تتيح لنا أن نشكل منها عشرات الآلاف من الدوال المختلفة(٢٩) .

وقد حصر جاكبسون اللغة وظائفيا فيما سماه بدائرة التواصل اللساني، وحدد فيها مجموعة من الأركان التي تتحكم في عملية أداء المعنى وإنجاز الخطاب المطلوب، واقترح التواصل اللغوي ضمن الدائرة الآتية:



ونلاحظ فيها أن الأطراف ستة ،فالباث (Destinateur) هو الذي ينشئ الرسالة ويقوم بتبليغها إلى طرف ثان ،والسياق (Contexte) هو المرجع والمقام الذي يربط جميع أطراف الدائرة ،والشفرة (Code) هي أداة التواصل اللغوية المعروفة بين طرفي الدائرة وقد تكون الانكليزية أو الفرنسية أو العربية ،والاتصال (Contact) هو الباعث الذي يجعل عملية التواصل بين الطرفين ممكنة ،ويعمل على حفظها وتحقيقها ،والرسالة (Message)هو المضمون النصي أو الخطاب المراد إيصاله إلى الطرف الآخر وأخيرا المتلقي (Destinatair) هو الطرف الآخر في الدائرة الذي يستقبل الرسالة ويقوم بفكها وإدراكها وتحويلها إلى نص تواصلي تمثيلي (٣٠) .

فاللغة عندهم إذا نظام من العلامات المترابطة بشبكة من العلاقات وأداة تواصل وظيفية ، وهذه الوظيفة أي العلاقة التي تنشأ في الملفوظ بين مختلف العناصر المكونة له هي المقياس الذي يعتمده اللساني ليختار من الملفوظ ما هو أساسي في التواصل والتبليغ أي ما هو مفيد (Pertinent)، ويغض النظر بالمقابل عما لا يفيد أي لا يحمل شحنة إعلامية أو إخبارية" (٣١) .

وهكذا نلاحظ أن هذه النظرية قد أعطت اللغة مفهوما واسعا ،وحاولت أن تعالج مختلف جوانبها بدءا بالأصوات وانتهاء بالدلالة ودائرة التواصل اللسانية ،ولعل السر في ذلك يعود إلى كونها

أخذت اللغة كشكل ومعنى ودلالة مما جعلها أكثر قوة بعد نظرية سوسير في بلورة مفاهيم تطبيقية مباشرة في منهجها الوظيفي كما وكيفا .

رابعا النظرية التوزيعية: (Theorie Distributionnelle)

تنسب هذه النظرية إلى اللساني البنيوي ليونارد بلومفيلد (L.Bloomfield) (١٨٨٧-١٩٤٩) ، وظهرت مبادئها سنة ١٩٣٠م في كتابه الموسوم بـ (اللغة) "Language" ، جاءت عموما كرد فعل على أفكار النحاة ذوي النزعة الذهنية ، فأقصت المعنى من معالجاتها لمفهوم اللغة وترى " أن أجزاء اللغة لا تلتقي بصفة اعتباطية، وإنما كل عنصر يحتل مواضع مخصوصة بالنسبة إلى غيره من العناصر" (٣٢) ،(وقد تأثر التوزيعيون بالمنهج السلوكي (Behaviourisme) في دراسة مفهوم اللغة ،فهم يرونها سلسلة من الفعل المثير (Stimulus) ورد فعل الاستجابة (Reponse) ،ويعتبرون معنى الرسالة ما يحصل عموما من مجموعة مقام التواصل ،فهذه الخلاصة في كليتها هي المعنى الذي يعتد به في هذا السياق، ويجب على اللساني أن يحلل عناصر اللغة ذات الكفاءة الممكنة أو غير الممكنة للتآلف فيما بينها ،حتى نتمكن من بلوغ وصف شامل لها في حالتها التزامنية الآنية (٣٣) .

وهو ما يقتضي الانطلاق من مدونة تمثيلية في شكل ألفاظ خطية متحدة ومعقدة تؤدي إلى تشكيل عناصر مختلفة في مستويات شتى من النظام ،واللغة تتيح لنا مجموعة من الطبقات المنتظمة التي تغطي الأصوات والبنى الصرفية والتركيبية ،وكل وحدة طبقية يجري تحديدها بالاعتماد على مكوناتها بالنسبة إلى الطبقة اللغوية الأرفع منها ،ويتم اللجوء إلى المعنى بصورة تقنية عندما نحتاج إلى توضيح هوية الألفاظ من عدمها (٣٤) .

فاللغة شكل منظم يتكون من عناصر صوتية وصرفية ونحوية تم دراستها ضمن تشكيلاته داخل النص أو الخطاب نفسه وتحديد قواعدها التوزيعية ،ثم إن بلومفيلد ومن سار حذوه من البنيويين "اعتقدوا أن المعنى أمر موسوعي والإحاطة به تتطلب الإحاطة بكل ما توصل إليه الإنسان من خبرات في عالم الحياة ،وبما أن مثل هذه الإحاطة الكاملة مستحيلة فإن البحث في علم المعنى يظل يشكل نقطة ضعف في الدراسات اللغوية ،ولذا تجنبوا الخوض فيه أو أرجؤوه إلى حين اكتمال المعرفة الموسوعية والعلمية لعالم الخبرة الإنسانية" (٢٥) ،وعلى الألسني أن يعالج اللغة بوصفها أشكالا من الملفوظات التي يجري توزيعها وفق نظام خاص من العلاقات والمكونات البنيوية .

ويقترن أخيرا الشكل اللغوي بالدلالة ،فالمعنى أمر بديهي وحاضر في الملفوظات التي تشكل النص أو الخطاب ،ولذلك يتمكن الألسني من دراستها ،ويقسم بلومفيلد هذه الأشكال إلى نوعين:

أ) الأشكال المقيدة (تمثلها أجزاء الوحدات اللغوية) .

ب) الأشكال الحرة ونجد فيها:

١- الوحدات اللغوية المفردة وتسمى مستقلة.

٢- الوحدات اللغوية المزدوجة وتسمى غير مستقلة.

ويتم دراسة المكونات الطبقية المباشرة ابتداء من القمة ونزولا إلى القاعدة ،وهذا اللون من التحليل النحوي للتراكيب اللغوية من أكثر الأساليب انتشارا في أوساط اللسانيين في وقتنا الراهن"(٣٦) .

وقد يكون من نتائج الاتجاه البلومفيلدي المتمثل في العناية بالبنية وإبعاد المعنى أن بدأ اللسانيون يميلون إلى الوصف القواعدي لبنية الجملة ،فشاع عندهم ما يعرف بالتحليل التكويني المباشر الذي ترتبط فيه المصرفات (المكونات) بعضها ببعض في مشجرات ،وقد مهد ذلك لظهور

التوزيعيين الذين أخذ الوصف اللغوي عندهم طابع العناية بالعلاقات التوزيعية بين الصواتم في المركبات المتألفة منها وبين اللفاظم ،وعلى الرغم من أن هاريس (Harris) قد تمكن من تطوير جوانب من اللسانيات البنيوية فقد شاع إطلاق البنيوية حصرا على التحليل اللغوي الذي نظر له بلومفيلد"(٣٧).

خامسا النظرية الجلوسيمية: (Glossematique)

يمكن ترجمة الجلوسيمية تقريبا بالتحليل اللغوي شبه الرياضي ،أما صاحبها فهو لويس يلمسليف (Louis Hjelmslev) (١٨٩٩- ١٩٦٥) ،وهو الذي أسس مع بروندال (Brondal) حلقة كوبنهاجن اللسانية ،وقد تقيد بآراء سوسير اللسانية في دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها كنظام خاص ومستقل ،وبرز تأثيره في علمي الدلالة والعلامية ،وقد ظهرت هذه النظرية في كتابه الموسوم بـ"أسس النحو العام" (Principes de Grammaire generale) الذي صدر سنة ١٩٢٨م.

وتنظر هذه النظرية إلى اللغة ،"وكأنها وحدة مغلقة على نفسها وبنية فريدة من نوع خاص (...) وتشبه في هندستها الداخلية وتوزيع طبقاتها اللسانية الأشكال الرياضية الجبرية (...) فاللغة شكل وليس بجوهر ،وليس هناك من شيء سابق لنظامها ،وكل لغة تطبق تقطيعا مميزا بها للواقع الخارجي" (٣٨).

وهكذا فإن هذه النظرية ترى أن اللغة تتحرك في مستويين : الشكل (Forme) والجوهر (Substance) أي مستوى ظاهري وآخر معنوي ،وما يمكن وجوده في شكل اللغة الخارجي فإننا نتبين مقابله في محتواها الداخلي، وهذا الانطباق من جهة أخرى ليس حكرا على ظاهر اللغة وباطنها ،ولكنه أيضا ينطبق تماما مع العالم الواقعي الذي تصفه اللغة ،ولذلك نحن مطالبون حسب هذه النظرية بدراسة الشكل اللغوي فقط .

ويؤكد يلمسليف أن مستوى الشكل لا يعدو عن كونه إمكانات نطقية وسمعية تحدث عبر الأعضاء البشرية ،أما الجوهر في اللغة فهو محور الاختيار الذي يسم نوعية هذه الإمكانات المنتجة والمستخلصة على مستوى الشكل نفسه (٣٩) .

وقد اقترح وحدة لسانية صغرى تقابل ما هو معروف في الدراسة الصرفية أي اللفاظم ، وسماها بالجلوسيم (Glosseme) ،وهي البنية اللسانية الدنيا والثابتة التي لا تقبل التجزئة إلى ما هو أصغر منها على مستويي الشكل والجوهر اللغويين (٤٠) .

كما اعتبر أن المتماثلات والاختلافات إنما تمس شكل اللغة لا جوهرها ،وبهذا تختلف اللغات بعضها عن بعض ،وبهذا تكون الجلوسيمية قد انتقدت بشدة اللسانيات الداخلية ،واستندت في آرائها إلى اعتبارات تخرج عن طبيعة اللغة نفسها أي اللسانيات الخارجية ،مع التقيد الشديد ببنية اللغة الشكلية.

ويكون يلمسليف قد "تأثر كثيرا بسوسير لا سيما في عنايته بالمباني (الأشكال) على حساب الجوهر (المحتوى) ،وحاول أن يطور أفكاره البنيوية فيما عرف عنه بالتأويلات ،ونتيجة لصعوبتها وطبيعة مصطلحاتها غير المتجانسة لم تنل تلك الأفكار الاهتمام اللازم ،ومن الانتقادات التي وجهت لتأويلات يلمسليف أنها نسخة نظرية وشخصية للسانيات سوسير ،غير أنه طبقها على نحو فيه مغالاة منطقية" (٤١) .

سادسا النظرية البرجماتية: (Pragmatique):

اختلف الدارسون العرب في كيفية ترجمة كلمة البرجماتية ،وقد جرى الخلط بينها وبين المصطلح الفلسفي (Pragmatisme) ،وقد عثرنا على اصطلاحات عديدة لهذه

النظرية مثل الذرائعية والتداولية والنفعية وعلم التخاطب (٤٢) والقصدية (٤٣) ،ونعتقد أن أنسب مفهوم لها هو علم اللغة التواصلي ،لأن هذه النظرية تعنى بالأداء والجوانب التخاطبية حال التواصل باللغة، وأهم أعلامها قرايس (Grice)وأوستين (Austin) وسيرل (Searle) ،وقد نشأت مع قرايس الذي أكد أهمية دراسة عملية التخاطب عن طريق جملة من المبادئ والمفاهيم الخاصة (وتفترض البرجماتية وجود توقعات بين المتخاطبين وأصول خطابية تحكم سلوكهم واستنتاجاتهم في عملية الأداء ،وقد عرف عن البرجماتيين تشكيكهم في فكرة قصر اللسانيات على دراسة الكفاية اللغوية بعيدا عن الاستخدام والسياق) (٤٤) .

وهذا يعني أن عملية التخاطب لا تقتصر على المعطيات اللغوية ،ولكنها تشتمل أيضا على عناصر منطقية تعتمد على التداخل بين حقول معرفية عديدة .

ولعل هذا الاتجاه قد بات بعيدا عن إطار اللغة الذي رسمه سوسير ،لأن أصحابه قد أقحموا اللغة في أحد حقول علم العلامات (Semiologie) حينما ركزوا جهودهم اللغوية على فهم اللغة من وجهة نظر مستخدميها ،والخيارات التي يصيغونها حال توظيف اللغة في التفاعل الاجتماعي، مما جعل اللغة لديهم مزيجا واسعا من علم العلامات والدلالة واللسانيات الاجتماعية ومقتضيات السياق المنطقية التي يمكن أن ترتبط ارتباطا شكليا ببنية اللغة ،وهو ما جعلها غير واضحة المعالم في منهج بعينه قابل للتطبيق ،كما أدت إلى اشتقاق العديد من المجالات العلمية في دراسة عملية التواصل اللغوي (٤٥) ،"فالبرجماتية تدرس اللغة عن طريق تحليل علاقة العلامات بمستعمليها (...) وبالمقابل نجد من يفرق بين معنى القول وهو معنى دلالي ودلالة القول وهو معنى برجماتي" (٤٦) .

وقد شددت هذه النظرية على أن اللغة هي أيضا ميدان لإنجاز أعمال خاصة بها ،وجرى اقتراح الأعمال اللغوية ضمن النقاط الآتية (٤٧):

١- البرجماتية لا تربط العلامة اللغوية بمستعملها فقط، بل بالمؤسسة اللغوية في عمومها من حيث هي مجال من مجالات التعامل الاجتماعي.

٢- أنها كنظرية للتخاطب تؤكد على التعامل من جهة المتكلم أكثر من تأكيدها عليه من جهة المخاطب.

٣- أنها وهي تؤكد على الوجه العرفي لا تدرس ما يسميه سوسير بالكلام ،وإنما تدرس استعمال اللغة في صورة مجردة فهي لا تسعى إلى وصف خصوصيات في الكلام ،بل تسعى من خلال دراسة الأعمال إلى البحث عن مظاهر عامة في استعمال اللغة.

سابعا نظرية فيرث: (Firth) (١٨٩٠-١٩٦٠م)

تعرف مساهمة فيرث اللسانية باسم (نظرية المعنى السياقية) "Contextual Theory Of Meaning" ،وقد انصب اهتمامه في دراسة اللغة على علمي الأصوات والدلالة ،وهي عادة العلماء الانكليز منذ جونز (Jones) ،وقد مثلت هذه النظرية تحديا مباشرا لأفكار بلومفيلد في تلك الآونة ،وقد قام هاليداي (Halliday) بتطوير أفكار فيرث لاحقا، وضمنها أبعادا جديدة بحيث لم تعد قاصرة على مستوى الجملة بل تجاوزتها إلى ما هو أكبر أي النص" (٤٨).

"وكان الفضل لفيرث في تأصيل نظرية السياق من خلال وضعه للإطار المنهجي لتحليل المعنى والذي يعتمد على أربعة عوامل هي:

١- تحليل السياق اللغوي صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا.

٢- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.

٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية: مدح ،هجاء ،طلب الخ. .

٤- بيان الأثر الذي يتركه الكلام كالإقناع أو التصديق أو التكذيب أو الفرح أو الألم . . .الخ" (٤٩) .

فاستعمال الكلمة في رأي هؤلاء اللسانيين يحكمه أمران : السياق اللغوي الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة ،لأن الكلمة يتجدد معناها بعلاقتها مع الكلمات الأخرى ،ولا يمكن أن تتضح الدلالات الدقيقة لها إلا عندما نضعها في سياقات مختلفة ، وسياق الموقف الذي يتكون من ثلاثة عناصر وهي:شخصية المتكلم والسامع والعوامل الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالحدث اللغوي ثم الأثر الناتج من ذلك الحدث اللغوي(٥٠) .

ويلاحظ أن مفهوم اللغة لدى هذه النظرية قد حال إلى مجموعة من الدلالات والعلاقات المرتبطة بسياق خطابي ما ،مما يعني أنها تنظر إلى اللغة كمعنى يدل على وظيفة في سياق مخصوص، وهو ما يعد تحولا في الفكرة السائدة عن المعنى بأنه علاقة بين اللفظ وما يحيل إليه في الخارج أو الذهن من حقائق وأحداث (٥١) .

"إذ يرى فيرث أن الوقت قد حان للتخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، والنظر إليه على أنه "مركب من العلاقات السياقية ،وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأتى إلا بعد أن تتجسد القولة في موقف فعلي معين ،أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الوضعي الكامن إلى حيز الوجود الاستعمالي الفعلي ،وهو أمر لا يتحقق- حسب رأيه — إلا في سياق الموقف (Theory of Context of Situation) (٥٢) .

ثامنا النظرية النفسية النظامية: (Psycho systematique)

أنشأها قوستاف قيوم (Gustave Guillaume) ١٩٦٠م ،وتمتاز نظريته بصيغتها الذهنية، وبلغت درجة قصوى من العمق والتجريد ،وتجد الآن رواجا في أوساط الألسنيين بسبب الرجوع إلى المعنى عند دارسي اللغة خاصة مع انتشار النظرية التوليدية التحويلية والاتجاه البرجماتي والسياقي في تحليل اللغة والخطاب ،وقد تأثر بأفكار سوسير اللسانية (٥٣) .

وقد ارتكز قيوم في نظريته على ثنائية الخطاب (Discours) واللغة (Langue)، واعتبر اللغة سابقة والخطاب لاحقا لها ،ويعرف اللغة "أنها نظام فكري — أي أنها عبارة عن مجموعة أشكال فكرية (Schemes de Pensee) أو اتجاهات فكرية (Mouvements) ترتبط بعضها ببعض لتكون نظاما مغلقا — ،وهذا النظام يتكون من أنظمة ذات مستويات مختلفة ،وتتداخل بعضها في بعض ،وتنتمي إلى بعضها كانتماء الجزء إلى الكل أو الفرع إلى الأصل ،ويلح قيوم" على الحركية التي تكتسيها هذه الأشكال الفكرية — فاللغة اتجاهات فكرية لا سكنات" (٥٤) .

ويعني قيوم بكلمة نفسي "أن اللغة مسألة ذهنية فكرية قبل أن تكون مجموع علامات ،أي إن العلامات ليست إلا تكريسا لعمليات فكرية تتطلب حلا لغويا للتعبير عن التجربة الكونية التي يعرفها الفكر وعن مقتضيات التواصل الاجتماعية ،فاللغة هي تلك العمليات الفكرية التي من وراء كل علامة أو مجموعة علامات" (٥٥) ،وهذه العمليات تحدث ضمن نظام واضح ودقيق وعبر أشكال ذهنية متحركة تحدد نفسها بنفسها .

وللعلامة اللغوية عند قيوم ارتباطان أي باللغة والخطاب ،فالدال والمدلول في مستوى اللغة ذوا اتجاه واحد ،بينما الدال والمدلول في مستوى الخطاب ذوا اتجاهات متعددة ،لأن وجود العلامات في اللغة هو وجود بالقوة ،بينما وجودها في الخطاب هو وجود بالفعل

،وقد وجه قيوم اهتمامه إلى دراسة المدلول اللغوي بالقوة ولكن ضمن ثنائية السابق واللاحق (٥٦) .

أما الأمر الآخر الذي يميز رؤية قيوم تجاه اللغة أنه اعتمد في الدرس والتحليل على لسانية الكلمة بدلا من الجملة ،لأن الكلمة مكتملة وتنتمي إلى اللغة ،بينما الجملة المنجزة تنتمي إلى الخطاب، وإن كان تركيبها العام ينتمي إلى اللغة (٥٧) .

وهكذا يعتمد قيوم على ألسنية الكلمة مبدئيا للوصول لاحقا وبصورة معقدة إلى ألسنية الجملة ،وتبدو لنا اللغة كأولوية مطلقة في بحوث اللسانيات النفسية النظامية مع استبطان عميق للطبقات الذهنية إلى درجة التساؤل عن مدى التزامها فعليا باللغة كنص منجز ضمن الوحدات اللسانية التركيبية .

تاسعا النظرية التوليدية التحويلية: (٥٨)

(Transformational Generative Theory)

تمثل هذه النظرية عصارة الجهود اللغوية في الدرس اللساني الحديث ،واستطاع صاحبها أفرام نوام تشومسكي (Avram Noam Chomsky) (ولد في سنة ١٩٢٨) لأكثر من نصف قرن وحتى يومنا الحاضر أن يتصدر بأفكاره المتجددة والعميقة سدة الاجتهادات ،وأن يطور رؤاه اللغوية تطويرا منطقيا بدءا بتبنيه لفكرة التحويل ودورها في بناء نظم الكلام لأستاذه زيليج هاريس(Z. Harris) وختاما بدراسة الروابط المنطقية بين عناصر التركيب ودور العلاقات الدلالية في النظم ومكوناته المختلفة.

"ولا جرم أن أفكار تشومسكي- التي كتب لها الذيوع والانتشار في أمريكا وأوروبا – قد كانت رد فعل لأفكار بلومفيلد وتصوره السلوكي للنشاط اللساني لدى الإنسان ،لقد تبنى تشومسكي ما يسمى بالنظرية العقلية (Mentalistic Theory) التي تربط اللغة بالعقل وليس بالسلوك ،وتدرسها على أنها نشاط إبداعي وأن اللغة نشاط من عمل العقل ،فهناك عوامل كامنة أي ليست سطحية تعمل على توليد تراكيبها، أو بعبارة أخرى يوجد شكل خارجي "آلي" وشكل داخلي عضوي للغة، ويعتبر الشكل الداخلي العضوي الأساس في التحليل اللساني لأنه يمثل البنية العميقة لما يحدث للبنية السطحية للغة.

لقد كان منهج التحليل البنائي للتراكيب قبل تشومسكي لا يفسر لنا كيفية إنتاج هذه التراكيب ،ولهذا فقد كان منهج النحو التحويلي الذي أضيفت إليه صفة التوليدي فيما بعد – والذي يرمز إليه بالحروف G.T.G- آخر تطور للنظرية اللسانية في الدرس اللغوي في القرن العشرين" (٥٩).

وتمكن تشومسكي من وضع آرائه في تحديد اللغة وفق تصوره المرحلي لها ،أي إنه قدم لنا تعريفاته حسب إسهاماته اللسانية ،ويمكننا أن نرصد في هذا السياق المراحل الزمنية الآتية (٦٠):

الأولى: صدور كتابه الأول (البنى التركيبية) (٦١) "Syntactic Structures"عام ١٩٥٧م، اعتبر فيه النحو أداة لتوليد كل الجمل النحوية ،ويرى أن النحو يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

بنية العبارة والتحويل والقسم المورفوفونيمي ،ولكل من هذه الأقسام مجموعة من القواعد تطبق في تتابع محدد مثل جملة وعبارة فعلية وعبارة اسمية ،وذكر نوعين من القواعد هما:

أ) قواعد بنية العبارة مثل المفردات المعجمية والأقسام النظمية.

ب) قواعد التحويل وفيها نوعان من الوظائف هما:

١) تغيير العلاقات النحوية مثل المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم.

٢) تحويل الجمل البسيطة إلى جمل مركبة.

الثانية: صدور كتابه (ملامح النظرية التركيبية) "Aspects Of Syntactic Theory" عام١٩٦٥م، وطور فيه نظريته بإدخال عنصر الدلالة والفونولوجيا والعنصر النظمي، وتحدث عن العلاقات الدلالية ومفهوم البنية العميقة (Deep Structure) في مقابل البنية السطحية (Surface Structure)، وربط بين الشكل الصوتي للجملة بالبنية السطحية مع فصل هذه الأخيرة عن البنية العميقة في عملية التمثيل النظمي .

الثالثة: صدور كتابه الموسوم بـ "Extended Standard Theory" (النظرية الموحدة الموسعة) عام ١٩٧٥م ، وركز فيه على جملة جديدة من المفاهيم اللغوية ذات العلاقة بقواعد الدلالة، وكيف تسهم عبر البنية السطحية وبتفاعل البنية العميقة في تحقيق التفسير الدلالي.

الرابعة:صدور كتابه " Government and Binding " عام ١٩٨٠، و يضم نظرية العامل أو الحكم والربط ،وتسمى بالإنكليزية، وهي على درجة كبيرة من التجريد . ويقصد بالربط الظروف التي تربط بعض عناصر الجملة ،وأما العامل أو الحكم فيشير إلى السياقات التي تظهر فيها العلاقات.

الخامسة: تتميز بتنوع آرائه وثرائها ومحاولته الدائمة تغيير اجتهاداته طبقا لما يستجد في ميدان علم اللسانيات هنا وهناك ،مع ملاحظة أن تشومسكي قد بلغ مرحلة متقدمة من التجريد المنطقي لمفهوم اللغة ،وهو يسعى دوما إلى إيجاد ما دعاه بالنحو العام لجميع اللغات البشرية ،كما

ظهرت تدريجيا نظرية المبادئ والوسائط "Principles and Parameters Theory" التي تبحث في مبادئ نظم الكلام على كل اللغات مع اختلاف الشكل من لغة إلى أخرى.

ونستطيع أن نلخص رؤية تشومسكي للغة في الاتجاهات الآتية:

١- يركز تشومسكي في تعريف اللغة على اتجاهين:الأول عام صالح لجميع اللغات فهي "كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو من الحروف الأبجدية) وكل جملة بالإمكان تصورها كتتابع من الفونيمات مع العلم أن عدد الجمل غير متناه" (٦٢).

الثاني: خاص فهي : "مجموعة جمل كل جملة منها تحتوي على شكل فونيتيكي (صوتي) وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به ،وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يفصل هذا التوافق بين الصوت والدلالة"(٦٣) .

للغة وجهان أحدهما ذهني خالص يوجد بالقوة والكمون سماه الكفاية (Competence)والآخر إجرائي منطوق ومسموع سماه الأداء (Performance) (٦٤) .

٢- اللغة ملكة لسانية وميزة إنسانية مكتسبة يمثلها الناطق المثالي عن طريق الجمع بين أصوات تحتوي على دلالات (٦٥) .

٣- تقوم اللغة في جانبها البنائي على مبدأين كبيرين هما: التوليد والتحويل وضمن ثنائيتين أساسيتين هما: البينة السطحية والبنية العميقة ،فالتحويل يرتبط ببنية النص السطحية ،أما التوليد فببنية النص العميقة وهو مستوى عميق خاص ومستقل عن المكونات الصرفية والصوتية والدلالية(٦٦).

خاتمة:

يتجلى لنا مما سبق أن الدرس اللساني قد شهد تطورات عديدة في تحديد اللغة ،وأن اللغة قد تبوأت صدارة الاهتمامات وكانت بمثابة المدخل الرئيس في تشكيل رؤى وأفكار كل نظرية.

كما نلاحظ أن جهود سوسير تميزت بقوتها وشموليتها ،إن أخذنا بعين الاعتبار مرحلة تأسيس علم اللسانيات العامة ومحاولة هذه النظرية وضع المبادئ العامة ،وكأن هذا العلم قد عرف حقبتين كبيرين تميزتا بالثراء والتنوع وهما:

أ) التأسيس مع سوسير حتى أصبح كل عمل تلاه نوعا من التلوين والتدوير لأفكاره الأولى بشأن مفهوم اللغة وكيف يتم التعامل معها في ذاتها ولذاتها كجهاز ذاتي مستقل عن العوامل الخارجية غير اللغوية.

ب) التجذير مع تشومسكي حتى تمكن من استقطاب مختلف الجهود الحديثة ،ولعل السر في ذلك مثابرته على فهم كل فكرة جديدة تطرأ لدى أي لغوي ،والعمل الدؤوب على تعديل آرائه في ضوء الأبعاد القيمة لهذه الفكرة ،مما جعل نظرياته تحتل موقعا خاصة ومميزا في الدرس اللساني ، بل أضحت مرجعية أساسا لكل معاصريه من رواد هذا العلم.

فهاتان المرحلتان هما كقوسين يفسران كيفية تطور مفهوم اللغة من موقع إلى آخر حتى وجدنا نظرية اللساني الأمريكي كينيث بايك (K. Pike) والمسماة بـ "Tagmemic Theory" تذهب إلى تحديد اللغة في نطاق ما يسمى بفكرة "القوالب" (٦٧) ، وأن اللغة — حسب هذه النظرية– عبارة عن مجموعة من القوالب (Tagmemes) فيها فجوات (Slots) يتم ملؤها بسدات (Fillers) ، وكل قالب يتألف من عناصر تعمل على تشكيل التراكيب اللغوية ضمن الوظائف المعروفة نحويا ،كما تميز

هـذه النظريـة في اللغـة ثلاثـة أنظمـة تدريجيـة وهـي: النظـام النحـوي والنظـام الصـوتي والنظـام المعجمي،وكل نظام يحوّي على عدة مستّويات ترتبط فيما بينها بعلاقات ووظائف.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الثراء والتنوع الفكري الذي رافق طرح آراء سوسير الجريئة عن مفهوم اللغة ومحاولاته إيجاد حقولها الخاصة بها ،مما أكسبها لاحقا ميادين واسعة تمثلت في جملة النظريات التي قمنا ببسطها في نطاق هذه الدراسة المتواضعة.

ويجدر بنا أن نبين أن مختلف المسارات اللسانية قد اقتبست الأسس السوسيرية حال تحديدها لمفهوم اللغة، وليس ذلك عيبا وإنما هي ميزة تؤكد حقا أن جهود اللسانيين هي ثمرة تراكم معرفي بحت ،ولا يمكن فصلها بعضها عن بعض وأن المستفيد الوحيد من ذلك هي اللغة في ذاتها ولذاتها .

وهكذا نستطيع في خاتمة المطاف أن نجزم بأن نهج سوسير اللساني في تحديد اللغة ضمن ثنائية العلامة اللغوية أي الدال والمدلول من جهة والشيء الحقيقي ومايدل عليه في ذهن المتكلم من جهة أخرى قد هيمن على جميع أعمال وجهود اللغويين المتأخرين ،وأن آراءهم هي مجرد تلوينات وتقليبات لفكرته الجوهرية عن حقيقة اللغة.

وحتّى نزيل الغموض والالتباس فيكفي أن نشير إلى أن فكرة تشومسكي الجوهرية في تحديد اللغة البشرية والمتمثلة في التحويل والتوليد هي تلوين لغوي لفكرة سوسير كونها — أي اللغة– تخضع لنوعين من العلاقات :

الأولى: سياقية مجالها النص والثانية ترابطية مجالها الذهن ،وهنا نفهم حقيقة البنية السطحية والبنية العميقة مع الاعتراف بخصوصية الطرح التشومسكي .

أما فكرته بشأن الكفاية والأداء فهي أيضا محاكاة بصورة ما لفكرة سوسير عندما ميز بين الكلام واللغة واللفظ ،فتبنى تشومسكي ثنائية اللغة واللفظ، وطورها في إطار تحديد سوسير بكون اللغة كنزا مودعا في عقول أصحابها ،ليبلغ ذروة رؤاه التوليدية بما سماه الناطق المثالي.

ويبقى سوسير – إذا أخذنا في تصورنا الفارق التاريخي – الأكثر دقة وحكمة في دراسة مفهوم اللغة ،كما أنه كان متقصيا وشاملا في تأسيس جميع مبادئها الكبرى ،خاصة نهجه في معالجة ثنائية الدال والمدلول الذي أصبح نسغ كل اجتهاد لساني على امتداد مختلف النظريات اللسانية الحديثة.

ونتطلع حاليا إلى منهج خاص في معالجة "اللغة" يأخذ في حسبانه أحدث الوسائل التي يتم توظيفها في الدرس اللغوي ، ونقصد بذلك الحواسيب ،وما نتج عنها من "علم اللسانيات الحاسوبية" (٦٨) (Computational Linguistics) ، وكذلك تطور ما يسمى بعلم "اللسانيات المعرفية" (Cognitive Linguistics) ، مما يبشر بحقبة علمية متطورة قد تجعل من درس اللغة ظاهرة فريدة تتناسب مع خصوصية العصر القادم كما وكيفا .

الهوامش:

١-يحتل كتاب سوسير موقعا متميزا ورائدا في علم اللسانيات العامة ولذلك تمت ترجمته عدة مرات إلى اللغة العربية ، ولعل أدق الترجمات هي تلك التي أصدرتها الجامعة التونسية ،وقام بها نخبة من خيرة العارفين باللغتين العربية والفرنسية مع تمص دقيق في ترجمة آراء سوسور وهي الطبعة الآتية: دروس في الألسنية العامة ،فردينان دي سوسير ،تعريب :صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة ،الدار العربية للكتاب –تونس ،ط/١٩٨٥،١،وجرى تضمين هذه الطبعة مقالا قيما بعنوان "أمهات نظريات فاردينان دي سوسير ،وفيه عرض دقيق وشيق لأفكار سوسير بشأن اللغة وهو مقال نشر باللغة الفرنسية لصالح القرمادي وترجمه كل من محمد الشاوش ومحمد عجينة إلى اللغة العربية ،كما يشمل هذا الكتاب على قائمة طويلة بالمصطلحات اللسانية الواردة في النسخة الأصلية ،وصار لها صداها الكبير في علم اللسانيات العامة.

2- Cours de Linguistique Generale, Ferdinand de Saussure, Payot, Paris,1982, P (317).

٣-انظر المصدر السابق من ص ٢٣ إلى ص٣٥ ،ويحاول سوسير هنا التفريق بين هذه المصطلحات جاعلا الكلام نظاما عاما يحتوي على اللغة وما ليس من اللغة ،أي أنه يتضمن على جانب فردي واجتماعي ونفسي الخ. . ،بينما اللغة هي نظام دلالي صرف وهو هدف اللساني ،أما اللفظ فإنه الإجراء الذاتي للمتحدث ،أي صورة شخصية للناطق باللغة ،فهو محدود المعالم ونوع من الانتقاء البياني داخل المدونة اللغوية ذاتها ،فهو يتضمن بعض سمات اللغة وغير صالح لكي يعمم على المدونة ككل.

٤- تم استنباط هذه النقاط من مصدرها الأول وعبر فصول الكتاب المختلفة وكان أهمها:

- المقدمة
- ألسنية اللغة وألسنية اللفظ .
- مبادىء عامة حول طبيعة العلامة اللغوية .
- اللسانيات التاريخية التعاقبية .
- اللسانيات التزامنية الآنية.

- وحرص الباحث هنا على تقديمها بصورة مميزة تخرج عن الأسلوب التقليدي الذي دأبت عليه الدراسات السابقة بسبب اعتماد بعضها على بعض في فهم أفكار سوسير بدلا من إعادة قراءة النص الأصلي واستخراج جوانبه المتخصصة.

٥-- المصدر السابق ،ص (٢٦).

٦-نفسه ، ص (٢٧ . .

٧-نفسه ،ص ص (٢٩،٢٨) .

٨-نفسه ،ص (٣٠) .

٩-نفسه ،ص (٣٠) .

١٠-نفسه ،ص (٣١) .

١١-نفسه ، ص (٣٢) .

١٢- نفسه ، ص ص (٣٦، ٣٧) .

١٣ نفسه ،ص (٩٧) .

١٤ هناك تردد وحرج في ترجمة (acoustique) بصوتي ،وهو أمر محمود في هذا العلم ،إلا أنه من المعروف في اللغة العربية أن ما يصدره الإنسان هو صوت وأن ما يسمعه هو صوت ،فلا حرج من استخدام المقابل "صوتي" ،لأن العلة الحقيقية في تعريبها بكلمة دخيلة أي صورة أكوستيكية بذريعة ألا وجود لمقابلها في لغتنا ،وهو أمر مذموم ولا معنى له ،فمن المعلوم أن لغتنا ثرية جدا في الدرس الصوتي ،وإنما المطلوب فهم مقامات الاستدلال لا أقل ولا أكثر دونما تعصب للغة دون أخرى أو لعقلية على حساب أخرى.

١٥-... Cours de Linguistique" ، سابق ،ص (٩٨) .

١٦- اللغة ،أدوارد سابير ،ترجمة /المنصف عاشور ،الجزء الأول ،الدار العربية للكتاب – تونس،ط/١ ،١٩٩٥، ص ص (٥،٦) .

١٧- A Dictionary of Linguistics and Phonetics, David Crystal, Blackwell, U.K. 4th edition, 1998,P (339).

١٨- اللغة ،أدوارد سابير (سابق) ،ص (٦) .

١٩- نفسه ،ص (٢٠) .

٢٠- نفسه ،ص (٢٢) .

٢١- نفسه ،ص (٢٦) .

٢٢- انظر : الفصل الثاني الموسوم بـ"مكونات الكلام" من الكتاب نفسه ،ويقع بين الصفحتين (٣٩) ،(٥٨) .

٢٣- علم اللسانيات الحديثة ،عبدالقادر عبدالجليل ،دار صفا – الأردن ،ط/١ ،٢٠٠٢ ، ص ص (٢٥٥، ٢٥٦) .

٢٤- انظر : اللغة ،الفصل الخامس الموسوم بـ "الشكل في اللغة :المفاهيم النحوية " ،ص — ص (١١٥-١٦٦. .

٢٥-Dictionnaire de Linguistique, Jean Dubois, Larousse, Paris,2eme edition, 2001, P (205).

٢٦- انظر قائمة الأعلام في "الزمان والمكان في القصص القرآني" ،(أطروحة الدكتوراة الموحدة) محمد محمد الحربي ،جامعة تونس الأولى ،تونس ،١٩٨٩ ،من ص (٣١١) إلى ص (٣١٨) .

٢٧- أهم المدارس اللسانية ،عبدالقادر المهيري (وآخرون) ،المعهد القومي لعلوم التربية ،تونس ،ط/١ ،١٩٨٩ ،ص (٤١) .

٢٨- نفسه ، ص ص (٤٣،٤٢) .

٢٩- انظر : Dictionnaire de Linguistique، جون دوبوا ،سابق ،ص ص (٢٠٥ ،٢٠٦) .

٣٠- نفسه ، ص — ص (٩٤- ٩٧) .

انظر كذلك : النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ،فاطمة الطبال بركة ، المؤسسة الجامعية — بيروت ،ط /١ ، ١٩٩٣م ، الفصل الثاني الموسوم بـ "المبادىء العامة" ويشدد فيه جاكبسون على العلاقة الوطيدة بين الشكل والمضمون ويؤكد أن اللغة ليست سوى إعادة صياغة المفهوم الدلالي للكلمات ،وأنه ليس باستطاعتنا أن نحلل اللغة أو النظام النحوي دون الرجوع إلى دلالة الأشكال (المضمون ،كما يشدد على أهمية السياق الاجتماعي في فهم وظائف الكلام داخل دائرة التواصل اللسانية .

٣١- أهم المدارس اللسانية ، سابق ،ص (٥١) .

٣٢-- انظر : Dictionnaire de Linguistique ، سابق ،ص (١٥٦) .

٣٣- نفسه ، ص (١٥٦) .

٣٤- نفسه ، ص (١٥٧) .

٣٥- علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية ،شاهر الحسن ،دار الفكر ،الأردن ،ط/١ ،٢٠٠١ ، ص(٨٨) .

٣٦- انظر : علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،من ص (٢٥٧) إلى ص (٢٦١) .

٣٧- مدخل إلى اللسانيات ،محمد محمد علي ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ط/١ ،٢٠٠٤ ، ص (٦٩)، انظر كذلك : بحوث ألسنية عربية ،ميشال زكريا ،المؤسسة الجامعية — بيروت ،ط/١ ، ١٩٩٢ في الجزء الخاص بتعريف الألسنيين للغة ،ويبين فيه أن بلومفيلد ينظر إلى اللغة على أنها عادة إنسانية كلامية ،وهي نظرة سلوكية في علم النفس ،ويعتبر أن عملية التكلم تخضع إلى تأثير المثير وإلى الاستجابة الكلامية خلال ترعرعه في بيئته ،فهي أي اللغة تقوم على تكرار عمليات الاستجابة إلى المثير الذي يحركها، يلخص ميشال زكريا رؤية بلومفيلد للغة في النقاط الآتية:

١- اللغة عادة كلامية يكيفها المثير .

٢- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة

٣-تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر.

٤-اللغة أصوات وتوزيعات شكلية علائقية.

٣٨- انظر : Dictionnaire de Linguistique ، سابق ،ص ص (٢٢٣، ٢٢٤).

٣٩- نفسه ، ص (٢٢٤).

٤٠- نفسه ، ص (٢٢٤).

٤١- مدخل إلى اللسانيات ،محمد محمد علي ، سابق ، ص (٦٨).

٤٢:- نفسه ، ص (١٠٢).

٤٣- دراسات حديثة في اللغة والنحو وأثر الترجمة في العربية ،طالب عبدالرحمن ،مركز عبادي ، صنعاء ، ط/١، ٢٠٠٥، ص (١٢٩).

٤٤- مدخل إلى اللسانيات ، نفسه ،ص (١٠٢).

٤٥- انظر : A Dictionary of Linguistics and Phonetics ، سابق ، ص ص (٣٠١، ٣٠٢).

٤٦- أهم المدارس اللسانية ،سابق ،ص ص (١٠١،١٠٠).

٤٧- للتوسع في هذه المسائل يمكن العودة إلى كتاب "أهم المدارس اللسانية" ، سابق ،ص — ص(٩٥-١١٩).

٤٨- مدخل إلى اللسانيات ، سابق ،ص (٧٨) + ص (٨١).

٤٩- معجم اللسانيات الحديثة ،سامي عياد حنا (وآخرون) ،مكتبة لبنان ،بيروت ، ط/١ ،١٩٩٧ ،ص (٢٩).

٥٠- نفسه ، ص ص (٢٨،٢٩).

٥١- مدخل إلى اللسانيات ، سابق ،ص (٧٨).

٥٢- نفسه ، ص (٧٩).

٥٣- أهم المدارس اللسانية ، سابق ،ص — ص (٥٣-٥٥).

٥٤- نفسه ،ص (٥٧).

٥٥- نفسه ، ص ص (٥٨،٧٥).

٥٦- نفسه ، ص (٦٠).

٥٧– نفسه ، ص (٩٤).

٥٨ – انظر في "معجم اللسانيات الحديثة" ،سابق ص– ص (١٩–٢٣)، مقدمته الموسومة بـ اللسانيات" ،وذلك للاطلاع على سرد تاريخي دقيق لنظرية تشومسكي وكيفية تطورها ،وانظر أيضا في الكتاب نفسه تحت عنوان "اللسانيات التشومسكية"، وفيه عرض مهم لهذه النظرية وفق مراحل زمنية تبتدئ بسنة ١٩٥٧ حتى يومنا الحاضر ،وذلك عبر الصفحات١٨، ١٧، ١٦.

٥٩ – نفسه ، ص (٢١٩).

٦٠ – نفسه ، مادة "اللسانيات التشومسكية" ، ص –ص (١٦–١٨).

٦١– تم اعتماد ترجمة ميشال زكريا لأنها الأدق لعنوان هذا الكتاب ،انظر كتابه "الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية" ،المؤسسة الجامعية — بيروت ، ط/٢/١٩٨٦ ،ص (١٢).

٦٢– نفسه ، ص (٩١).

٦٣:– نفسه ، ص (٩١).

٦٤– اللسانيات : المجال والوظيفة والمنهج ،سابق ،ص (١٧٧).

٦٥– بحوث ألسنية عربية ،سابق ،ص (٧٠).

٦٦– القضايا الأساسية في علم اللغة (مترجم) ،كلاوس هيشن ،ترجمة /سعيد حسن بحيري ،مؤسسة المختار —القاهرة ، ط/ ١، ٢٠٠٣ ،ص –ص (١٣٩–١٥٢)،وانظر كذلك علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،ص ص (٢٧١ ، ٢٧٢).

وانظر أيضا أهم المدارس اللسانية ،سابق ،ص– ص (٧٥–٩١).

٦٧– انظر : علم اللسانيات الحديثة ،سابق ،ص –ص (٢٦٢–٢٦٥)،وكذلك : معجم اللسانيات الحديثة ،سابق،ص(١٤١).

٦٨– انظر : معجم اللسانيات الحديثة ، سابق ،ص ص (٢٦، ٢٧) .

القضايا الصوتية والصرفية
في " فاتحة الكتاب "
في ضوء المنهج اللغوي الحديث

دكتور : عامر صلاح محمد.
جامعة قناة السويس
كلية التربية بالعريش ـــ قسم اللغة العربية.

المقدمة

لعل ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع - على وجه التحديد - هو أنني وجدت العديد من كتب إعراب القرآن وتفسيره يتناول بعض القضايا النحوية ، أو الصرفية الموجودة في " فاتحة الكتاب " دون الإلمام بكل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من جوانبَ لغوية متعددة ، فقد تجد بعض كتب التفسير يتناول الجانب النحوي والدلالي دون الصرفي ، أو العكس بحيث إن وجدتَ كتاباً — من كتب الإعراب مثلاً — يتناول جميع الجوانب تجده يتناولها بإيجاز غير وافٍ ، ودون الإشارة إلى القراءات المختلفة التي وردت في كل آية منها ، أما عن كتب اللغة فإنك تجد كل هذا عبارة عن قضايا متفرقة في ثنايا الكتب دون أن تجد كتاباً جامعاً لها ، ولقد فتشت في كثير من كتب الإعراب قديمها وحديثها فلم أجد منها ما وفّ هذه السورة حقها على كثرة ما جاء فيها من ظواهر نحوية ، أو صرفية ، أو صوتية ، أو دلالية ؛ خاصة في ظلّ القراءات القرآنية المختلفة التي اشتملت عليها هذه السورة ، لهذا فقد جال بخاطري في بادئ الأمر أن أتناول الجانب النحوي فقط من خلال معالجة القضايا النحوية والأوجه الإعرابية المترتبة على القراءات القرآنية المختلفة ، وما ينشأ عنها من تغيّرات دلالية يمكن أن تؤثر في السياق القرآني ، ثم سرعان ما وجدت نفسي منغمساً في معالجة بعض القضايا الصرفية ، غير أني وجدت هذا الأمر لا يمكن إتمامه بمعزل عن دراسة القضايا الصوتية ، إذ لا يمكن معالجة الموضوع وبحثه بحثاً علمياً دقيقاً دون التعرض للظواهر الصوتية ، " وذلك في الحق هو ما تقرره الدراسات اللغوية الحديثة التي تنص على فشل أية دراسات صرفية ، أو نحوية لا تأخذ في الحسبان الجانب الصوتي للظاهرة المدروسة " [1] ،

(1) دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر ص ٧٥ .

ولهذا عقدت العزم على أن أتناول كل هذه القضايا المتفرقة في كتب التفسير، والنحو، وإعراب القرآن في بحث مستقل يجمع شتاتها، ويغزل خيوطها في نسيج متكامل ييُسر الأمر، ويضيء السبيل أمام كل من يريد أن ينهل من فيض هذه السورة المباركة ولكنني بعد إضافة كل من الجانب الصرفي والصوتي للموضوع؛ وجدتُ أنَّ البحث بدأ ينحو معي منحى الرسالة وما فيها من تطويل، لذا كان أمامي أحد أمرين :

الأول : إما أن أختصر في بعض مسائل البحث ذلك مما يعرضه إلى نوع من الخلل في منهجيته وطريقة عرض مسائله .

الأمر الثاني : أن أُجزِّئَ البحثَ إلى قسمين بحيث يصلح كل منهما أن يكون بحثاً مستقلاً بذاته، وهذا ما عمدتُ إلى اختياره حرصاً مني على المنهج العلمي للبحث، وعدم الإخلال به؛ لهذا جعلت دراسة كل من القضايا الصوتية والصرفية في بحث مستقل يضمهما، ويبحث مسائلهما معاً، وجعلت كلاً من القضايا النحوية والدلالية معاً في بحث آخر مستقل .

وبناءً على ما تقدم فقد جاء هذا البحث بعنوان: " القضايا الصوتية والصرفية في فاتحة الكتاب " على ضوء المنهج اللغوي الحديث، على أن أُتبعه ببحث آخر ـ في وقت لاحق ـ بعنوان : " القضايا النحوية والدلالية في فاتحة الكتاب "، وقد رأيت أن يكون هذا البحث على قسمين :

<u>الأول</u> : خاص بالقضايا الصوتية، وقد جاء الحديث فيه عن : ظاهرة الإدغام، والإمالة، والتفخيم والترقيق، والإبدال أو التبدُّل الصوتي بين الصوامت والصوائت، والتقصير أو التطويل بين الحركات .

<u>الثاني</u> : خصصته بالحديث عن القضايا الصرفية، فعالجتُ فيه عدة ظواهرَ صرفيةٍ : كالاشتقاقِ، والوزنِ الصرفيِّ، والحذفِ الصرفي في بنية الكلمة، والإبدال والإعلال الصرفيَّين .

فإن كنت قد وُفّقتُ فهذا من الله ، وإن كانت الأخرى فهذا مــني ، وكفاني أني اجتهدت ، والله وحدَهُ أسألُ العونَ والتوفيقَ والسدادَ ، فهو وليــيٌّ وعليه قصدُ السبيل .

التمهيد

اسم " فاتحة الكتاب " هو : أحد أسماء هذه السورة العظيمة التي تصدرت أعظم كتاب على الإطلاق ، هذه السورة ـ التي على إيجازها ـ احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن ، فقد تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة[1]:

١ - توحيد الربوبية : وذلك يؤخذ من قوله تعالى: "رب العالمين "

٢ - توحيد الإلهية : وهو إفراد الله بالعبادة دون غيره ، وذلك يؤخذ من قوله تعالى:" الله "، ومن قوله :" إياك نعبد وإياك نستعين ".

٣ - توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) من غير تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، دل على ذلك لفظ " الحمد " .

كما تضمنت هذه السورة أيضاً إثبات النبوة في قوله تعالى على لسان عباده : " اهْدِنا الصِّراطَ المستقيم " ؛ لأنَّ ذلك ممتنع بدون الرسالة وتضمنت إثبات الجزاء على الأعمال جاء ذلك في قوله : " مالك يوم الدين " ، كما تضمنت إخلاص الدين لله تعالى وحده عبادةً واستعانةً يُفهم ذلك من قوله تعالى على لسان عباده :"إياك نعبد وإياك نستعين" وتضمنت إثبات القَدَر ، بل تضمنت الرد على أهل البدع في قوله على لسان عباده : " اهدنا الصراط المستقيم " .

وقد أطلق العلماء علي هذه السورة نحو نيف وعشرين [2] اسماً ما بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء منذ عهد السلف الصالح ، غير أن ما ثبت في السنة الصحيحة ، وما أُثِر من هذه الأسماء أربعة فقط هي :

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١ / ٣٧ : ٣٨ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " ١/ ٦، ومن جملة أسماء هذه السورة أيضاً : الكنز ، والواقية ، والحمد ، والصلاة ... إلخ .

فاتحة الكتاب ، والسبع المثاني ، وأم القرآن ، وأم الكتاب ، وعن أبي هريـــرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني "[١]، ولعل ما دفعني إلى اختيـــار هـــذا الاسم – فاتحة الكتاب – دون ما سواه هو ما جاء عن رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) في حديثه : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " .

والفاتحة تعني في الأصل : أول ما من شأنه أن يُفتَتَح به ، أو هي : أول مـــا من شأنه أن يُفتَح كالكتاب أو الثوب ، ثم أطلقت على أول كل شيء ، ولعل ذلك مرجعه إلى أمرين[٢] :

١- إما من باب تسمية المفعول بالمصدر الآتي على وزن " فاعلـــة " إذ إن الفاتحة مصدر بمعنى : " الفتح " مثل الكاذبة بمعنى : " الكذب " ، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، وأطلقت " الفاتحة " تسمية للمفعول بالمصدر ؛ إشعاراً بأصالته كأنه نفس الفتح .

٢- وإما على اعتبار أنها اسم فاعل ثم جُعلت اسمـــاً لأول الـــشيء ، فالأصل : " فاتح الكتاب " ، ثم أُدخلت عليها تاء التأنيث للنقل ، إذ ليـــست التاء هنا لتأنيث الموصوف في الأصل .

ولفظة " فاتحة " وصفٌ وُصِفَ بها مبدأ القرآن ، وعومل معاملة أسماء الجنس وأضيف إلى الكتاب ؛ فقيل : " فاتحة الكتاب " ، فهي إضافة على معنى اللام أي : " فاتحة للكتاب " ؛ ثم صار هذا المركب علماً – بالغلبة – على هذه السورة التي تصدرت القرآن لمن يريد أن يقرأه من أوله ؛ فتكون هي فاتحة لـــه. قيل : إنما سُميت هذه السورة بـــ " فاتحة الكتاب " ؛ لأنها يُفتـــتح[٣] بهـــا في

---

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ١ / ١١ .
(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣١/١ :١٣٢ ، وفتح القدير ١ / ١٠ .
(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١ / ١٧٣ ، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام ١ / ١٣ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣١: ١١ .

المصاحف ، وفي التعليم ، وفي القراءة في الصلاة ، وقيل : لأن الحمد فاتحة كل كلام ، وقيل : لأنها أول سورة نزلت من السماء .وقيل إنما سميت بذلك ؛ لأنها مبدوءة على الترتيب المعهود [1] ، ليس لأنها يفتتح بها في التعليم ، أو القراءة في الصلاة ، ولا لأنها أول سورة نزلت كما قيل.

وقد اختلفت الأمة حول آية " بسم الله الرحمن الرحيم " في أوائل السور الكريمة ، فذهب[2]بن مسعود (رضي الله عنه) إلى أنها ليست من القرآن أصلاً ، وهو ما ذهب إليه الإمام مالك(رضي الله عنه)، وعليه قُراء المدينة والبصرة والشام ، وعليه المشهور من مذهب قدماء الحنفية ، وقيل هي آية فذة من القرآن أُنزلت للفصل والتبرك بها ، وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية من كل سورة صُدِّرت بها ، وهو قول ابن عباس (رضي الله عنهما) ومنسوب إلى ابن عمر أيضاً ، وحيث إنه لا حاجة لنا إلى الخوض في غمار هذا الخلاف أو الجدل وتفصيل الأقوال فيه ، فقد رأيتُ عدها إحدى آيات فاتحة الكتاب – على أرجح الأقوال – وسأقوم بعرض ما جاء فيها من ظواهر صوتية ، وصرفية .

---

(1) انظر روح المعاني ١ / ٣٤ ، ٣٦ .
(2) انظر روح المعاني للألوسي ١ / ٣٥ ، ٣٩ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٨ .

القضايا الصوتية

ما قصدتُ بالقضايا الصوتية هنا دراسة مخارج الأصوات أو صفاتها ، ولكن ما قصدته هو بعض تلك الخصائص الصوتية التي اشتملت عليها " فاتحة الكتاب " ؛ نتيجة للقراءات القرآنية المختلفة الناجمة عن اختلاف القراء ربما لاختلاف اللهجات أو غير ذلك ،كالإدغام ، والإمالة ، والتفخيم أو الترقيق ، والإبدال الصوتي : كإبدال حركة حرف المضارعة _ مثلاً _ من الكسرة إلى الفتحة ، أو تقصير بعض الصوائت كتقصير الفتحة الطويلة . كما سيتضح ذلك من خلال الحديث عن هذه الظواهر .

أ – **الإدغام** : " بسكون الدال لفظ الكوفيين ، و" بشدِّها افتعال منه لفظ البصريين "[1] .

والإدغام " لغة " هو : إدخال الشيء في الشيء ، يُقال أدغمت اللجام في الفرس أي : أدخلته فيه .

و " اصطلاحاً " هو : الإتيان بحرفين : ساكن ، ومتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما ؛ فيُنطَق بهما دَفعة واحدة ، وعلة تسمية ذلك بالإدغام ؛ لخفاء الساكن عند المتحرك ، فكأنه داخل فيه . ويقع الإدغام في الحرفين[2] _ الصوتين _ المتماثلين ، أي : إدغام صوت في صوت آخر مثله ، وفي الصوتين المتقاربين ، أي : إدغام صوت في صوت آخر يقاربه في المخرج ، وهو يتعلق بالتلفظ أي النطق عند القراءة ،أو التحدُّث ،كما أنه يكون في الكلمة الواحدة ، وفي الكلمتين ، فالإدغام إذن ضربٌ من التأثير[3] الذي يقع في الأصوات

---

(١) حاشية الخضري ٢ / ٩٤٠ .

(٢) انظر التحبير في علم التفسير ، للسيوطي ١٨٩ص : ١٩١، و " القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة " ص ١٠٠ .

(٣) انظر اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ص ٥١ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ص ١٢٦ .

المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة ، ويدخل الإدغام جميع الحروف ما عدا الألف اللينة [1] .

إدغام المثلين : من مواضع إدغام المثلين الذي وقع في الكلمة الواحدة ما جاء في لفظ الجلالة " الله " من قوله تعالى : " بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ " ــ عند مَن عدَّ " أل " من بنية الكلمة في لفظ الجلالة ــ حيث أدغمت اللامان[2] : اللام الأولى ــ التي هي لام " أل " التعريف ــ في اللام الثانية ــ التي هي لام الكلمة الأصلية ــ إذ إن الأصل فيه " إلاه " ، فلما حُذفت الهمزة من أوله ؛ اجتمعت لامان : لام " أل " الداخلة على الاسم ، و لام الكلمة " لاه " ؛ فأدغمت اللامان وجُعلتا لاماً واحدة مشددة ، وهو إدغام لفظي كتابي ، أي إدغام الصوتين ، أو الحرفين في اللفظ ، وفي الرسم الكتابي .

وقد وقع هذا النوع من الإدغام أيضاً في قوله تعالى : " رَبِّ " حيث أُدغم صوتان متماثلان هما : صوت الباء والباء ، أي : الباء المكررة ، كما وقع أيضاً في قوله تعالى : " إيَّاك " ، حيث أدغم صوت الياء في الياء ، وهما صوتان متماثلان أيضاً ؛ ذلك ما أدى إلي إدماج الحرفين فصارا حرفاً واحداً مشدداً ، أو مضعّفاً في كل من الكلمتين : " ربِّ " ، و" إيَّاكَ " ، فهو إدغام لفظي كتابي .

وكذلك من مواضع إدغام المثلين أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الضالّين " إذ إن الأصل فيها : " الضاللين " بلامين [3] ، حذفت حركة اللام الأولى ؛ فاجتمع ساكنان ؛ فأدغم صوت اللام في اللام ، فصارا لاماً واحدة مشددة ، فهو إدغام للحرفين أو الصوتين في اللفظ ، وفي الرسم الكتابي .

---

(1) انظر حاشية الخضري ٢ / ٩٤٠ .
(2) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٠ .
(3) انظر روح المعاني ٩٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٦/١ ، وتفسير الطبري ١٥١/١ ، ونتائج الفكر في النحو للسهيلي ص ٣٠٥ .

الإدغام الشمسي : وهو من باب إدغام المتقاربين ، جاء ذلك في قوله تعالى : " الرَّحمنِ الرَّحيمِ " ، حيث وقع الإدغام الشمسي في كلتا اللفظتين " الرَّحمنِ " ، و" الرَّحيمِ " ، فأدغم صوت اللام [1] في صوت الراء ، مع إثبات كل منـــهما كتابةً ، إذن فالإدغام هنا صوتي مُتلَفظ به فقط دون إظهاره في الرسم الكتابي ، وللإدغام هنا علتان :

الأولى : قُرب الراء من اللام في المخرج .

الثانية : كثرة ورود لام التعريف في كلامهم ودوامها على ألسنتهم ؛ لدخولها على الأسماء كلها _ ما عدا الأعلام _ فلما اجتمع الأمران : المقاربة ، والكثرة ؛ أُلزم الإدغام ؛ فصار واجباً .

وأكثر النحاة لا يُقرّون العكس أي : لا يُدغمون الراء في الـــلام ؛ لأن في صوت الراء تكريراً يَذْهبُ عند الإدغام ، إلا أنَّ أبا العلاء يرى إدغام الراء في اللام ، لكنّ الإدغام هنا لم يكن من هذا النوع الذي اختلف عليـــه النحـــاة ، فالذي أُدغم هنا هو صوت اللام في الراء وليس العكس .

ومن مواضع الإدغام الشمسي أيضاً ما جاء في قوله تعالى : "الصِّراطَ " وقوله تعالى : " الَّذينَ " ، وهو إدغام [2] واجب ؛ لأنَّ كلاً مـــن الكلمـــتين دخلت عليها " أل " التعريف الزائدة _ وإن كانت " أل " غـــير لازمـــة في " الصراط " ، ولازمة في " الَّذين " إلا أنها زائدة في الكلمتين _ ؛ فأُدغمـــت لام التعريف الساكنة في الحرف الذي بعدها وهو : " الصاد " في الكلمـــة الأولى ، و" الذال " في الكلمة الثانية ؛ فصار الحرف مشدداً بعد لام التعريف ، وهـــو إدغام لفظي فقط غير مكتوب ، أي لم يُدغم الحرفانِ كتابةً ؛ لأنّ من الإدغـــام

---

(1) انظر الكتاب لسيبويه ١ / ٢٦٧ ، وأربع مسائل في النحو " رسالة الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " ص ٤٩.

(2) انظر أربع رسائل في النحو ص ٤٩ .

ما هو ملفوظ ويعبر عنه في الكتابة برسم الحرفين المُدغمين حرفاً واحداً مشدداً كما سبق .

ب – **الإمالة** : عرفها بعضهم بأنها [1]ضرب من ضروب التأثُّر الذي يحدث بين الأصوات نتيجة لتجاورها أو تقاربها ، والإمالة من الظواهر التي كانت شائعة بكثرة بين القبائل العربية قديما .

والإمالة تعني : أن تنحو بالفتحة أو تميل بها نحو الكسرة ، أو تميل بالألف نحو الياء كثيراً ، ويُسمى الإضجاع أو البطح ، وربما قيل له : الكسر أيضاً ، أو قليلاً ويُقال له : التلطيف أو التقليل ؛ وبهذا تنقسم الإمالة إلى : إمالة شديدة ، وإمالة متوسطة .

غير أن علماء اللغة أضافوا أيضا إمالة الفتحة نحو الضمة ، والألف نحو الواو ، كما أضافوا[2] إمالة الكسرة نحو الضمة ، ولا تكون إمالة الكسرة إلا في الفعل الثلاثي الذي قُلِبَتْ عينه ألفاً في الماضي نحو : " قيل ، وبيع ، وسيق ، وغيض " ، وقد ذهب أكثر القدماء إلى أن الإمالة فرع على الفتح أو التفخيم .

في ضوء ما سبق يتضح أن الألف الممالة هي التي ينطق بها بين الألف والياء كما في " عالم ، وخاتم ".

ومن مواضع الإمالة في " فاتحة الكتاب " ما جاء في قوله تعالى :"مالك" حيث قرأ [3] يحيى بن يعمر ، وأيوب السختياني بالإمالة البليغة في صوت الألف ومنهم من قرأها بدون إمالة أي بالألف الخالصة بوزن " فاعِل " ، أو بالمصطلح اللغوي الحديث : قرأ بالفتحة الطويلة الخالصة دون إمالتها نحو الكسرة وهي قراءة [4] أبي هريرة ، وأبي حيان ، وعمر بن عبد العزيز بخِلافٍ عنه ، ونُسبت

---

(1) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٣٤ .
(2) انظر السابق ص ١٣٥ .
(3) انظر تفسير السمرقندي " بحر العلوم " ١ / ٨٢ .
(4) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١ / ٢٠ .

إلى أبي روح عِون بن شدّاد العقيلي ، ومنهم من قرأ بدون ألف أو ــ بمعنى آخر ــ قرأ بفتحة قصيرة فقال : " مَلِك " . وفي هذه اللفظة عدة قراءات : " مالكٌ " بزنة فاعل مع التنوين ، رُويت عن خلف بن هشام ، وأبي عيب ، وأبي حاتم ، وقُرئ : " مَلَكَ " [1] بصيغة الفعل الماضي قرأ بها سيدنا علي ، وأبو حيوة ، وأبو حنيفة ، وجُبير بن مطعم ، وغيرهم .

ت – التفخيم والترقيق : عرَّف بعضُهم التفخيم بأنه [2]"فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر ، وربما يطلق عليه بعضهم " الفتح "، وألف التفخيم هي الألف التي يُنطَق بها بين الألف والواو نحو : سُلام عليك ، وقُام زيد ، والفتحة المفخمة هي[3] صورة من عدة صور نطقية متعددة للفتحة حسب اختلاف الآثار السمعية للنطق ، علماً بأنَّ الفتحة بذاتها لا تتصف بتفخيم أو ترقيق ، وإنما يعتريها التفخيم أو الترقيق من خلال السياق أي : بسبب تأثرها بما يجاورها من الأصوات سابقة أو لاحقة ، حيث إنَّ عالماً عربياً قد لحَظ هذه الحقيقة . فهي إذن ظاهرة سياقية Contextual ، وكذلك الفتحة الطويلة تتأثر بما يسبقها ، أو بما يليها من أصوات كما في : " فاضَ " ، و " باضَ " ، حيث فُخمت الألف تأثراً بالأصوات التالية بالرغم من سبقها بأصوات مرققة ، فالتفخيم في الألف أيضاً ظاهرة سياقية ، وهذا على خلاف ما ذهب إليه ابن جني[4] الذي لم يربط التفخيم أو الترقيق في الألف بالسياق أو الموقع ، فهو يشعرنا بأن التفخيم من صفات الألف ذاتها ، وأن ثَّمة

---

(1) انظر فوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٦ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٢ والبحر المحيط ١ / ٢٠ .
(2) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٣٤ .
(3) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٥ ، ص ١٣٦ .
(4) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٥١ ، ٥٦ .

أكثرَ من صورةٍ لنطق الألف دون النظر إلى سياقها الصوتي ، غير أن ابن الجزري[١] ينفي كون الألف تحمل في ذاتها طبيعة التفخيم أو الترقيق .

يقول د .كمال بشر : " ويجب أن نعرف على كل حال أن التفخيم في الألف (والحركات العربية كلها) ليس ظاهرة فونيمية Phonemic ، أي ليس ظاهرة من شأنها التفريق بين المعاني في الكلمات المتماثلة في تركيبها الصوتي ، فيما عدا هذه الظاهرة نفسها . وإنما التفخيم هنا ظاهرة تطريزية Prosodcc ، هي خاصة السياق كله ، وناتجة عنه " [٢] .

ومن مواضع التفخيم والترقيق ما يحدث في صوت اللام من لفظ الجلالة " الله " وذلك بحسب الحركة السابقة ، حيث تُفخم اللام إذا سُبقت بحركة الفتحة ، أو الضمة ، أما إذا سبقتها الكسرة فإنها تُرقق كما هو الحال في قوله تعالى : " بسمِ الله " ، فاللام مرققة في لفظ الجلالة ؛ لسبقها بالميم المكسورة ، غير أن من القراء [٣] من يرقق اللام من لفظ الجلالة بكل حال ، ومنهم من يفخمها بكل حال ، والجمهور على الرأي الأول أي : التفخيم في موضع التفخيم ، والترقيق في موضع الترقيق .

ومن مواضع ترقيق اللام أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الحمدُ لِلّه " فاللام من لفظ الجلالة مرققة ؛ وذلك لسبقها بلام الجر المكسورة ، كما أنها رُققت أيضاً عند من قرأ : " الحمدُ لله " بضم لام الجر إتباعاً لحركة الدال قبلها فقال : " الحمدُ لُلّه " ، فهذا الضم لا يخرج[٤] اللام عن وضعها من الترقيق ؛ وذلك لأن ضم اللام هنا حركة عارضة فيها ، والأصل فيها الكسر ، فلا يُعتد بالعارض في العدول عن حكم الترقيق إلى التفخيم ، وهذا شأن كل عارض .

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ١ / ٢٠٢ : ٢٠٣ .
(٢) دراسات في علم اللغة ص ١٣٦ .
(٣) انظر تفسير النسفي ١/ ٥ .
(٤) انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٩/١ .

ث – **الإبدال أو التبدُّل الصوتي** : ثمة عوامل مختلفة ، وظـروف خاصة [1] تجتمع في كل لغة من اللغات تكون سبباً في تبدل بعض أصـواتها ، وهذا التبدُّل قد ينشأ : إما عن تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض أثنـاء التركيب – وهو أمر واقع في جميع اللغات – ، وإما نتيجة التطور الزمني الذي يؤدي إلى إبدال حرف بآخر . وربما يكون ناشئاً عن تعدد القبائل واختلافها في أصوات الحروف ، ثم اجتماعها كلها في اللغة بتداخل لغات القبائل واجتماعها في لغة واحدة ؛ لذلك ليس المراد بالإبدال هو تعمد العرب تعـويض حـرف مكان حرف ، وإنما لغات مختلفة لمعان متفقة ؛ حيث تتقارب اللفظتان في لغتين _ لهجتين _ لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد كمـا في : قَسَم وقَصَم ، ووَسَم ووَصَم ، و غَبَنَ وخَبَنَ ، و تاب وثاب وآب .....إلخ .

فالإبدال إذن ظاهرة لغوية[2] لا تحدث إلا على سبيل التقـارب بـين الأصوات المتبادَلة ، والغرض منه تحقيق نوع من الاقتصاد في عمليـات النطـق المتتابعة ؛ بُغية تيسير اللفظ وتسهيله ، أو بُغية الوصول بالكلمة إلى الهيئة الـتي يشيع فيها استعمالها .

والإبدال في الاصطلاح : هو إقامة حرف [3] مكان حرف آخـر في الكلمة ، فهو يشمل القلب أيضاً غير أن الإبدال عام ، والقلب خاص بحروف العلة والهمزة ، وقد عدّ بعضهم الإبدال نوعاً من الاشتقاق ، " أو هو ارتبـاط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته " [4] .

---

(1) انظر فقه اللغة وخصائص العربية ص ٦٤ : ٦٥ .
(2) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية د . عبد الصابور شاهين ص ١٦٨ .
(3) انظر حاشية الخضري ٢/٨٩٨ ، فقه اللغة العربية وخصائصها د . إميل يعقوب ص ٢٠٥، ٢٠٧ .
(4) انظر دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ص ٢١٠ .

وقد يحدث الإبدال بين : " الصوامت " أي : الحروف ، أو بين " الصوائت " أي : الحركات .

١- ***الإبدال بين الصوامت*** : الصامت تعبير يعني كل صوت ليس بحركة وهو : " تعبير دقيق إذ هو يصف خاصة من الخواص الأساسية لهذه الأصوات ، وهي ضعف الوضوح السمعي إذا قيست بالحركات التي تتسم بقوة الوضوح السمعي نسبياً "[١] ، والصوامت ذات طبيعة مشتركة ناتجة من أنها جميعاً تنشأ من اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم ، فهي أصوات اعتراضية يمكن التبادل بينها .

الإبدال الصوتي في " العالمين " : حيث قُرئت " العأْلمين " بإبدال[٢] الألف همزة ساكنة وهذه لغة وردت الرواية بها ، وقالوا : عأْلم ، وخأْتم ، والإبدال بين الألف والهمزة هنا قياسٌ لما بينهما من الشبه ، إذ إن كليهما من مخرج واحد ، والهمزة حرف صحيح قوي ، والألف حرف لين في غاية الضعف ؛ لذا عُدل عن الألف إلى ما يُقاربها في المخرج وهو أقوى منها ، كما أن الهمزة يجوز قلبها ألفاً إذا ما سُكِّنت وانفتح ما قبلها نحو : فأس ، ورأس ؛ وذلك لشبهها بالألف إذن فإبدال الألف همزة هو قياس لما بينهما من الشبه ، ولأن في ذلك ضرباً من الاقتصاص ، وقد ورد ذلك في الشعر حيث أنشد العجاج [٣] :

فخِندِفُ هامةُ هذا العَأْلمِ قومٌ لهم عِزُّ السَّنامِ الأَسْنَمِ .

الشاهد في البيت هو : " عَأْلم " بالهمزة بدلاً من الألف قال العكبري : " فإن قيل : هلّا كانت الرواية بالألف ؟ قيل : الهمز مسموع من الشاعر ، والوجه

(١) دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر هامش ص ٨٣ .
(٢) انظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ١/ ٩٠ :٩١ ، وسر صناعة الإعراب ١٠١/١ ، ولم ينسب ابن جني هذه القراءة لأحد ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣/١٠ ، وتفسير القرطبي ١٣٨/١.
(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٣٨ ، ولسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٠٨٥ مادة " علم " ، وشرح المفصل ١٠ / ١٢ ، ١٣.

فيه أنه لو لم يهمز لكان بعضُ القصيدة مُردَفاً وبعضُها غيرَ مُردَف ، وهذا غـير مستحسن في القوافي " [1] .

الإبدال الصوتي في " إيَّاكَ " : من مواضع الإبدال أيضا ما ورد في قوله تعالى : " إيَّاك " فمنهم من قرأ " هِيَّاك " بالهاء مكسورةً ومفتوحةً [2] ـ لأن منهم من قرأ بكسر الهمزة ؛ فأُبدلت بهاء مكسورة ، ومنهم من قرأ بفتحها ؛ فأُبـدلت هاءً مفتوحة ـ مع التشديد والتخفيف في الياء ، وفي هذه القراءة إبدال لصوت الهمزة إلى هاء ، وهي لغة مشهورة [3] قرأ بها أبو سوار الغنوي ، كما أنَّ إبدالَ الهمزةِ هاءً كثيرٌ في لغتهم ، فقالوا : " هردت " في " أردت " كما قـالوا في : أرحت الدابة : هرحتها ، وفي " إنَّك " : هنَّك ، وقد ورد مثل ذلك في الشعر أيضاً قال الشاعر :

فهيَّاكَ والأمرَ الذي إنْ تراحَبَتْ ... مواردُهُ ضاقَتْ عليكَ مَصادِرُه [4] .

الشاهد في البيت أن الشاعر قد استخدم " هِيَّاك " بدلاً من " إيَّـاك " حيث أَبدلَ من الهمزة هاءً ، وعلةُ ذلك عندهم أنَّ الهمزة والهاء متقاربان [5]، أو متحدان في المخرج ، والهاء أخف من الهمزة ؛ فعـدلوا إلى الأخـف ، قـال الزمخشري : " وللعرب طريقة في تبديل الهمزة هاءً كقولهم " إيّاك وهيّـاك "، ومن ذلك أيضاً قولهم : إيه ، وهيه بمعنى واحد " [6] .

كما أنَّ منهم من أبدل الهمزة واواً فقرأ : " وِيَّاك " بواو مكسورة ، قال العكبري : " وفي هذا بُعد إلا أنَّ له وُجَيْهاً من القياس ؛ وذلك أنهم قـالوا في

---

[1] إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩١ .
[2] انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ،وتفسير القرطبي ١ / ٤٦ ، والكشاف ١ للزمخشري / ١٠ .
[3] انظر فتح القدير المع بين فنيّ الرواية والدراية للشوكاني ١ / ٢٤ .
[4] ولهذا البيت أكثر من رواية فروي : " توسَّعت " مكان " تراحبت " انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ ، كما روي : فهياك والأمرَ الذي إنْ توسَّعتْ ... مداخله ضاقت عليك المصادرُ .
انظر شرح الفصيح للزمخشري ١ / ٣٣٤ .
[5] انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٥ ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ١ / ٥٢ .
[6] شرح الفصيح ١ / ٧٨ .

وعاء إعاء ، وفي وشاح إشاح ، وفي وجاج إجاج فأبدلوا مـــن الهمـــزة واواً ، وذلك دليل على اشتراكٍ بينهما يُسوِّغ قلبَ إحداهما إلى الأخرى " [١].

ووجه الاشتراك بين كل من الهمزة والهاء أن الهمزة مخرجها أول المخارج ممـــا يلي الحلق ، والهاء مخرجها من الشفتين وهو أول من جهة الفم ، وحيـــث إن كلاً منهما أول ؛ فقد اشتركا في الأولية ، وفي أنّ كلَّ واحدٍ منـــهما مقابـــل للآخر ، كما اشتركا أيضا في الثِّقَل ، فالهمزة ثقيلة تخرج بكُلفة ، والواو أيضاً ثقيلة لتعلقها بعضوين وهما الشفتان ؛ فحصل بذلك اشتراكهما في عدة أوجه ؛ لذا شاع إبدال أحدهما مكان الآخر ، فأبدلت الواو من الهمزة في " إيَّـــاك " ، وذهب أبو حيان [٢] إلى أن هذا على عكس مما فروا إليه في " إِشاح " عند من هَمَزَ ؛ لأنهم فروا من الواو المكسورة إلى الهمزة المكسورة ، وهرباً من استثقال الكسرة على الواو، فقالوا : " إِشاح " والأصل : " وِشاح " ، وهنا في " وِيَّاك " فعلوا العكس ، حيث فروا من الهمزة إلى الواو .

الإبدال الصوتي في " الصِّراطَ " : من مواضع الإبدال الـــصوتي للـــصوامت أيضاً ما جاء في قوله تعالى : " الصِّراطَ " حيث وردت فيها أكثر[٣] من قـــراءة مرجعها جميعاً إلى الإبدال الصوتي ، فقرأ يعقوب " الصِّراط " بالصاد الخالصة ، قال ابن فارس : " وهو من باب الإبدال[٤]، حيث أُبدلَ صوتُ السين بصوت الصاد؛ لأجل حرف الاستعلاء ، وهو إبدال مطرد بين الصوتين ، وقد تُـــشَم الصاد . وقرأ ابن كثير[٥] " السِّراط " بالسين على الأصل ؛ لأنه من الاســـتراط

---

(١) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٥ .
(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(٣) انظر البحر المحيط ١/ ٢٥ : ٢٧ ، وفوائد في مشكل القرآن ٥٦/١ ، وروح المعاني ٩٢/١ ، وفتح القدير ٢٦/١: ٢٧، والدر المنثور في التفسير المأثور ٣٨/١ ، وتفسير القرطبي ١٤٨/١ ، والكشاف ١ / ١١ ، والدر المصون ٦٢/١ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن مريم ٢٣٠/١ ، ومعجم متن اللغة للشخ أحمد رضا ١٤١/٣ ،١٤٢ ، وفقه اللغة د. علي عبد الواحد ص ١٢٦ .
(٤) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٢/٢ ، ٤٩٨ .
(٥) انظر تفسير السمرقندي المسمى " بحر العلوم " ٨٢/١ .

بمعنى الابتلاع ، وروى الأصمعي عن أبي عمرو " الزِّراط " بالزاي ، ورُوي عن حمزة أيضاً أنه قرأ بها ، بإبدال السين زاياً ، وهي لغة لعذرة [1] وكليب وبني قين يقولون : " أزدق " في " أصدق "، وكل ذلك جائز ؛ لأن مخرج السين والصاد واحد ، وكذلك مخرج الزاي قريب منهما ، ومع هذا فإن القراءة المعروفة هي " الصراط "بالصاد فهي لغة قريش الأولى ، وهي اللغة الفصحى الجيدة ، وبها قرأ الجمهور، وذهب بعضهم [2] إلى أنّ في قراءة السين التي قرأ بها ابن كثير " السراط " نوعاً من الثقل ، ونُبُوّاً عن الطبع ؛ وذلك لما في صوت السين من التسفُّل ، وما في صوت الصاد من الاستعلاء ، وبناءً على ذلك فإن في هذه القراءة استعلاءً بعدَ تَسَفُّلٍ نتج عنه ثِقَل اُحتُمِلَ عند من قرأ بالسين ؛ لأنه الأصل وذلك على عكس ما في قراءة الصاد من الخفة ؛ نظراً لتقارب كل من الصاد والطاء من حيث الإطباق فقراءة الصاد أحسن في السمع ، وأخف على اللسان. وقد حدث في هذه القراءة تأثّر رجعيّ [3] حيث تأثر الصوت الأول " السين " بالثاني وهو صوت " الراء " ؛ وذلك لأن القراء قرءوا بتفخيم الراء ، والراء المفخمة تُعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق ما جعلها تؤثر في السين وتحولها إلى صوت مطبق هو صوت " الصاد " ، أما قراءة حمزة بإبدال السين زاياً فهي ضعيفة عند القراء ، وإنْ صحت هذه القراءة فإنّ صحتها ترجع إلى التشابه القائم بين صوتي الزاي والطاء في الجهر . قال الزمخشري : " وكذلك كل صاد بعدها قافٌ أو طاءٌ أو غَينٌ أو دالٌ فإن لغات العرب تختلفُ فيها ، منهم من يقولُ : بالزاي ، نحو : الصَّقْرُ والسَّقْرُ والزَّقْرُ ، والصِّراط والسِّراط والزِّراط ، وتَقولُ : أصدقُ ، ومنهُم من يَقولُ أزدقُ " [4] .

---

(1) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠/١ : ١١ .
(2) انظر الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢٣٠/١ ; ٢٣١ .
(3) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٤٩ .
(4) شرح الفصيح ٦٩٣/٢ .

وكلهذه أصوات متنوعة لفونيم [1] واحد هو : " الصاد " ، حيث لا يتغير المعنى باختلافها ؛ لأن هذه الأصوات لا تميز مثلاً بين الكلمات " السراط ، والصراط ، والزراط ، إذ هي جميعاً بمعنى واحد ، وقد قرأ حمزة أيضاً هو والكسائي ويعقوب بإشمام الزاي وهي المضارِعَة بين الصاد و الزاي ؛ لئلا يُلتبس بأحدهما ، وقد كرَّه بعضُهم هذه القراءة ؛ لما فيها من تكلُّف حرف بين حرفين وهو صعب على اللسان . كما قرأ بعض[2] قيس بإشمام الصاد بين الصاد والسين . وذكر البغوي[3] أنها كلها لغات صحيحة ، والاختيار بالصاد عند أكثر القراء ؛ لموافقة المصحف ، وهو الطريق الواضح في اللغة .

ويمكن تمثيل ما حدث تحويلياً كالآتي :

السِّراطَ	إبدال السين صاداً ←	الصِّراطَ	(لغة قريش ، قراءة الجمهور)
بنية عميقة		بنية سطحية	
السِّراط	إبدال السين زاياً ←	الزِّراط	(وهي لغة لعذرة وكُليب وبني قين)
بنية عميقة		بنية سطحية	

الإبدال الصوتي في " الضالّين " : قرأ أيوب السختياني [4] " الضأَلّين " بهمزة مفتوحة قبل اللام المشددة ، كما قرأ بذلك أيضاً عمر وعليٌّ (رضي الله عنهما) حيث وقع ذلك في القرآن في مواضع عدة كما في قوله تعالى : " جأنٌّ " [5] ، و" دأبَّة " [6] ، و" الحأقَّة " [7]، وهي لغة مسموعة من العرب ، وقيل : هذه لغة مَن جَدَّ في الفرار من التقاء الساكنين والتخلص منهما بهمز الساكن الأول

---

(1) انظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١ / ٢٦٣ ، والكلمة " دراسة لغوية معجمية " د. حلمي خليل ص ٣٩ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ص ١١ .
(2) انظر زاد المسير ١١/١ .
(3) انظر تفسير البغوي ٥٤/١ .
(4) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ١٠٣ ، و الكشاف ١ / ١٢ ، وتفسير الطبري ١٥١/١ .
(5) سورة الرحمن من الآية (٧٤) .
(6) سورة البقرة من الآية (١٦٤) .
(7) سورة الحاقة الآية (١) .

الذي هو الألف ؛ لأن الجمع بين الساكنين عندهم مستثقل جداً ، مع أن التقاء الساكنين في مثله جائز ، إلا أنَّ مَن أبدل الألف هنا همزة علل بأن ذلك فراراً من الجمع بين الساكنين ، وأنّ اختياره للهمزة بدلاً هنا ؛ لأنها أُخت الألف في المخرج ، وحركتُها بالفتح الذي هو من جنس الألف ؛ ولأن الحركة في الهمزة حاجزٌ كما أنّ المدَّ في الألف حاجز [١] . ويمكن تفسير ما حدث هنا في ضوء المنهج الحديث على أنه تقصير لحركة الفتحة الطويلة على الضاد واستبدالها بالهمزة المفتوحة ، فحدث بذلك استبدال للمقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في " ضا " إلى مقطعين قصيرين هما : (ص ح + ص ح) الأول متمثل في صوت الضاد (ضَ) وحده المتحرك بفتحة قصيرة ، والثاني متمثل في صوت الهمزة البديل (أَ) المتحرك بفتحة قصيرة أيضاً , ويمكن تحليل ذلك صوتياً كالآتي :

الضالّينَ	تقصير الفتحة الطويلة وإبدالها همزة ←	الضألينَ
ال/ ضا / ليـ / نَ		ال/ ضَ / أَ / ليـ / نَ
ص ح ح / ص ح ح / ص ح		ص ح / ص ح / ص ح ح / ص ح
بنية عميقة		بنية سطحية

٢ - **الإبدال بين الصوائت " الحركات " :**

الإبدال بين الكسرة والضمة : الحركة هي : " صوت يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حراً طليقاً من خلال الحلق أو الفم ، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يُحدث احتكاكاً مسموعاً ، ودون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما ، وهي في العادة صوت مجهور ".[٢] فالصوائت أو الحركات إذنْ تنشأ عن اندفاع الهواء من الرئتين إلى

---

(١) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٨٢ : ٨٣ ، والخصائص لابن جني ١ / ٣ / ١٤٥ .
(٢) دراسات في علم اللغة ص ١٣٢ .

خارج الفم دون اعتراض ، ويمكن أن تتبادل فيما بينها ، والمقصود بإبدال الصوائت هو إبدال حركة بأخرى ، وهو نوع من التأثير بين الحركات .

يقول الدكتور عبده الراجحي : " ويُقسّم المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين : تأثر رجعي Regressive ، وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني ، وتأثر تقدُمي Progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول "[1]، وقد حدث ذلك في قوله تعالى : " الحمدِ لِلّه " حيث قرأ الحسن[2] بكسر الدال إتباعاً لحركة اللام بعدها ، وهي لغة تميم وبعض غطفان ، وقيل : لغة لبعض بني ربيعة ، وهو من باب إتباع الأول للثاني ، أو كما يسميه المحدثون تأثر تقدُّمي ؛ وذلك ليَحدُث التجانس بين الصوتين . قال ابن منظور : " وأما قراءة " الحمدِ " بالكسر قال الفراء : هذه كلمة كثرت على الألسن حتى صارت كالاسم الواحد ؛ فثقل عليهم ضمة بعدها كسرة ؛ فأتبعوا الكسرةَ الكسرةَ "[3]، وبالرغم من أن في ذلك إتباعَ حركة الإعراب — التي هي الأصل — لحركة البناء – التي هي الفرع – إلا أن العرب قد أجازوا ذلك مع ضعفه ، قال الفراء : " لا تنكرنَّ أن يُجعل الكلمتان كالواحدة إذا كثُر بهما الكلام ، ومن ذلك قول العرب : " بأبا " إنما هو " بأبي " الياء من المتكلم ليست من الأب ، فلما كثُر بهما الكلام توهموا أنهما حرف واحد فصيَّروها ألفاً ؛ ليكون على مثال حُبلى وسَكري ، وما أشبهه من كلام العرب "[4]، فكأن العلة في كسر حركة الدال إتباعاً لحركة اللام هنا هي : اعتبار الكلمتين كالكلمة الواحدة ؛ فثقُل عليهم أن يأتوا بالكسرة بعد الضمة في كلمة واحدة ؛ فأبدلوا ضمة الدال كسرة للتخفيف ، وهذا من الإبدال الصوتي بين الصوائت ، وقد فعلت العرب[5] مثل ذلك فقالوا : " المِغِيرة " بكسر

---

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٦ .
(2) انظر الدر المصون ٤١/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٧٠/١ ، وإعراب القراءات الشواذ ٨٧/١ : ٨٨ .
(3) لسان العرب ٣١٤/٣ ، وانظر معاني القرآن للفراء ٣/١ .
(4) معاني القرآن ٤/١ .
(5) انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٨/١ .

ليم إتباعاً لكسرة الغين بعدها ، والأصل في الميم الضم " المُغِيرة "، وقالوا : الجنة لِن يخافُ وِعِيد ربه ، فكسروا الواو إتباعاً لحركة العين بعدها في " وِعِيد " والأصل فيها الفتح " وَعِيد " ، غير أن في كسر دال " الحمدِ " هنا بعداً ؛ لأن فيه إتباعَ حركة الإعراب لحركة البناء ، ولكنه جائز على ضعفه ، وكسر اللام هو مذهب[1] الجمهور . والأصل[2] في لام الجر الفتح بدليل فتحها مع المضمر نحو : المال لَنا ، والحمد لَه ، أما كسرها مع الاسم الظاهر ؛ فللفصل بينها وبين لام الابتداء ؛ لوقوع اللبس بينهما إذا دخلا على اسم لا تظهر عليه علامات الإعراب كما في قولك : إن هذا لَعيسى ، فلا يُفهم هل تريد الإخبار بأن هذا هو عيسى ؟ أم تريد أن تنسب الشيء لعيسى فهو مالك له ، لهذا تُخُلِصَ من هذا اللبس بكسر لام الجر للتفريق بينها وبين لام الابتداء ، وذكر المنتجب[3] أن ابن كيسان زعم أن الأصل في اللام الكسر ؛ لأنها جار ، فالأولى أن تكون حركته من جنس ما يُحدِثُه ، وإنما فُتِحَ مع الضمير ؛كراهة أن يأتي ضم بعد كسر نحو : " لِهُو" إذ ليس في الكلام " فِعُل " ، وذكر المنتجب أنّ الرأي الأول في كسر اللام أمتن وعليه المحققون ، وعندي أن ما ذهب إليه ابن كيسان يردُّه أن بعض الضمائر تكون حركتها الفتحة كما في : لَكَ ، ولَنا ، ولَها ، فلو جاءت اللام معها مكسورة على الأصل لما كان في ذلك ثِقَل ؛ لأن الفتحة خفيفة بعد الكسرة ، فدلَّ ذلك على أنه ليس الأصل في اللام الكسر كما زعم ابن كيسان ، كما أن الأصل في الحروف المفردة الفتح ؛ لاختصاصها بالجر ، ولزومها الحرفية . والله تعالى أعلم .

وكما قرئ " الحمدِ لِلَّه " بكسر الدال إتباعاً للام بعدها ، فقد قرأ إبراهيم بن أبي عبلة ، وأهل البادية " الحمدُ لُلَّهِ " بضم اللام إتباعاً لحركة الدال

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ١/٧ .
(٢) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ١ / ١٦٣ .
(٣) انظر الفريد ١ / ١٦٣ .

قبلها وهو من باب إتباع اللاحقُ للسابق ، أو بمعنى آخر هو تـأثر تقـدُّمي ـ وهاتان القراءتان من القراءات الشواذ ـ وقد فضَّل بعضُهم هذا النـوع مـن الإتباع إتباع الثاني للأول ، واستحسنه الزمخشري[1] ؛ معللاً ذلك بأن إتبـاع حركة البناء لحركة الإعراب أفضل من العكس .كما ذهب بعضهم [2] إلى أن ضم اللام إتباعاً للدال قبلها أقرب من وجهين :

الأول : أن إتباع حركة البناء لحركة الإعراب أولى من العكـس ؛ لأن الإعراب إنما دخل الكلمات للدلالة على معنى ، وحركة البناء لا تـدل علـى معنى ومراعاة المعنى أولى وأفضل . وقد جاز الإتباع هنا بالرغم من أنه وقع في كلمتين وشرطه أن يكون في الكلمة الواحدة ؛ ذلك لأن الكلمتين تنزلتا منزلـة الكلمة الواحدة كما ذكرتُ سابقاً ؛ نظراً لكثرة الاستعمال ، قال الفـراء : " وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي تجتمـع فيه الضمتان مثل : الحُلُم ، والعُقُب "[3] ، فكأنهم استسهلوا الضمة تلي الضمة واستثقلوا الكسرة تلي الضمة ، فضمُّ اللام في لفظ الجلالة " لُلَّهِ " عندهم إنمـا هو من باب اجتناب الاستثقال في كلامهم ، والبحث عن التخفيف .

الوجه الثاني : أن إتباع الثاني للأول أحسن من العكس وأيسر كما في " شدّ ، ومدّ " ؛ لأنه جارٍ مجرى السبب والمسبب ، وينبغي أن يـسبق الـسبب المسبب ، وذهب الألوسي[4] إلى عكس ذلك فرأى أن القراءة الأولى ـ الـتي هي كسر الدال ـ أحسن ؛ لأن الأكثر جعل الثاني متبوعاً لا تابعاً ، لأن مـا مضى فات ، وجَعْلُ غير اللازم تابعاً للازم أولى .

---

[1] انظر الكشاف ١ / ٨ ، ٥٢ .
[2] انظر إعراب القراءات الشواذ ٨٨/١ ، وروح المعاني ٧٤/١ .
[3] معاني القرآن للفراء ٤/١ ، العُقُب : العاقبة ويقال فيه : " العُقْب " بسكون القاف .
[4] انظر روح المعاني ٧٥/١ .

وعندي أنَّ أولى كلّ ذلك وأفضلَه قراءة : " الحمدُ لِلَّه " ـ التي على الأصل ـ بضم دال الحمد ، وكسر لام الجر في لفظ الجلالة ؛ لأنها قراءة الجمهور ، ثم إنَّ فيها حفاظاً على الأصل ، ومراعاة للمعنى الذي من أجله جاءت حركة الإعراب ، يليها في مرتبة الأفضلية قراءة : " الحمدُ لُلَّه " بضم اللام إتباعا للدال ؛ للإبقاء على حركة الإعراب كما هي حتى لا يضيع المعنى الذي جاءت الحركة " الضمة " من أجله ، والله تعالى أعلى وأعلم .

كسر باء " بسْم " : من مواضع الإبدال الصوتي أيضاً : كسر الباء في " بِسم " على خلاف[1] الأصل ، إذ الأصل في الحروف المفردة أن تُفتح ؛ وذلك لاختصاصها بالجر، ولزوم الحرفية ، وفي ذلك إبدال للحركة من الفتحة إلى الكسرة ، وقيل : " بُنيت الباء على الكسر في " بِسْم " ؛ لأنها تلازم الحرفية والجر ؛ فكُسرت لتشابه حركتها عملها " [2].

وقد يحدث الإبدال الصوتي أيضا بين الحركة والساكن ، ومن ذلك ما جاء في قراءة " مالِك " حيث إنَّ من القراء من قرأها " مَلْك " [3] بتسكين الوسط ، وفي ذلك إبدال كسرة اللام سكوناً ـ بالإضافة إلى تقصير فتحة الميم كما سيأتي في موضعه ـ وهي قراءة أبي هريرة ، وعاصم الجحدري ، ورواها الجعفي وعبد الوارث عن أبي عمرو ، وهي لغة بكر بن وائل .

كسر حرف *المضارعة* : الكسرة من الصوائت القصيرة ، وتأتي في المرتبة الوسط بين الفتحة والضمة ، حيث هي أثقل من الفتحة وأخف من الضمة ، ومن المعروف أن حروف المضارعة تُفتح في الأفعال الثلاثية والخماسية والسداسية ، وتُضَم فقط في الأفعال الرباعية نحو : " أُكرمُ - نُؤمنُ - يُسلمُ -

---

(1) انظر تفسير أبي السعود ١ / ٩ .
(2) تفسير النسفي ١ / ٤ .
(3) انظر روح المعاني ٨٢/١ ، وفوائد في مشكل القرآن ٤٥/١ : ٤٦ ، وإعراب النحاس ١٧٢/١ : ١٧٣ .

تُعلمُ " ، غير أنَّ بعض القبائل العربية تجنح(1) إلى كسر حرف المضارعة على كل حال كما جاء في قراءة (2) عُبيد عن عُمير الليثي ، وزر بن حُبيش ، ويحيى بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش حينما قرءوا " نِعْبدُ " ، و" نِستَعينُ " بكسر نون المضارع ، وتُعد هذه من القراءات الشاذة ، وهي لغة فاشية في العرب ، وحيث إن التناوب أو تبادل (3) المواقع بين الحركات القصيرة " الفتحة ، والكسرة ، والضمة " قد يؤدي ــ أحياناً ــ إلى اختلاف المعنى ، كما هو الحال في " جَلسة "، و" جِلسة " ؛ إذ إن هناك فرقاً في الدلالة بين الكلمتين ، فالأولى دالة على المرة ، والثانية دالة على الهيئة ، ذلك مما يدل على الوظائف الدلالية التي تؤديها الحركات ، غير أن ما حدث هنا من إبدال حركة حرف المضارعة في الفعل المضارع " نَستعين " وتحويلها من الفتحة إلى الكسرة " نِستعين " ــ أو بتعبير آخر كسر حرف المضارعة ــ لم يكن له تأثير دلالي ، إذ لم يُغير من الأمر شيئاً فلا مساس بدلالة الفعل ؛ من أجل ذلك جاز الكسر والفتح لغةً في حروف المضارعة ، وقد فُسرت علة الكسر هنا بأن حرف المضارعة أولٌ زائد وبعده ساكن ؛ فيُكسر الأول كما يُكسر عند التقاء الساكنين ؛ لذا كسرت همزة الوصل وغيرها مما حُرك لالتقاء الساكنين ، وهذه الظاهرة الصوتية لغة مشهورة لبهراء أطلق عليها القدماء " تَلتلة بهراء " ، وهي ظاهرة صوتية تقع في كل حروف المضارعة ما عدا " الياء " ؛ وذلك لثقل الكسرة على الياء .

وقرئ الفعل " نَعبدْ " أيضاً بإسكان الدال(4) في آخر الفعل ، وفي ذلك أيضاً ظاهرة صوتية وهي احتمالية كون القارئ اختلس الضمة فظنها السامع

(1) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١١٤ .
(2) انظر إعراب القراءات الشواذ ٩٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٣/١ ، والدر المصون ٦٠/١ ، والبحر المحيط ٢٢/٣ ، واللهجات العربية ١١٥/١ .
(3) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٤ .
(4) انظر كشف المشكل في النحو لعلي بن سليمان الحيدري ٣٨٠/٢ .

سكوناً ، كما يجوز احتمالية تسكينها فراراً للقارئ ؛ لعدم اجتماع الحركات ؛ نظراً لضم الباء قبل الدال فحاذرَ القارئ توالي الضمتين وبعدهما حركات .

الإبدال بين الكسرة والفتحة : وهو إبدال موقوف على قراءة من قرأ " أَيّاك " بفتح الهمزة والأصل فيها الكسر ،وهي قراءة شاذة ، وفيها إبدال لحركة الهمزة من الكسر إلى الفتح ، وقيل هي لغة مشهورة [١]، وقال العكبري : " والأشبه أنها لغة مسموعة ؛ لأن القياس لا مدخل له في ذلك " [٢] ، وأرى أنه بالرغم من أنّ في ذلك انتقالاً من الأثقل إلى الأخف ــ إذ الكسرة حركة أثقل من الفتحة ــ إلا أن الكسرة أكثر مناسبة في هذا الموضع لأنها متلوّة بياء فالأنسب أن تكون الياء مسبوقة بحركة من جنسها ، كما أنّ الياء مشددة وأول المشدد ساكن ، والهمزة هنا موضعها في أول الكلمة وبعدها ساكن فَحرِيٌّ بها أن تكون مكسورة أفضل من أن تُفتح ، والله تعالى أعلى وأعلم .

ج – تقصير أو تطويل الصوائت " الحركات " :

تقصير الفتحة الطويلة : الفتحة حركة يكاد يكون اللسان [٣] في حال النطق بها في وضع مستوٍ Flat في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه ، وربما ينحو هذا الارتفاع نحو الخلف قليلاً ، فالفتحة بهذا الاعتبار حركة منفتحة، أو متسعة ، والشفاه حال النطق بها تكون في وضع محايد ، أو طبيعي Neutral ما بين وضعها حال الضمة حيث تُضَم الشفاه معه ، وبين وضعها حال الكسرة الذي تنفرج معه الشفاه ، أي أن الشفاه تكون مفتوحة في وضع معتدل ؛ لذلك سُميت بـ " الفتحة " ، غير أن ثمة فرق بين الفتحة القصيرة التي تُصوَّر في الكتابة الصوتية Phonetic Transcription تصويراً عاماً هكذا "a" ، وبين الفتحة الطويلة أو ألف المد التي تصور هكذا " aa" ، باعتبار

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٤٦ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣ .
(٢) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٤ .
(٣) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٣٣ : ١٣٤ ..

أن التكرار في الرمز يعبر عن طول الحركة ، هذا الفرق يكمن في كمية النطق بكل منهما ، إذ إن النطق بالفتحة الطويلة يستغرق زمناً أطول نسبياً من الزمن الذي يستغرقه النطق بالفتحة القصيرة ، كما أنّ ثَمّة فرقاً آخر بينهما في وضع الشفتين ، حيث إنه في حال النطق بالفتحة الطويلة يكون وضع الشفتين أكثر اتساعاً منه حال النطق بالفتحة القصيرة ؛ لهذا يظهر فرق في كمية الصوت عند النطق بكل منهما ، فالفتحة القصيرة إذن بعض الفتحة الطويلة ، ولقد وصف علماء العربية الحركات الطويلة " بالحروف المُصَوّتة " إشارة منهم إلى ما فيها من وضوح سمعي ، على أنّ الحركات ــ بوْجه عام ــ تخضع لكثير من الظواهر الصوتية : كالتقصير ، أو التطويل ، أو الحذف ،كتقصير الفتحة الطويلة ــ على سبيل المثال ــ وهو مصطلح المحدثين ، أو حذف " ألف المد " وهو مصطلح القدماء ، فتقصير الحركة الطويلة إذن يعني : حذف الألف من الكلمة ، وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى : " مالِك " حيث قرأ [1] باقي السبعة ، وزيدٌ ، وأبو الدرداء ، وابنُ عمرو ، وسعدُ بن أبي وقاص ، وعائشةُ ، وكثيرٌ من الصحابة والتابعين " مَلِك " بفتح الأول وكسر الوسط ــ بدون ألف كما يرى القدماء ، أو بتقصير الفتحة الطويلة كما يرى المحدثون ــ حيث تحوّل المقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح " ص ح ح " المتمثل في " ما " في قراءة " مالِك " إلى مقطع قصير مفتوح " ص ح " المتمثل في الميم" مَ " المحركة بفتحة قصيرة في قراءة " مَلِك " ، وقد ذهب بعضهم [2] إلى أن قراءة " مَلِك " هي الأبلغ وهي الاختيار ؛ لأنها قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : " مَلِك الناس" [3]،وقد أدّى تقصير الحركة إلى تغيُّرٍ في الدلالة ، إذ إنّ ثمة [4]اختلافاً في الدلالة بين " مَلِك "

---

(1) انظر الفريد ١ / ٦٦ .
(2) انظر الكشاف ١ / ٩ ، وروح المعاني ٨٣/١ ، وفتح القدير ٢٤/١ ، وتفسير الطبري ٥٠/١ .
(3) سورة الناس الآية (٢) .
(4) انظر تفسير النسفي ٦/١ ، وتفسير أبي السعود ١٦/١ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣٦ ..

و" مالِك" فقيل : كل مَلِك مالِك وليس العكس ، وأن أمر الملِك يُنفَّذ على المالك دون عكسه ، وأن ملك من المُلك الذي هو عبارة عن الغلبة التامة والسلطان القاهر والقدرة على التصرف في أمور العامة بالأمر والنهي كما أنه الأنسب بمقام الإضافة إلى " يوم الدين " ، وأوفق لألفاظ القرآن الكريم كما في قوله تعالى : " لمن المُلك اليوم لله الواحد القهار " [1]، وعلى خلاف ذلك قيل " المالك " أكثر ثواباً من " الملك " ؛ لأنه الأكثرُ حروفاً، وقد رجح ابن جرير قراءة " ملِك ".

تطويل الكسرة أو الضمة : المقصود بتطويل الكسرة أي : تحويلها إلى الياء ، وتطويل الضمة أي : تحويلها إلى الواو ـ عكس التقصير الذي حدث في الفتحة ـ وهو بتعبير آخر الإشباع ، وقد حدث تطويل أو إشباع الكسرة في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : " مالِكِ " حيث قرأ [2] أحمد بن صالح عن ورش عن نافع " مَلِكِي " بإشباع كسرة الكاف ؛ مما أدى إلى الإتيان بالرمز الكتابي الياء بعد الكاف نتيجة للمد الصوتي الذي حدث من الإشباع ، ذلك أيضاً مما أثر على المقاطع الصوتية في الكلمة ، حيث تحول المقطع الصوتي الأخير من مقطع قصير مفتوح إلى مقطع طويل مفتوح ، وتوضيح ذلك كالآتي :

مَ / لِ / كِ	تطويل كسرة الكاف القصيرة ←	مَ / لِ / كي
ص ح / ص ح / ص ح		ص ح / ص ح / ص ح ح
بنية عميقة		بنية سطحية

الموضع الثاني : في قوله تعالى : " عَلَيْهِم " حيث ورد فيها أكثر من قراءة فقد وقع الإشباع بالضم في " علَيْهم " حيث قرأ الأعرج " عليهُمُو "

---

(1) سورة غافر (٣٦) .
(2) انظر روح المعاني ١/ ٨٢ ، وفوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٦ .

بضم كل من الهاء والميم ، وإشباع ضمة الميم الذي نتج عنه إثبات الواو لفظاً وخطاً وقرأ ابن كثير والأعرج " عليْهِمُو " بكسر الهاء وضم الميم مع إشباع ضمة الميم مما نتج عنه إثبات الواو لفظاً وخطاً ، ويمكن تمثيل ذلك تحليلياً عن طريق المقاطع الصوتية كالآتي :

عَلَيْهِمُ ← إشباع ضمة الميم " تطويل الحركة " ← عَلَيْهِمُو

عَ / لَيْـ / هِـ / مُ ← عَ / لَيْـ / هِـ / مو

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ← ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح

بنية عميقة ← بنية سطحية

وقرأ[1] الحسن " عليهِمي " بكسر الهاء ، وإثبات الياء أي بإشباع كسرة الميم ؛ لأنه كره أن يجمع بين ياء وضمة والهاء ليس بحاجز حصين ، وأبدل من الواو ياءً لمَّا كُسِر ما قبلها ؛ لأن الأصل الواو ؛ مما أدى إلى إثبات الياء لفظاً وخطاً نتيجة للمد الصوتي الحاصل من الإشباع ،وتمثيل ذلك كالآتي :

عَلَيْهِمِ ← إشباع كسرة الميم " تطويل الحركة " ← عَلَيْهِمي

عَ / لَيْـ / هِـ / مِ ← عَ / لَيْـ / هِـ / مي

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ← ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح

بنية عميقة ← بنية سطحية

وذكر الفراء[2] أن ضم الهاء وكسرها في " عليهُم " لغتان فيهما ، ولكل لغة منهما مذهب في العربية ، فأما من ضم فقد أتى بها على الأصل ؛ لأن الأصل في الهاء الضم رفعاً ونصباً وجراً تقول : " هُم ، وضربَهُم ، وكتابَهُم "،بضم الهاء في الأمثلة الثلاث مع أنها في المثال الأول في حالة رفع ، وفي الثاني في محل نصب ، وفي الثالث في محل خفض ، فلا يجوز كسرها ولا

---

(1) انظر الدر المنثور في التفسير المأثور ١ / ٤١ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٨ ، والبحر المحيط ١ / ٢٦، وتفسير البغوي ١ / ٥٤ .

(2) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٥ .

فتحها ؛ ولهذا تُركت في " عليهُم " على جهتها الأولى . وأما من قرأ بكسر الهاء في " عليهِم " فإنه استثقل الضمة على الهاء وقبلها ياء ساكنة ؛ فكسر الهاء لكثرة دور الضمير في الكلام . وهكذا حال الهاء إذا ما لحقت بحرف مكسور نحو : " بِهُم ". فلهم فيها وجهان : الكسر أو الضم حيث جوزوا الوجهين في الهاء مع الياء الساكنة قبلها . وقيل الأصل[1] في ميم الجمع في " عليهم " أن تكون بعدها واو ؛ لتكون للمذكر علامتان هما : الميم ، والواو كما كان للمؤنث علامتان وهما النونان في " عليهنَّ " ، فالنون الأولى إزاء الميم ، والثانية بإزاء الواو ، حيث إن الميم لمجاوزة الواحد من غير اختصاص بالجمع – بدليل وجودها في المثنى – والواو للجمع غير أنهم حذفوها بعد الميم ؛ للتخفيف مع عدم اللبس ؛ لأن ضمير الواحد خالٍ من الميم ، وضمير المثنى بعد ميمه ألف ، لذا فاللبس بينهم غير واقع في عدم وجود الواو بعد ميم الجمع فلا حاجة للواو بعد الميم في الجمع فحذفوها للتخفيف .

ومن القراءات في " عليهم " أيضا [2] قراءة أهل المدينة " عَلَيهِمْ " بكسر الهاء وإسكان الميم ، وهي لغة أهل نجد ، وقراءة حمزة وأهل الكوفة " عَلَيهُمْ " بضم الهاء وإسكان الميم وحذف الواو ؛ لثقل الواو عندهم ، وحُكي " عَلَيهُمُ ، وعَلَيهِمِ " بضم الهاء والميم أو كسرهما بغير إشباع للضمة أو الكسرة، وهما لغتان شاذتان فيهما .

---

(1) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٧٧ .
(2) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٧٤ / ١٧٥ .

القضايا الصرفية

تمثلت القضايا الصرفية في " فاتحة الكتاب " في عدة ظواهر هي : ظاهرة الاشتقاق ، والوزن الصرفي ، وظاهرة الحذف الصرفي أي : الحذف في بنية الكلمة ، والإبدال والإعلال الصرفيّين .

أ- **الاشتقاق والوزن الصرفي** : الاشتقاق : يعد من القضايا التي أثارت جدلاً واسعاً بين العلماء ، حول أصل الاشتقاق .

والاشتقاق *لغةً* : هو أخذ شق الشيء وهو نصفه ، و" اشتقاق الشيء هو بنيانه من المرتجل ، واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يميناً وشمالاً ، واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه "[١].

واصطلاحا : له عدةُ تعريفات[٢] منها أنه : اقتطاعُ فرع من أصل ، يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل ، أو أخذُ كلمة من أخرى بتغيير ما ، مع مراعاة التناسب بينهما في المعنى ، أو ردُّ كلمةٍ إلى أخرى ؛ لتناسُبِهما في اللفظ والمعنى ، أو استخراجُ لفظٍ من لفظٍ آخر ، أو صيغةٍ من أخرى بشرط تناسبهما معنىً وتركيباً ، ومغايرتهما صياغةً ، وضده الجمود . وقسمه العلماء إلى اشتقاق أصغر ويُقصد به الاشتقاق الصرفي ، واشتقاق أكبر كما سماه ابن جني[٣] وهو أن يكون بين كلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب .

أما الوزن الصرفي : فإن الصرفيين [٤]ينظرون إلى أنَّ وزن الكلمة يكون باعتبارين :

---

[١] لسان العرب ٧ / ١٦٧ .

[٢] انظر فقه اللغة العربية وخصائصها ص ١٨٦ ، وفقه اللغة وخصائص الغربية ص ٨٥ : ٨٧ ، ومن أسرار العربية ص ٦٢ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ص ١١٦ ، وشذا العرف في فن الصرف ص ٥٤ ، وفقه اللغة ، د . علي عبد الواحد ص ١٧٨ .

[٣] انظر الخصائص ٢ / ١٣٣ : ١٣٤ .

[٤] انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٤٩ : ٥٠ .

الأول : اعتبار أصواتها ، بحيث إن مهمة الــوزن أن يُقابــل أصــوات الموزون بأصوات الميزان التي هي " فعل " ، بحيث يُقابل أول أصــول الكلمــة بالفاء ، وثانيها بالعين ، وثالثها باللام ،كما أنه يقابل بين صوائت كل منــهما أبضاً ، دون أدنى مخالفة ، وهذا يدل على أن أصوات الميزان الصرفي منقــسمة إلى مجموعتين : مجموعة الصوامت المتمثلة في مادة الوزن (فَعَلَ) ، ومجموعــة الصوائت " الحركات " ويُؤتى بها من الموزون .

الثاني : اعتبار إيقاعها ، وهذا مرتبط بنوع المقطع ، وتوزيعه داخــل الصيغة الموزونة ، فتحدث المقابلة بين المقاطع ، فيُقابَل المقطع القصير بقــصير مثله والطويل بطويل مثله ، مفتوحاً كان أو مغلقاً ، دون النظــر إلى عناصــر المقطع الواحد من الأصول أو من الزوائد . هذا الوزن الإيقاعي الذي يشير إليه الصرفيون أحياناً بقولهم " الجمع على مثال مَفاعِل " ، ويندرج تحــت هــذا الإيقاع أوزان صوتية عديدة مثل : فعائل ، وفواعل ، وفعــاوِل ، وفعــالى ، وفياعِل وأفاعل ، وفعالل ،مضافاً إليها أصل الباب وهي الصيغة المثالية "مَفاعِل"

اشتقاق ووزن " اسم" : من مواضع الاشتقاق في فاتحة الكتاب اشتقاق لفظة " اسم " وقد وقع خلاف [1]بين مدرستي البصرة والكوفة حــول هــذا الموضوع ، حيث يرى الكوفيون أنه مشتق من " الوسم " وهو العلامــة ؛ لأن الاسم علامة على مسماه ، قال الأنباري : " يقول ثعلب[2] : الاسم علامــة تُوضع على الشيء يعرف بها ، والأصل " وسم " إلا أنه حُذفت منه الفاء ، التي هي الواو في وسم ، وزيدت الهمزة في أوله عوضاً عن المحــذوف " [3]، وقــد

(1) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٧ ، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام ١ / ١٦ :١٨ ، وتفسير الثعالبي ١ / ٢٠ : ٢١ ، والتبيين عن مذاهب النحويين ص ١٣٢، والتفسير الكبير ١ / ١٠٧ ، وشرح مجموعة شافية ابن الحاجب ٢ / ٢٥٨، وشرح المفصل ١ / ٢٣ .

(2) هو أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد المعروف بثعلب ت ٢٩١هـ. انظر طبقات النحويين واللغويين ص ١٤١ : ١٥٠ .

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ١ / ٦ .

استدل الكوفيون على ما ذهبوا إليه بدليل معنوي فقالوا : " إنما هو مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة ، والاسم وسمٌ على المسمىّ ، وعلامةٌ له يُعرَف به ، ألا ترى أنك إذا قلت : زيدٌ أو عمرو دل على المسمى فصار كالوسم عليه "[(١)]، وذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق [(٢)] من " السمو " فهو من " سِمْو " بوزن" حِمْل " ، أو " سُمْو " بوزن " فُعْل "، حذفت لامه؛ لمجرد التخفيف ، أو لكثرة الاستعمال ، وهو العلو والرفعة من سما يسمو سمواً ؛ لأن التسمية تنويهٌ بالمسمى ، والاسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى فلما سما الاسم على مسماه صار اشتقاقه من السمو لا من الوسم ويُروى[(٣)] : سِمَه ، وسُمَه ، وإِسم ، وأُسم بكسر الأول وضمه ، وذكر الرازي أن من كسر الأول جعله من : " سما – يَسمي "،ومن ضم جعله من :" سما – يسمو " ، وبالرغم من أنَّ كِلا المذهبين صحيح [(٤)]من جهة المعنى ، إلا أن تصاريف هذه الكلمة تُرجِّح ما ذهب إليه البصريون ؛ إذ إنها تُجمع على أسماء ، وتُصغر على سُمَيّ ، وجمع التكسير والتصغير يرُدَّان الأشياءَ إلى أصولها ، كما أنَّ العرب تقول : سمَّيتُ فلانا بكذا ، وأسميتُه كذا ، وكل ذلك يدل على صحة اشتقاقها من " السمو " ، إذ لو كانت من " السمة " لكُسِّرت على أوسام ، وصُغِّرت على وُسَيم ، ولقال العرب وَسِمُك فلانٌ ، وأوسَمتُ فلاناً بكذا ؛ فدلّ عدم قول العرب بذلك على ترجيح ما ذهب إليه البصريون أيضاً .
ويقول العكبري : " الاسم مشتق من السمو عندنا ، وقال الكوفيون من الوسم

---

(١) الإنصاف ١ / ٦ ، وانظر شرح شذور الذهب ص ١٤ .
(٢) انظر الكتاب ٣ / ٤٥٥ ، والمقتضب ١ / ٣٦٤ ، والمنصف ١ / ٦٠ ، وشرح المفصل ١ / ٢٣ ، وتفسير التحرير والتنوير ١ / ١٤٨ .
(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٣ ، والتفسير الكبير ١ / ١٠٧ ،
(٤) انظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ١ / ٢٣ .

فالمحذوف عندنا لامه ، وعندهم فاؤه "[1]، كما ذكر[2] أن علة جعل البصريين الاسم من السمو هي : أن الاسم يُنوِّه بالمسمى ويرفعه للأذهان بعد خفائه ، وهذا معنى السمو ، وعلة قول الكوفيين أنه من " السمة " هي أن الاسم علامة على المسمى ، والعلامة تؤذن أنه من الوسم وهو العلامة ؛ لهذا يجب أن يكون مشتقاً منها ، وقد ردَّ العكبري رأي الكوفيين هذا معللاً بأن اتفاق الأصلَين في المعنى ــ وهو العلامة ــ لا يوجب أن يكون أحدهما مشتقا من الآخر، فقولك : " دَمَثَ ، ودَمْثَر " بمعنى واحد ، ولكن ليس أحدُهما مشتقاً من الآخر ، وأبعد من ذلك " الأسد ، والليث " بمعنى واحد ولا يجمعهما اشتقاق .

وقد رجَّحَ أبو حيان رأيَ البصريين فقال : " ويُقال " اسم " بكسر همزة الوصل وضمها ، و" سِم " بكسر السين وضمها ، وسُمى كهُدى ، والبصري يقول مادته : سين وميم وواو ، والكوفي يقول : واو وسين وميم ، والأرجح الأول ، والاستدلال في كتب النحو " [3] ،كما استدل المبرد [4] أيضاً على صحة ما ذهب إليه البصريون ، بأن تصغيره يكون على " سُمَيّ "، ورفض أن يكون أصله من الوسم ــ وقد صرَّحَ بذلك حينما أدرج كلمة " اسم " تحت ما حُذِفَ منه الواو ــ ولو كان من الوسم لصُغِّر على " وُسيم " ، كما أنه يقال في تصريفه : سَمَّيتُ ولو كان من السمة لقيل " وسَّمتُ " .

وقد أفرد الأنباري في كتابه الإنصاف مساحة لمناقشة هذه المسألة انتصر فيها للبصريين ، وذكر أن من علل البصريين في الاستدلال على أن الاسم من السمو أي : العلو ؛ أنه قد علا على الفعل والحرف ، لأنه لما كان الفعل مما

---

(1) مسائل خلافية في النحو للعكبري ص ٥٩ . ولم يثبت عن شيوخ الكوفيين كالكسائي ، والفراء ، وثعلب أنهم ذهبوا إلى أن الاسم من السمة أو الوسم ، وربما كان هذا الرأي منقولاً عن المتأخرين منهم . انظر نفس المرجع هامش (٢) من ص ٥٩ .

(2) انظر التبيين عن مذاهب النحويين للعكبري ص ١٣٧ : ١٣٨ .

(3) البحر المحيط ١ / ١٤ .

(4) انظر المقتضب ١ / ٨٢ ، ٢٢٩ ، وتفسير البغوي ١ / ٥٠ ، وتفسير السمعاني ١ / ٣٢ .

يُخبر به ولا يُخبر عنه ، والحرف لا يُخبر به ولا يُخبر عنه ، والاسم مما يُخبر به ويُخبر عنه فقد علا الاسم وسما على الفعل والحرف ؛ فدلّ ذلك على أنه من السمو . كما ردَّ على الكوفيين ودحض حجتهم من خمسة أوجه لا داعي لذكرها هنا تجنبا للإطناب ، وقال السمين الحلبي : " وأيضا جَعْلُهُ من السمو مُدخِلٌ له في باب الأكثر ، وجَعلُهُ من الوسم مُدخِلٌ له في باب الأقل ؛ وذلك لأن حذفَ اللام كثيرٌ وحذْفَ الفاءِ قليلٌ ، وأيضاً فإنّا عهدناهم غالبا يعوضون في غير محل الحذف ، فجَعلُ همزة الوصل عوضا من اللام موافقا لهذا الأصل ، بخلاف ادّعاء كونها عوضاً من الفاء " [١]. وبهذا تكون كلمة " اِسْم " على وزن : " اِفْع " عند البصريين[٢]، وعند الكوفيين على وزن : " اِعْل ". هذا ما يخص القدماء حول اشتقاق " اسم " وما دار بينهم من جدال وخلاف حول أصل الاشتقاق ، حيثُ أجمعوا على أنّ لهذه اللفظة أصلاً ثالثاً محذوفاً وهو " الواو " ، ثُمّ اختلفوا حول تحديد موضعها من الكلمة ، فجعلها البصريون لام الكلمة ، في حين ذهب الكوفيون إلى أنها فاء الكلمة ، أما عن رأي علمائنا المحدثين في ذلك فيقول أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب : " اسم من الكلمات الثنائية فليست الهمزة ... إلا همزة وصل لا تعويضاً عن الفاء في رأي الكوفيين ، ولا عن اللام في رأي البصريين "[٣] ، هذه الحقيقة نفسها التي توصل إليها أحد الباحثين [٤] المحدثين في بحثٍ أعده تناول فيه اشتقاق كلمة " اسم " في اللغة العربية ، مقارناً ذلك باللغة العبرية والسريانية والحبشية في كثير من جوانبه ، وفي الآرامية والآشورية في بعض جوانبه ، حيث توصل من خلال بحثه

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١ / ١٧ .
(٢) انظر الإنصاف ١ / ٦ : ٨ ، والمقتضب ١ / ٢٢٩ : ٢٣٠ .
(٣) في قواعد الساميات ص ١١٦ .
(٤) انظر بحث منشور د . عبد الحفيظ أحمد بكري بعنوان " اشتقاق الاسم في ضوء علم اللغة المقارن ص ١٤١ .

إلى أن هذه الكلمة من الكلمات الثنائية في اللغة ، وليس فيها محذوف ، وهو ما يؤيد رأي أستاذنا الدكتور رمضان .

اشتقاق ووزن لفظ الجلالة " الله " : لقد وقع خلافٌ كبير بين العلماء حول أصل اشتقاق هذا الاسم " الله "، ويمكن تقسيم هذا الخلاف إلي قسمين :

الأول : اختلافهم حول هل هذه الكلمة مشتقة أم لا ؟

الثاني : اختلافهم حول مادة الاشتقاق نفسها . حيث ذهب بعضهم إلى أن لفظ الجلالة اسم علم موضوع[١]ليس له اشتقاق ، فهو أجَلُّ من أن يُذكر له اشتقاق ونُسب هذا القول إلى الكسائي ، وذهب آخرون إلى أنه اسم مُعرَّب[٢] عن السريانية والأصل فيه " إلاها " بالألف ، حيث عُرِّبَ بحذف الألف وتعويض اللام ،كما ذُكِرَ[٣] أنه نُقل عن الخليل في هذه المسألة روايتان : إحداهما أنه ليس بمشتق ، والأخرى أنه مشتق من " الإلاهة " بمعنى العبادة ، و" الإلاهة "[٤] على ما فسره ابن عباس ومجاهد هي المصدر من قول القائل : ألَّه الله فلانٌ إلاهةً ، فالأصل فيه " إلاه " على وزن " فِعال " ، وذكر ابن يعيش[٥] أن سيبويه ذهب في بعض أقواله إلى أن " الله " اسم مرتجل للعلمية غير مشتق فلا يجوز حذف اللام منه . وقيل[٦] إنه مشتق من مادة " ل ، ي ، هـ " من " لاه يليه " بمعنى تَستَّر كأنه سبحانه سُمي بذلك ؛ لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار له ، أو بمعنى الارتفاع ؛ لأن العرب كانت تقول للشيء المرتفع " لاه " ، فالألف من "لاه " منقلبة عن ياء بدليل قولهم : " لَهْيَ أبوك " أي :

---

(١) انظر تفسير السمرقندي ١ / ٦ ، ونتائج الفكر في النحو ص ٥٠ ، ونسب السهيلي هذا الرأي إلى شيخه ابن العربي ، وزاد المسير ١ / ٥ ، وتفسير البغوي ١/ ٥٠.

(٢) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام ١ / ١٦ .

(٣) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام ١ / ٢٠ ، وتفسير النسفي ١ / ٤ ، وذكر النسفي أنه لا اشتقاق له عند الخليل ، والدر المصون ١ / ٢٤ : ٢٥.

(٤) انظر تفسير الطبري ١ / ٤٢ .

(٥) انظر شرح المفصل ١ / ٣ .

(٦) انظر تفسير البحر المحيط ١ / ١٥، ومجمع التفاسير ١ / ٢٠ ، وشرح الفصل ١ / ٣ هامش (٢)، والفريد ١ / ١٥٤ : ١٥٥ .

لله أبوك ، فالأصل " لَيَها أو لَيِها " والوزن " فَعَلَ ، أو فَعِلَ " تحرّكَ حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً ؛ فصار " لاه " ، ثم دخلت الألف واللام ؛ فصار " اللاه " أُدغمت لام التعريف في لام الكلمة بعدها ، وفُخّمت اللام . وقيـــل : مشتق من مادة " ل ، و، هـــ" من " لاه ـــ يلوه ـــ لوهاً "، وقيل : من " وَلِه " أي : طَرِب ، والأصل " وِلاه " بزنة " فِعال "، أُبدلت الواو همزة كما في: " وِشاح ـــ إِشاح " ؛ فصار " إلاها " ، حذفت الهمزة ودخلت عليهـــا " أل" وأدغمت اللامان ، وسُمي بذلك ؛ لأنَّ كلَّ مخلوقٍ والِهٌ نحوه إما بـــالتخيير أو بالإرادة ، ورُدَّ هذا القول بأنه لو صح ذلك لصح النطق بالأصل الذي هـــو " وِلاه " كما يُقال : " وِشاح ، ووِعاء "، ولكن ذلك لم يحدث ، كما أنه لـــو صح أن الأصل فيه " وِلاه " لجُمع على : أَوْلِهَة مثل : أوشِحة ؛ فلما لم يَـــرِدْ هذا الجمع سقط هذا القول ، وضعّف أبو حيان[1] هذا القول أيـــضا ؛ للـــزوم البدل ، وردَّ السمينُ الحلبي على ذلك بقوله : " وللخليل أن ينفصل عن هذين الاعتراضين : بأن البدل لَزِمَ في هذا ؛ لأنه اختص بأحكام لم يشركه فيها غيره، ثم جاء الجمع على التزام البدل " [2]. وقد اختلفوا [3] في الفرق بين " الإله " و" الله " فقالوا أنهما مختلفان لفظاً ومعنىً ، أما من حيثُ اللفظ: فإن الله من " لاه " معتل العين ، و" إله " مهموز صحيح العين واللام ، فهما من مادتين مختلفـــتين وردهما إلى أصل واحد فيه سوء تصريف . وأما من حيث المعنى : فإن " إلـــه " اسم لكل معبود ، أما " الله " فهو خاص به تعالى وحدَهُ جاهلية وإســـلاماً ، وقيل : هما عَلَمٌ لذاته إلا أنه قبل الحذف قد يطلق على غيره تعـــالى ، وبعـــد الحذف لا يطلق على غيره ، غير أنّ بعضهم ذهب إلى[4] أنه لا يُعرَف في كلام

---

[1] انظر البحر المحيط ١ / ١٥ .
[2] الدر المصون ١ / ٢٦ .
[3] انظر روح المعاني ١ / ٥٤ : ٥٥ .
[4] انظر عمدة التفسير ١ / ٧٠ ،

العرب اشتقاق للفظ " الله " ؛ لأنه اسم لم يُسَمَّ به غير المولى ـ عز وجل ـ فهو على سبيل الاستدلال ذلك ما دفع بعضهم إلى أن يُعِدَّه من الأسماء الجامدة ، وذهب آخرون[١] إلى أن الأصل فيه " إلاه " بزنة " فِعال " بمعنى المفعول من قولهم : أَلِه الرجل يأْلَه إلاهةً أي : عبد عبادةً ، فهو مصدر بمعنى : المألوه ، قال رؤْبَة بن العجاج :

لله دَرُّ الغانياتِ المُدَّه سبَّحْنَ واسترْجَعْنَ من تألُّهي .

فالأصل فيه " الإله " ، حذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة تخفيفاً ؛ لكثرة الاستعمال ـ وقيل : اعتباطاً ـ وأُدخِلت " أل " للتعظيم ودفع الشِّياع ـ لأن الكفار ذهبوا إلى تسمية أصنامهم وما يعبدونه " آلهة " فصار الاسم إلى " الله " ـ فالتقت اللام التي هي عين الكلمة ، واللام الزائدة في أول اللفظ للتعريف ، ثم أدغمتا فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة ؛كراهة اجتماع المثلين ، وفُخمت للتعظيم ، وصارت الألف واللام [٢]كأنها عوض من فاء الكلمة المحذوفة التي هي همزة " إله " ؛ فلزمتا الاسم ، فصارتا كأحد حروف الاسم لا تفارقانه ؛ ولذلك قد يقطعون الهمزة في النداء والقَسَم فيقولون : يا أَلله ، وأنا أَلله لأفعلنَّ . وقيل : العِوَض هو ألف "فِعال" . وذكر المنتجب [٣]أن هذا الاسم قد خُصَّ بالتفخيم ، وبالقطع في النداء ، وبالعوض فيه تقول : " اللهُمَّ "؛ وما ذاك إلا لتفخيمه وتعظيمه واختصاصه ، إذْ لم يطلق على غيره سبحانه ، ولم يستَحسِن المنتجب القول بأنه اسم علم مع رفض أن يكون أصله " إلاه " ، وذهب إلى أن هذا الرأي ليس بالمتين ـ وهو رأي المازني ـ ؛ لأن كل اسم علم لابد أن يكون له أصل نُقل عنه ، وقال أبو السعود : " والله أصله " الإله " حُذفت

---

(١) انظر تفسير الطبري ١ / ٤١، وشرح المفصل ١ / ٣ ، والفريد ١ / ١٥٥، ٥٧ ، و تفسير السمعاني ١ / ٣٣ ، وتفسير البغوي ١ / ٥٠، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٣، وعمدة التفسير ١ / ٧١، وتفسير النسفي ١ / ٥ ، ١١ ، وروح المعاني ١ / ٥٤ : ٥٨ ، والكافية ١/ ١٤٥، والدر المصون ١/ ٢٥.

(٢) انظر الكشاف ١ / ٦ ، وشرح المفصل ١ / ٣ .

(٣) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٦ : ١٥٧ .

همزته على غير قياس ، كما ينبئ عنه وجود الإدغام ، وتعويض الألف واللام عنها حيث لزماه وجُرِّدا عن معنى التعريف ؛ ولذلك قيل في النداء " يا ألله " بالقطع فإن المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذُكر من الإدغام والتعويض ، وقيل على غير قياس تخفيف الهمزة ؛ فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ؛ ليمتاز بذلك عما عداه " [1] . وقال الفخر الرازي : " المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم علم لله تعالى وأنه ليس بمشتق ألبته ، وهو قول الخليل وسيبويه وقول أكثر الأصوليين والفقهاء " [2] . واحتج الرازي لصحة قوله هذا بأن القول باشتقاق لفظ الجلالة لا يمنع من وقوع الشِّراكة فيه بين كثيرين ، إذ إن الاشتقاق لا يمنع من دخول كثيرين تحت هذا اللفظ ، وهذا يتنافى مع بيان التوحيد ، واستُدِل [3]على صحة قول الرازي أيضا بما جاء في قوله تعالى : " هل تعلم له سميًّا " [4].

في ضوء ما سبق يتضح أن العلماء تجاه اشتقاق لفظ الجلالة على عدة مذاهب : مذهب يرى أنه اسم مرتجلٌ للعلمية موضوعٌ لا اشتقاقَ فيه ، وهو أحد قولي الخليل وسيبويه ، ونُسب للكسائي . ومذهب يرى أنه مشتق واختلف أصحابه ، فمنهم من رأى اشتقاقه من " لاه " والأصل " لَيَه " ، أو " لَوَه " ، ومنهم من رأى اشتقاقه من " وَلَهَ " ، ومنهم من ذهب إلى أنه اسم علم مشتق من " إلاه " . ونتيجة لهذا الاختلاف أُختلف[5] في الألف واللام في أوله فهما زائدتان إذا كان اللفظ غير مشتق ، وقد شذ حذفهما في " لاه أبوك " ، والأصل "لله أبوك" ، وهما للتعريف إذا كان اللفظ مشتقاً ، واستدل[6] السمين

---

(١) تفسير أبي السعود ١ / ١٠ .
(٢) التفسير الكبير ١ / ١٥٦ ، وانظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٣ .
(٣) انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩ : ٢٠.
(٤) سورة مريم من الآية (٦٥) .
(٥) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ ، والدر المصون ١ / ٢٧ .
(٦) انظر الدر المصون ١ / ٢٨ .

الحلبي على زيادة " أل " وعدم أصالتها في لفظ الجلالة بعدم التنوين فيــه ؛ لأن وزنه حينئذ يكون على " فعّال " وليس في هذا الوزن ما يمنعه من الــصرف ، فدل عدم صرفه على أن " أل " فيه زائدة غير أصلية ، كما اسـتغرب القــول بأصالتها ، واستغرب القول بأن لفظ الجلالة معرَّب من السريانية .

اشتقاق ووزن " الرحمن "، و" الرحيم " : ذهب الخليل [1] إلى أهما مشتقان من الرحمة أي : من الفعل " رَحِمَ " ، وجاء الاشتقاق فيهما على وجه المبالغة[2] ، وهو مذهب الجمهور ، والمعنى : ذو الرحمة التي لا نظير لها ، وذهب بعضهم[3] إلى أن " الرَّحمنِ ، والرَّحيمِ " لا اشتقاق لهما ؛ لأهما من الأسماء المختصة بــه سبحانه ، ونسب النسفي [4] هذا القول للخليل ، وقيل : " الــرحمن " اســم عبراني[5] فجيء معه بالرحيم الذي هو عربي ؛ ولهذا جُمع بينهما ، وهذا القول مرغوب عنه ، وقال أبو حيان : " ومن غريب ما قيل فيه أنه أعجمي بالخــاء المعجمة فعُرِّب بالحاء ، قاله ثعلب "[6] . أما عن وزن كل منهما فهو كالآتي :

رَحْمَن : بزنة " فَعْلَانِ " ، وأصل بنائه من الفعل اللازم [7] من المبالغة ، وشذ من المتعدي ، وقد عللَّ السهيلي [8] لدلالة " فَعْلان " على المبالغة بأنــه إنمــا دخلها معنى المبالغة من حيث كان في آخر اللفظ ألف ونون مثل لفــظ المــثنى الدال على تضعيف المفرد ؛ لهذا جعلوا كل ما شابه التثنية دال على المبالغــة ، ومنعوا فيه الجمع ، والتأنيث ، فلا يُقال : " سَكرانينَ " ، و" لا غَــضبانينَ " ،

---

(1) انظر معجم العين للخليل ٣ / ٢٢٤، ومعجم اللغة وصحاح العربية للجوهري مج ٥ ص ١٩٢٩.
(2) انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٠ ، وروائع البيان ١ / ٢٠ .
(3) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٠٣ : ١٠٤ ، وذهب القرطبي إلى أنه لو كان " الرحمن " مشتقاً من الرحمة ؛ لاتصل بذكر المرحوم فجاز القول : الله رحمن بعباده ، كما يقال : رحيم بعباده ، ولم تنكره العرب حين سمعوه ، أي : لكان وصلنا تعبيرهم : الله رحمن بعباده (انظر ص ١٤٠: ١٤١) .
(4) انظر تفسير النسفي ١ / ٤ .
(5) انظر معجم لسان العرب ٥ / ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٢.
(6) البحر المحيط ١ / ١٥ .
(7) انظر السابق ١ / ١٥ .
(8) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٥٤ .

كما لا يقال : سكرانة ، ولا غضبانة ، وكذلك لا يلحقها التنوين ،و" فَعْلان " وزن للكلمة في صورتها الملفوظة لا المكتوبة وفي هذا الوزن ثبـوت[1] جميـع معناه للموصوف به ، ألا ترى أنهم يقولون : غَضبان ، وسَكران ، ونَـدمان ، وحَيران . للمتلئ غضباً ، وسُكراً ، ونَدَماً ،وحِيرةً ، فهو بناء للسعة والشمول . وذكر أبو حيان أن في صرفه قولان[2] :

الأول : الصرف استناداً إلى أصل عام ، وهو أن الأصل في الاسم الصرف .

الثاني : المنع من الصرف استناداً إلى أصل خاص ، وهو أن أصـل " فَعْـلان " المنع ؛ لغلبته فيه ، مع عدم توافر شروط المنع التي توافرت في نظيره " حَـيران ، وسَكران ، ونَدمان " ، إذ ليس له مؤنث[3] على وزن " فَعْلـى " كمـا في : سَكْرى ، وعَطْشى ؛ فاختصاص هذا اللفظ بالله يحظُر أنْ يكون له مؤنث على " فَعْلى " ، كذلك حُظِر أن يكون له مؤنثٌ بزنة " فَعلانة " مثل : " نَدمانة ".

وهذا الوزن " فَعْلانِ " المقابل للصورة الملفوظة للكلمة " رَحْمانِ "مكون من ثلاثة مقاطع صوتية هي :

أ- مقطع طويل مغلق (ص ح ص) يقابل في الميزان " فَعْ " ، ويقابل في الموزون " رَحْ " .

ب- مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) مقابل لـ " لا " في الميـزان ، ويُقابل في الموزون " ما " التي قُصِّرَت حركتها في الكتابة ؛ ذلك ما أدى إلى حذف الألف كرمز كتابي دال على طول الفتحـة ، فَرُسِمَ المقطع ميماً مُحَركة بفتحة قصيرة هكذا " مَ " .

ت- مقطع قصير مفتوح(ص ح) في آخر الكلمة يُقابـل " نِ " في الميزان ، ويُقابل في الموزون " نِ " أيضاً .

---

(1) انظر بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزيه ١ / ١٣٩ : ١٤٠ ، وتفسير النسفي ١ / ٥ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ .
(3) انظر الكشاف ١ / ٦ : ٧ ، وتفسير الطبري ١ / ٤٢ .

وبهذا يتضح أنَّ الرسم الكتابي للكلمة مختلفٌ عن النطق الصوتي ، فالرمز الكتابي هو : " رَحْمَنِ " ، والصوتي هو : " رَحْمانِ " ، حيث ظهر الشكل المكتوب خالياً من الرمز الكتابي _ الألف _ الذي يعبر عن حركة الفتحة الطويلة المحرَّك بها صوت الميم ، تلك الحركة التي تظهر عند النطق بالكلمة إذن ما حدث من تغيير هنا خاص بالرسم الإملائي دون المساس بالصورة الملفوظة أو المنطوقة للكلمة ، فهو حذفٌ كتابي ليس صوتيّاً .

رَحيم : بفتح[1] الراء بزنة " فَعيلٍ " ، وهو قول أهل الحجاز ، وبني أسد ، وبكسرها " رِحيم " عند قيس ، وتميم ، وربيعة كما يقولون : رِغِيف ، وبِعِير وهو مشتق من الفعل " رَحِمَ "، كمريض من " مَرِضَ " ، و" رحيم " بمعنى : " فاعل " أي : " راحِم " ، كما قالوا سميع بمعنى : سامع ، وقدير بمعنى : قادر ، إلا أنَّ في " الرحمن " من المبالغة ما ليس في" الرحيم " ، ومن أجل هذه المبالغة الزائدة في " الرحمن " قيل في الدعاء " يا رحمن الدنيا " ؛ لأن رحمته تعُم المؤمن والكافر ، وقيل " يا رحيم الآخرة " ؛ لأن رحمته تخص المؤمن فقط ، وقيل [3]: " الرَّحيم " أبلغ من " الرَّحمن " ؛ لأنه أُخر في الرتبة مراعاة للقاعدة ؛ لأن القاعدة عندهم تأخير الأبلغ ، وقال بعضهم هما سواء مثل : ندمان ، ونديم قال برج بن مسهر الطائي :

ونَدمان يزيدُ الكأسَ طيباً   سقيتُ وقد تغَوَّرتِ النجومُ .

الشاهد في البيت : ندمان بمعنى : نديم ، فكذلك : رحيم ، ورحمن بمعنى واحد وقيل[4] : " فَعيل " لمن كثُر منه الفعل ، و" فَعْلان " لمن كثُر منه وتكرر .
وهذا الوزن " رحيم " يتكون من ثلاثة مقاطع صوتية أيضاً هي :

---

(1) انظر تفسير الطبري ١ / ١٧ .
(2) انظر لسان العرب ٥ / ١٧٣ : ١٧٤ ، وزاد المسير ١ / ٦ ، ومجمع التفاسير ١ / ٢٤ .
(3) انظر فوائد في مشكل القرآن ١ / ٣٨ .
(4) انظر تفسير روح المعاني ١ / ٥٩ ، وتفسير الثعالبي ١ / ٢١ .

١- مقطع قصير(ص ح) متمثل في صوت الراء" رَ " المحرَّك بفتحة قصيرة .

٢- مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في صوت الحـــاء المحـــرَّك بكسرة طويلة " حيـــ" ، دلَّ عليها الرمز الكتابي الياء بعـــد الحاء .

٣- مقطع قصير (ص ح) المتمثل في صوت الميم " مِ " المحرَّك بكســـرة قصيرة .

اشتقاق ووزن " ربّ " : اختلف العلماء [١] حول الأصل والوزن في " ربّ " فقيل : هو مصدر وُصِفَ به على أحد وجوه الوصف بالمصدر ، وقيل هو بزنة " فَعَل " مثل : نَمَّ ـ يَنُمّ فهو نَمّ ، وقيل : وزنه " فاعـــل " وأصـــله " رابّ " حذفت الألف ؛ لكثرة الاستعمال كما في " بَرّ " ، " بارّ " ، ويجوز أن يكون صفة مشبهة باسم الفاعل [٢]مصوغة من فعل متعد ؛ فلا بد من تقديره لازمـــا بالنقل إلى فَعُلَ بضم العين ، وهو من ربّ يُرَبّه ، مثل : طَبَّه يطُبُّه فهي " طَـــبّ "بفتح الطاء ، و" طِبّ "بكسر الطاء : مصدر ، وقد اتحدت الصيغتان المـــصدر والصفة في " ربّ " . وقيل : هو مصدر في معنى الفعل نحو : رجـــلٌ عَـــدْلٌ ، وصَوْم ، وقيل : صفة[٣] مشبهة على وزن " فَعْل " من : رَبَّه يَرُبُّه بمعنى ربّاه ، وهو ربّ بمعنى مُرَبٌّ وسائس ، وهو الأظهر .

اشتقاق ووزن " العالمين " : " العالمين " من الأسماء المشتقة ، وقـــد اُختُلِـــفَ حول أصل اشتقاقه وفي ذلك رأيان [٤] :

---

[١] انظر زاد المسير ١ / ٨ ، والبحر المحيط ١ / ١٩ ، والدر المصون ١ / ٤٤ : ٤٥ ، وفوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٧ ، والكشاف ١ / ٨ .
[٢] انظر إعراب القرآن وبيانه ١/ ٢٨ : ٢٩ .
[٣] انظر تفسير التحرير والتنوير ١ / ١٦٦ .
[٤] انظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ، وفوائد في مشكل القرآن ١ / ٤٩ ، وزاد المسير ١ / ٨ ، وروائع البيان ١ / ٢٥ .

الأول : قيل : إنه من " العَلامة " ؛ لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ، وهو يقوي قول أهل النظر .

الثاني : قيل : إنه من " العِلْم " وعلى هذا فهو مختص بالعقلاء ، وهو يقوي قول أهل اللغة .

وهو على وزن " فاعلين " جمع [1] لا واحد له من لفظه ؛ لأنه جمع أشياء مختلفة ، فإن جُعل عالماً اسماً لواحدٍ منها صار جمعاً لأشياءَ متفقة ، والجمع " عالمون "، وذكر ابن منظور أنه لا يُجمع شيء على فاعل بالواو والنون إلا هذا. وذهب أبو حيان[2] إلى أن الجمع فيه شاذ ؛ لأنه اسم جمع ، وجمعه بالواو والنون أشذ ؛ للإخلال ببعض شروط هذا الجمع ، وذكر الجوهري [3]أن جمع عالم " عوالم " بزنة " فواعِل " ، وذهب الألوسي [4]إلى أن من قال أن "العالمين" اسم جُمِع على وزن السلامة ولا نظير له ففي ذلك نظر ؛ وذلك لأن الاسم الدال على أكثر من اثنين إن كان موضوعاً للآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف فذلك هو الجمع ، أما إن كان موضوعاً للحقيقة مُلغى فيه اعتبار الفردية فهذا هو اسم الجنس الجمعي مثل : تمر وتمرة ، وإن كان موضوعاً لمجموع الآحاد فهو اسم جمع ، سواء كان له واحد كما في : ركب ، أو لم يكن له واحد كما في : رهط . وقيل هو جمع [5]واحده " عالم " من العِلْم عند من جعله لذوي العلم ، ومن العَلَم والعلامة عند من جعله لجميع المخلوقات ، وجاء على صيغة جمع المذكر السالم العاقل ؛ للتغليب ، والمراد به جميع الكائنات ؛ ولذلك أدرجه النحاة تحت باب الملحق بجمع المذكر السالم .

---

(1) انظر لسان العرب ٩ / ٣٧٣ .
(2) انظر البحر المحيط ١ / ١٩ .
(3) انظر الصحاح ٥ / ١٩٩١ .
(4) انظر روح المعاني ١ / ٧٨ .
(5) انظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٩ ، والفريد ١ / ١٦٥ .

وقد عُلل تسويغ جمع " عالمين " بالياء والنون ـ مع أنه ليس بوصف من صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام ـ عُلل ذلك بأنّ معنى الوصفية موجود فيه ، وهي الدلالة [١] على معنى العِلْم . ولعلنا نُسَلِّم بصحة هذه العلة إذا كانت قائمةً على أنّ لفظ "العالمين" لا يتناول إلا أولي العلم فقط ، ولا يدل على أنه اسم لكل موجود سوى الله ، أي أن : الدلالة فيه للعاقل فقط ، كما أنّ الأمرَ يحتاجُ إلى شيءٍ من النظر في تغليب العاقل على غير العاقل في الجمع .

اشتقاق ووزن " إيَّاك " : بالرُّغم من الخلاف الذي دار بينهم حول ماهيّة هذه الكلمة ، وهل هي ضمير أو اسم ظاهر ، إلا أنه قد ذهب بعضهم إلى القول باشتقاق " إيا " ، حيث ورد عن أبي عبيدة القول باشتقاقه وضعَّف ذلك أبو حيان [٢]، وذكر أن أبا عُبيدة كان لا يُحسِن العربية ، كما اختلفت الآراء حول هذا الأمر فقيل : " إيا " مشتق من " إوّ " كما في مشطور قول الشاعر :

* فإوّ لذِكراها إذا ما ذكرتها *

وقيل هو من " الإيه " فتكون عين الكلمة ياءً كما في مشطور قول الشاعر :

* لم يُبقِ هذا الدهرُ من إيائهِ *

وإذا ما سلمنا بهذا القول على أنه مشتق من " إيه " ، فهل وزنه " إفعل " ؛ فيكون أصله : " إأْوَو، أو إأْوَي " ؟ ، أو وزنه " فعيل " ؛ فيكون الأصل فيه : " إيوو أو إيوي " ؟ ، أو بزنة " فعول ؛ فيكون أصله : " إووو أو إووي ؟ ، أو بزنة " فعلى ؛ فيكون أصله : إووب ، أو إوبا " ؟ كل هذه احتمالات وأقاويل أوردها أبو حيان على سبيل الضعف .

وزن " اهْدِنا " : الفعل " اهدنا " بوزن " إفْعِنا " [٣] من الفعل الماضي الناقص " هَدَى " ، والأصل فيه هو : " هَدَيَ " تقول القاعدة الصرفية : تحركت الياء

---

(١) انظر الكشاف ١ / ٩ : ١٠ .
(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(٣) انظر الدر المصون ١ / ٦٢ .

وانفتح ما قبلها فقُلِبت ألفاً ، ثم حُذفت لامه في الأمر ؛ نظراً لاعتلالها ، هذا عند القدماء ، أما في ضوء المنهج اللغوي الحديث فإن التقسيم المقطعي للفعل هَدَيَ هو كالآتي : (ha /da / i-a)، إذ إن المقطع الأخير سوف يكون غريباً عن نسيج اللغة ؛ لأنه مؤلف من حركات فقط ـ وبالتحديد حركتين ـ؛ ولذلك أسقطت اللغة العنصر الأصلي في الازدواج ، وهو الكسرة ، وهو الذي ينشأ عنه الانزلاق[1] ، أي أنه تم إسقاط " لام الكلمة " ، فاتصلت الفتحتان القصيرتان لتُصبحا فتحة طويلة هكذا : ha/d a a ، فالفعل " هدى " بوزن : " فَعا " فهو إذن ثلاثي الأصل " في الرسم " ، ثنائي المنطوق .

ويمكن تفسير ما حدث في هذا الفعل على أنه : ما هو إلا تقصير للفتحة الطويلة الموجودة على الدال ؛ مما نتج عنه تحول في المقطع الصوتي من مقطع طويل مفتوح هو : " ص ح ح " " دى " متمثل في صوت الدال والرمز الكتابي " ى " إلى مقطع قصير مفتوح هو : " ص ح " متمثل في : صوت الدال" دَ " المحرَّك بفتحة قصيرة ، ويمكن توضيح ذلك صوتياً كالآتي :

هـَ/دَ / يَ ← قلبُ الياء ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ← هَـ/دى (فتحة طويلة)
ص ح / ص ح / ص ح ← ص ح / ص ح ح
بنية عميقة في الماضي ← بنية سطحية في الماضي

هـَ/ دى ← الأمر منه ← اِهـْ /دي ← تقصير الحركة الطويلة ← اهـْ/ دِ
ص ح / ص ح ح ← ص ح ص / ص ح ح ← ص ح ص / ص ح
بنية عميقة في الأمر ← بنية سطحيّة في الأمر

وهذا الفعل مما يتعدى بنفسه إلى المفعول الأول ، ويتعدى إلى الثاني بواسطة حرف الجر " إلى أو اللام " ، غير أنه قد يُتَسع فيه فيُحذف حرف الجر ويتعدى بنفسه إلى المفعولين كما هو الحال في الآية " اهدنا الصراطَ المستقيمَ ".

---

[1] انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٨٦ : ٨٧ ، المقصود بالانزلاق هنا : هو تتابع حركتَيِ الكسرة والفتحة "i-a" والذي نتج عنه الرمز الكتابي الياء .

وزن " الصِّراط " : كلمة " صِراط " غير عربية [١] الأصل ، فهي كلمة مأخوذة من اللغة اللاتينية ، وأصله في اللاتينية ستراتا Strata ، وهو الطريق الواسع الكبير المُعَبَّد ، إذن فهي كلمة مُعرَّبة لا نجد لها في اللغة العربية أصلاً ، إذ لا توجد مادة " ص ر ط " ، وهي بزنة " فِعال " [٢] ، وإنما بنته العرب على هذا الوزن ؛ لأنه مشتمل [٣]على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط ، ويَرِدُ هذا الوزنُ لكثير من الأشياء التي تشتمل على أشياء أخرى كاللِحاف ، والخِمار، الرِّداء ، والغِطاء ، والكِتاب ، وهذا الوزن عند العرب يأتي لثلاثة معانٍ : الأول : معنى المصدر نحو : ضِراب ، وفِعال . والثاني : معنى المفعول نحو : كِتاب أي : مكتوب ، وسِراط أي : مسروط ، وبِناء أي : مَبْنِيّ ، ومنه قولهم : " إلاه " بمعنى " مألوه " . والمعنى الثالث : معنى يُقصد به قصد الآلة التي يحدث بها الفعل نحو : خِمار لما يُخمر به ، وغِطاء لِما يُغطى به ، وسِداد لما يُسد به .

ووجود الألف واللام في الصراط هنا[٤] ــ وهو اسم موصوف بما بعده ــ يدل على استحقاقه بتلك الصفة من غيره ؛ لأن " أل " إذا دخلت على موصوف اقتضت أنه أحق من غيره بتلك الصفة ، والصراط مما يُذكر [٥]ويُؤنث فالتذكير فيه لغة تميم ، والتأنيث لغة أهل الحجاز .

ب – **الحذف الصرفي** : أعني به ذلك الحذف الذي تتعرض له بنية الكلمة ، وأرى تقسيمه إلى نوعين :

---

(١) انظر اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ص ١٠١ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها ص ٢١٩، و" الكلمة " دراسة لغوية معجمية ص ٦٩ .
(٢) انظر بدائع التفسير ١ / ٢٣١ .
(٣) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٣٠٣ ، وبدائع التفسير ١ / ٢٣١ .
(٤) انظر نتائج الفكر في النحو ص ٣٠٢ .
(٥) انظر الدر المصون ١ / ٦٣ .

١- نوع عام : وأعني به الحذف الموجود أصالةً في بنية الكلمة بشكل عام أي : الحذف الذي تظهر عليه الكلمة في جميع مواضعها من الكلام .

٢- نوع خاص : وأعني به : ذلك الحذف الناتج عن بعض القراءات ، وهو حذف خاص بمواضع معينة في القرآن بحسب اختلاف اللهجات أو بتعبير آخر بحسب اختلاف القُراء ، وقد وردت عدة مواضع في فاتحة الكتاب وقع فيها حذف في بنية الكلمة سواء من العام ، أومن النوع الخاص ،كما في " اسم " ، ولفظ الجلالة " اللهِ " ، و" الرحمنِ " ، وغير ذلك من الكلمات التي سيرد ذكرها وبيان ما حدث فيها من حذف .

والحذف في شكليه : العام والخاص مؤدٍ دائماً إلى : إما تغيُّر في الرسم الكتابي ، أو تغيُّر في الأداء الصوتي ، أو تغير في كليهما معاً كما سنرى .

أ- *حذف ألف الوصل من " اسم "* : هو حذف يظهر في هذه الكلمة في البسملة دون غيرها من المواضع ، ويؤثر في الرسم الكتابي والأداء الصوتي معاً ، وقبل الخوض في الحديث عن حذف همزة الوصل هنا ، يجدر بي أن أقف على مجمل الآراء التي أُثيرت حول حقيقة هذه الهمزة " همزة الوصل " بشكل عام ، وعلة وجودها في أول كلمة " اسم " بشكل خاص ، وسبب حذفها منها ، ورأى المنهج اللغوي الحديث في ذلك .

وحقيقةً فإن قاعدة اجتلاب الهمزة في أول الكلمة قاعدة في الدرس اللغوي[1] التقليدي مرتبطة دائماً ومكملة لقاعدة أخرى وهي : " لا يجوز الابتداء بالساكن " ، ولأنه يُتوصَّل بالهمزة المجتلَبة إلى النطق بهذا الساكن ؛ سموها " همزة وصل " ، غير أنهم اختلفوا فيما بينهم حول سبب هذه التسمية وهم في ذلك على ثلاثة مذاهب[2] :

---

(١) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٤٥ : ١٤٦ .
(٢) انظر السابق ص ١٤٥ .

الأول : قيل : إنها سُميت كذلك من باب المجاز ؛ لعلاقة الضدِّية ، لأنها تسقط وصلاً ، فكان حقها أن تُسمى همزة ابتداء .

الثاني : قيل: سميت همزة وصل ؛ لأنها لوصل ما بعدها بما قبلها عند سقوطها .

الثالث : سموها بالوصل ؛ لوصول المتكلم بها إلى النطق بالساكن كما يرى البصريون ، يقول ابن جني :" اعلم أن ألف الوصل همزة تلحق في أول الكلمة ؛ توصلاً إلى النطق بالساكن ، وهرباً من الابتداء به ، إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس " [1]، واعتُرض عليهم بأنه كان من اللائق حينئذ تسميتها بهمزة الوصول أو التوصل لا الوصل[2] . وبالرغم من هذا الاختلاف الذي وقع بينهم إلا أنهم اتفقوا على أنها تظهر وتُحَقَّق في ابتداء الكلام ، غير أنها تسقط في درجه ، كما أنهم اتفقوا على الدافع الذي من أجله تم اجتلاب همزة الوصل ــ بشكل عام ــ ، وهو تعذر النطق بالساكن ــ الذي هو الصوت الساكن غير المشكل بحركة ــ هذا الدافع الذي يقودنا إلى القول بافتراضية وجود احتمالين هما :

أ- تعذر أو استحالة ابتداء النطق بالساكن استحالة مطلقة ، بقطع النظر عما إذا كان قد وقع بالفعل أو لم يقع ، وهذا الاحتمال مردود بعدم تعذر أو استحالة ابتداء النطق بالساكن بشكل عام ،وإمكانية هذا النطق بوصفه إمكانية صوتية ، كذلك فإنه لا يمكن الظن بعجز الإنسان العربي عن أداء هذه الظاهرة الصوتية ، يتضح ذلك من خلال تصريح بعضهم ــ كالصبّا[3] ن مثلاً ــ الذي روى عن السيد الجرجاني والكافيجي من أن النطق بالساكن في ابتداء الكلام

---

(1) المنصف لابن جني ١ / ٥٣ .
(2) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢ / ١٧٩ .
(3) انظر حاشية الصبان ٤ / ٢٠٥ .

ممكن لكنه مستقل ، بل صرَّح بعضهم أيضاً[1] بأن قوماً قد جـــوزوا الابتـــداء بالساكن الصامت .

ب- تعذر أو استحالة هذا النطق بحسب الواقع والحقيقة ؛ لأنه لم يُسمع من أفواه العرب ، ومن ثَّم أصبح هذا الأمر خاصةً من خواص لغتهم ولذا فقـــد جيء بالهمزة للتخلص من هذا التعذر .

وخلاصة الأمر فإن النطق بالساكن في ابتداء الكلام ظاهرة حقيقة وقعت في كلام الناس في فترة من فترات تاريخ العربية ، وقد استطاع بعض الدارسين إدراك هذه الظاهرة بقوة الملاحظة ، ودقة الإحساس ، في الوقت الذي عجـــز فيه آخرون عن إدراكها ، " ولكن ذلك لا يقدح في حقيقة الموضوع ، وهـــي حدوث النطق بالساكن في ابتداء الكلام في العربية أو إحدى لهجاتها " [2]، بالإضافة إلى أن كتب اللغة تبين لنا أن هذه الظاهرة ليست غريبة عن اللغـــات السامية ، أو في أقل تقدير فاللغة السريانية قد عرفت النطق بالساكن في ابتداء الكلام من ذلك على سبيل المثال: qtol (قْطُل) بمعنى : اقْـــتُل ،كمـــا أن هذه الظاهرة وُجِدَت في اللهجات العربية الحديثة في أنحاء الـــوطن العـــربي ، كلهجة بعض المناطق اللبنانية ، وغيرها ، أما عن رأي علمائنا المحدثين فيقـــول الدكتور كمال بشر : " على فرض التسليم بصحة القول بأن العرب لم ينطقوا بالساكن في ابتداء الكلام ، إننا نشك أن يكون المنطوق في هـــذه الـــسياقات المعينة همزة . ولا يُغير من ظننا وصفها للوصل أو لغـــيره " [3] . إذن فهـــذا الصوت الذي يظهر في أول الكلمات مثل :" اضْرَب " ، و " إِسْتَخرِج " ، و" اسم " ، وغير ذلك من الكلمات ليس بهمزة عند د. كمال بشر ، وإنما هـــو نوع من التحريك يُسهِّل عملية النطق بالساكن ، وهذا التحريك قـــد يختـــلط

---

(1) انظر مراح الأرواح في علم الصرف ص ١٢٠ .
(2) دراسات في علم اللغة ص ١٤٧ .
(3) دراسات في علم اللغة ص ١٥٠ .

على بعض الناس فيسمونه " همزة " ، وفَضّل د . كمال أن يُسمِّي هذا الصوت " الصويت " مستدلاً على ذلك بدليلين :

الأول : أن طبيعة التكوين الصوتي للهمزة يتنافى مع الذي من أجله جـــيء بالهمزة ، وهو إمكانية التوصل إلى النطق بالساكن ، أو تسهيل هذه العمليـــة؛ وذلك لأن الهمزة في حقيقتها حاجز ومانع ، وفي النطق بها صـــعوبة واضـــحة تناقض التسهيل المرجوّ من استخدامها .

الثاني : كينونة ألف الوصل همزة ، والهمزة صوت ساكن خالٍ من الحركة وهذا يتنافى مع القول بمجيئها لإمكانية النطق بالساكن .

وقد أثار القدماء هذه القضية فرأى بعضهم [1]أنها كانت ساكنة ، ثم لـــا دخلت على مبدوء بساكن التقى ساكنان ؛ فحُركت الهمزة بالكسر منعاً مـــن التقاء الساكنين , وذهب جماعة من البصريين [2] أنه تم اجتلابها متحركة ؛ لأن العلة من اجتلابها هي التوصل بها إلى إمكانية ابتداء النطق بالساكن ؛ لذا وجب أن تكون متحركة كأي حرف يُبتدأ به ، ووافق ابن كمال باشا [3] هذا الرأي الذي يرفض الاتجاه السابق .

مما سبق يظهر لنا : " أنّ ثمّة إحساساً من نوعٍ ما بين اللغويين العرب بأن ما سموه همزة وصل ليس إلا " نقلة " حركية تختلف في طبيعتها وصفاتها عـــن كل من الأصوات الصامتة consonants ، والحركات vowels يتمثل هذا الإحساس في جملة من تصريحاتهم ومناقشاتهم المتناثرة هنا وهناك في التراث اللغوي ، من ذلك مثلاً وصفهم للهمزة بأنها للوصول أو الوصل " [4] ومع كل هذا فقد تم حذف هذه الألف ــ ألف أو همزة ــ الوصل من صدر كلمة

(1) انظر سر صناعة الإعراب ١ / ٢٧ ، وحاشية الصبان ٤ / ٢٠٩ ، وشرح مراح الأرواح لابن كمال باشا ص ٥٥ .
(2) انظر حاشية الصبان ٤ / ٢٠٩ .
(3) انظر شرح مراح الأرواح ص ٥٥ .
(4) دراسات في علم اللغة ص ١٥٧ .

" اسم " في " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ "، وقد وقع هذا الحذف مع البـاء دون غيرها من حروف الجر أحادية البنية ؛ وذلك لكثرة استعمال البـاء ـ دون غيرها من الحروف ـ مع كلمة " اسم " .

كما أن الحذف قد خَص الباء في البسملة دون غيرها من المواضع ؛ وذلك نظراً لكثرة استخدامهم للبسملة في كلامهم ، فما كثُر في الكـلام عنـدهم خففوه بالحذف[1] كما في قولهم : "لم أُبَل " في : "لم أُبالِ "، و" لم أكُ " في : " لم أكُن " ـ بدليل عدم حذف ألف الوصل في قولك : لاسم الله حـلاوة في القلوب ، أو قولك : ليس اسمٌ كاسم الله بالرُّغم من إضافة " اسم " إلى لفظ الجلالة وسبقه بحرف جر أحادي البنية مثل الباء ، وذلك أدْعى إلى القول بـأن من دوافع حذف الألف في البسملة اقترانها بالباء ـ وعُلل هذا الحذف أيـضاً بأن ألف الوصل قد وقعت في موضع معروف[2] لا يجهل القـارئ معنـاه ، فاستُخِفَ على الألف طرحها ؛ لأن من شأنهم الإيجاز والتخفيف ، وقيل وقع حذف الألف هنا طلباً [3]للخفة تبعاً لحذفها في التلفظ ، إذ إنه لا يُلفظ بهـا ؛ نظراً لكثرة الاستعمال وورودها على الألسنة فهو حذف من باب التخفيـف والإيجاز ، كما أن " اسم " تكثُر مع لفظ الجلالة دون غيره ، فلمـا عـرف العرب ذلك استخف عليهم حذفها فأسقطوها ، ولم يفعلوا ذلك عند إضـافة اسم إلى غير لفظ الجلالة ، وقيل حذفت لأنه لما كانت علة دخولهـا إمكانيـة ابتداء النطق بالساكن ؛ لتعذر ذلك بدونها ، نابت الباء منابها ؛ فسقطت الألف في الخط فرسموها " بِسْمِ " بدون ألف بخلاف " اقرأ باسم ربك " التي رُسمـت

---

[1] انظر أربع مسائل في النحو ص ٢٥ : ٢٦ .
[2] انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢ ، وروح المعاني ١ / ٣٩ : ٤٠ ، وتفسير أبي السعود ١ / ٨ ، وتفسير النسفي ١ / ٤ .
[3] انظر مجمع التفاسير ١ / ١٨ ، و وتفسير السمعاني ١ / ٣٢، ٥٤ ، و التفسير الكبير ١ / ١٠٦ ، وشرح مجموعة الشافية ١ / ٣٨١ .

بالألف [1] ؛ لأن الباء فيها لا تنوب مناب الألف ؛ وذلك لتعذر حذف الباء مع بقاء المعنى في الكلام كما هو الحال في البسملة التي يبقى فيها المعنى مع حذف الباء ، فلا يُقال : " اقرأ اسم ربك " ؛ نظراً لاختلاف المعنى عن " اقرأ باسم ربك "،كما علل بعضهم عدم حذف الألف في " اقرأ باسم ربك " ؛ لأن إسقاط الألف أو حذفها لابد له من أمرين : عدم ذكر المتعلق ، وإضافة " اسم " إلى لفظ الجلالة ، وكلا الأمرين منتفٍ في آية " اقرأ "؛ لهذا لم تسقط الألف فيها .

ومنهم من ذهب إلى أنهم أثبتوها هنا ، وحذفوها في البسملة ؛ لأنهم[2] اتّبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط ؛ لكثرة الاستعمال ، كما قيل : طُولت [3] الباء عوضاً عن الألف المحذوفة ، والأصل فيها " باسم الله " فلما أسقطوا الألف ردُّوا طولها على الباء ، وقد أجمل النحاس [4] كل هذه العلل السابقة فذهب إلى أن في حذف ألف الوصول من " اسم " في الخط أربعة أقوال :

الأول والثاني : الحذف لكثرة الاستعمال ، وهو مذهب الفراء [5]، وإليه ذهب أبو حيان [6] .

الثالث : حُذفت الألف لأنها ليست من اللفظ ، وهو مذهب الأخفش سعيد بن مسعدة .

الرابع : أن الأصل في " اسم " هو : " سِمٌ " ، أو " سُمٌ " بكسر السنين أو ضمها ، ثم جيء بالباء فصار : " بِسِم " بكسر الباء ، وكسر أو ضم السين

(1) سورة العلق الآية (١) .
(2) انظر الكشاف ١ / ٥ ، والفريد ١ / ١٥٤ .
(3) انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩، وتفسير النسفي ١ / ٤ .
(4) انظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٧ .
(5) انظر معاني القرآن للفراء ١ / ٢ .
(6) انظرتفسير البحر المحيط ١ / ١٦ .

ثم حذفت حركة السين وسُكِنت فصارت " بِسْم "، ويمكن تمثيل ذلك تحليلياً كالآتي :

سِم ، أو سُم ← زيادة الباء في أول اللفظ ← (بِسِم ــ بِسُمٍ)

(بنية عميقة)

(بِسِمِ ــ بِسُمٍ) ← حذف حركة السين وتسكينها ← (بِسْم)

(بنية سطحية)

وحقيقةً فإن مسألة الحذف هذه أيضاً من المسائل التي اختلفت حولها الآراء ، وتباينت تجاهها العلل ، إذ إنه من المعروف ــ كما ذكرت ــ أن همزة الوصل يُؤتى بها في أول الكلمة ؛ لإمكانية النطق بالساكن الموجود في أولها ، وهذا على أرجح الأقوال ، وبالرغم من إجماعهم على أن ألف الوصل ــ بشكل عام ــ مزيدة في أول الكلمة ، وأنها تأتي لإمكانية الابتداء بالساكن ، إلا أنهم اختلفوا حول علة وجودها في صدر كلمة " اسم" على وجه التحديد ، فذهب البصريون إلى أنها جاءت عوضاً عن لام الكلمة المحذوفة ، فهي عندهم ليست زائدة وإنما جيء بها في صدر كلمة " اسم " ؛ للتعويض عن عجزه المحذوف ، ودليل ذلك عندهم أنه لا يُجمع بينها وبين المعوض عنه ــ أي : بين ألف الوصل وبين لام الكلمة المحذوفة ــ التي هي الواو ــ في حال النسب فلا يقال : اسموي ، إذن فاختصاص ألف الوصل بكلمة " اسم " عند البصريين صار عوضاً من الحذف الذي لحق عجزها ، حيث كانت " سَمَوَ " ثم صارت " إِسْم " ، إلا أن ما رواه السمعاني [1] عنهم لا يتفق مع هذا القول ، حيث ذكر أن " اسم " من الأسماء التي بُنيت أوائلها على السكون عند البصريين ، فزادوا الهمزة في أولها ؛ لبشاعة الابتداء بالساكن غير المدّات عندهم .

---

[1] انظر تفسير السنمعاني ١ / ٥٢ .

كما أن الكوفيين [1] جعلوا ألف الوصل في " اسم " أيضاً للعوض عما حذف من صدر الكلمة ،حيث حُذفت فاء الكلمة وعُوِّض عنها بألف الوصل ، فكانت " وَسْم " ثم صارت " إِسْم "، ورُدَّ علي الكوفيين قولُهم بأن ألف الوصل لم تُعهد داخلة على ما حُذف صدره ، كما أن زيادة الإعلال _ كما ذهب البصريون _ أقيس من عدم النظير،كما أن جعلها عوضاً يجعلها مقصودة لذاتها ، وهذا يتنافى مع كونها وصلاً ؛ لهذا قيل لا حذف ولا تعويض ، وإنما هو قلب للواو إلى همزة كما في : " إشاح ، وإعاء " من : " وشاح ، ووعاء " ؛ ثم مع كثرة الاستعمال جُعلت الهمزة وصلاً ، وقد تُقطع للضرورة فنقول : " إسم " . وقيل أيضاً : إنه لو كان اجتلاب ألف الوصل في " اسم " للعوض عن المحذوف ؛ لجيء بها أيضا في " دم ، ويد ، وغد " ؛ عوضاً عما حذف من هذه الأسماء ، فلما لم يكن ذلك ؛ دل على انتفاء كونها للعوض في " اسم " ، بل هي لإمكانية النطق بالساكن ، وقيل : إنما اجتلابها هنا لضربٍ من التخفيف وهو عود الاسم إلى الثلاثي ؛ لأن الأسماء التي تبقى على حرفين بعد الحذف يكون فيها ثقل نحو : دمٍ ، ويدٍ ، وغدٍ . وهذا القول لا يتفق مع ما توصل إليه علماؤنا المحدثون من أنّ الأصل [2] في هذه الأسماء جميعاً : " اسم ، ودم ، ويد ، وغد " أنها ثنائية البنية .

ب – *الحذف في لفظ الجلالة " الله " في البسملة* : من خلال ما تم توضيحه سابقاً في أصل اشتقاق لفظ الجلالة فإنه يمكن استنتاج ما وقع فيه من حذف ، وذلك بالنظر إلى كلٍّ من : البنية السطحية التي عليها الاسم وهي : " الله " ، والبنية العميقة التي هي أصل الاشتقاق وهي : " إلاه " .

من خلال ذلك يتبين لنا أنَّ هذه البنية قد تعرضت لحذفين :

---

(1) انظر الإنصاف ١ / ٨٠٦ ، وتفسير السمعاني ١ / ٥٢ .
(2) انظر في قواعد الساميات د. رمضان عبد التواب ص ١١٦ .

الأول : حذف من النوع العام الذي بُنِيَ عليه لفظ الجلالة " الله " ـ بشكل عام ـ في أي موضع من الكلام ، حيث حذفت الهمزة [1] التي هي فاء الكلمة ، وعُوِّض عنها بـ " أل " التعريف ؛ فتحولت البنية العميقة للكلمة من " إله " إلى بنية أخرى عميقة أيضا هي : " اللاه "، فالتقت اللام التي هي عين الكلمة مع لام التعريف الموجودة في أول اللفظ،والأولى منهما ساكنة والثانية متحركة ـ فتم شرط الإدغام ـ فأُدغمت اللامان ، فصارتا لاماً واحدة ، ورسمت في اللفظ لاماً مشددة ، ثم فُخمت في لفظ الجلالة للتعظيم ، وقال أبو حيان : " حُذفت الهمزة اعتباطاً فقالوا " لاه " كما قال بعضهم في " ناس " أن أصله " أناس " ، ودخلت عليه " أل " ؛ فقيل " اللاه " ، أو كان أصله " إلاه " فنُقلت حركة الهمزة إلى اللام بعد حذفها ؛ فأُدغمت اللام في اللام ، ولزم النقل والإدغام فقيل " الله " ، وصار لا ينطلق إلا على المعبود بحق ، وعلى هذا يكون فِعال بمعنى مفعول ، كالكتاب بمعنى المكتوب " وأل " هذه لازمة ، وشذ حذفها مع حذف حرف الجر في قولهم : لاهِ أبوك . يريدون لله أبوك " [2]، وعلق أبو حيان ـ في تفسيره المسمى " النهر الماد " على البحر المحيط ـ علق على ذلك فذكر أن منهم من ذهب إلى أن الألف زائدة ، ومادته من همزة ولام من " أله " أي : فزع ، قاله ابن اسحق ، أو : تَحيَّر ، قاله أبو عمرو ، أو عَبَدَ كما قال النضر ، أو أله : بمعنى سَكَنَ كما ذهب المبرد ، وعلى هذا التأويل تكون الهمزة قد حُذفت اعتباطاً كما قيل : في ناس أصله " أناس " ، أو حُذفت للنقل ولَزِمَ مع الإدغام ، وكلا القولين شاذ . وقال القرطبي : " وقال الكسائي والفراء : معنى " بسم الله " : بسم الإله ؛ فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لاماً مشددة " [3]، وقيل أيضاً : " و " الله " أصله إله فحذفت

---

[1] انظر عمدة التفسير ١ / ٧١ ، والخصائص لابن جني ٢ / ١٥٠ ، ومعجم متن اللغة ١ / ١٩٩ .
[2] البحر المحيط ١ / ١٥ .
[3] تفسير القرطبي ١ / ١٣٩ .

الهمزة وعوض عنها الألف واللام ؛ ولذلك قيل " يألله " بـالقطع "[1] ، إذن فهناك إجماع على حذف الهمزة من لفظ الجلالة " الله " ، والتعويض عنها باللام .

الحذف الثاني : وهو أيضاً حذف من النوع العام الذي تنبني عليه الكلمة ، أي أنه ليس ناتجاً عن اختلاف القراءات ، وهو مما يؤثر في الرسم الكتابي ، ولا يتأثر به الأداء الصوتي ؛ لأن المحذوف ملفوظ به في الكلمة ، لكنه منقوص في الرسم فقط ، حيث وقع حذف الألف هنا _ خطاً لا لفظاً _ من وسط لفظ الجلالة " الله " ؛ إذ الأصل فيه " اللاه " ،ثم تحوَّل اللفظ إلى " الله "، وقد اختلفوا حول علة [2]هذا الحذف ، ولهم في ذلك عدة أقوال : منها أن الألف حذفت لكثرة الاستعمال ؛ لأنها للوصل وليست بأصلية ، وقيل : لأن اللفظ كُتب على لغة من يقول : " اللهْ " بإسكان الهاء مع القصر ، إلا أن المنتجب[3] علل الحذف بأنه للفرق بين لفظيّ " اللاه " _ التي هي أصل " الله "_ ، وبين " اللات " ؛ لأن من العرب مَن يقف على " اللات " بالهاء فيقول : " اللاه " [4] قياساً على نظائرها ؛ لكونها تاء تأنيث ، والوقوف عليها يكون بالهاء وفي ظني أن المنتجب يريد _ وإن لم يصرِّح بذلك _ أن من العرب من كان يرسم " اللات " بالهاء حال الوقف فيرسمها " اللاه " ؛ فيقع بذلك لبسٌ في الرسم بين اللفظتين ، ولهذا حذفوا الألف من " الله " _ رسماً لا لفظاً _ ؛ ليفرقوا بين اللفظتين ، بدليل قول الثعالبي : " والمكتوبة التي لفظها " الله " أبهر أسمائه ...... وحُذفت الألف الأخيرة من " الله " لئلا يُشكل بخط اللات ، وقيل طُرحت تخفيفاً " [5] ، وقال أبو حيان : " وحُذفت الألف الأخيرة من " الله " ؛ لئلا

(1) مجمع التفاسير ١ / ٢٢ .
(2) انظر تفسير الثعالبي " جواهر الحسان في تفسير القرآن " ١ / ٢١ ، وتفسير السمرقندي ١ / ٧٥ .
(3) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ١٥٧ .
(4) اللاه : لغة في " اللات " أي : الصنم . انظر معجم متن اللغة ، مج ٥ / ٢٣٢ .
(5) تفسير الثعالبي ١ / ٢١ .

يشكل بخط "اللاهِ " اسم الفاعل من لها يلهو ، وقيل : طُرحت تخفيفاً ، وقيل : هي لغة فاستُعمِلت في الخط " [1] ، وذهب بعضهم إلى أن لفظ الجلالة " الله " أصله: " لاها " بالسريانية [2]، فعُرِّب بحذف الألف الأخيرة ، وإدخال السلام عليه مع تفخيم لامه عند فتحٍ ، أو ضم ما قبلها ، وقيل بتفخيم السلام مطلقاً وعلل الرازي لحذف الألف فقال :" أنما حذفوا الألف قبل الهاء من قولنا " الله " في الخط ؛ لكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة بالصورة عند الكتابة ، وهو مثل كراهتهم اجتماع الحروف المتماثلة في اللفظ عند القراءة " [3]، كما زاد الرازي على ذلك حيث ذَكَر أنّ لفظ " الله " صار أربعة أحرف في الخط بعد أن كان على ستة أحرف ؛ لأن الأصل فيه " الإله " فأبدلوه بقولهم " الله "، وذهب ابن الحاجب [4] إلي أن " الله " قد يجيء " الآله " في السعة ، فلما خُففت الهمزة نقلت حركتها إلى ما قبلها ـ كما القياس ـ وحذفت الهمزة فصار" الله "، ثم أسكنوا اللام الأولى وأدغموها في اللام الثانية ؛ وصارت الألف واللام في لفظ الجلالة كالعوض من الهمزة ؛ لقلة اجتماعهما . ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(إلاه) ← حذفت الهمزة من أول اللفظ وعُوِّض عنها بلام التعريف (اللاه)

(بنية عميقة)

(اللاه) ← أدغمت اللام في اللام وحُذفت الألف قبل الهاء رسماً (الله)

(بنية سطحية)

(1) البحر المحيط ١/ ١٥ .
(2) انظر مجمع التفاسير ١ / ٢٤ .
(3) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١ / ١٠٧ .
(4) انظر الكافية في النحو ١ / ١٤٥ .

الحذف في لفظ الجلالة في " الحمد لله " : وهو أيضاً حذف من النوع العام الذي يلحق بالكلمة في أو موضع دون الاختصاص بهذا الموضع ، وغير مرتبط بأوجه القراءات ، حيث وقع حذفان في لفظ الجلالة : " لله " :

الأول : حذف ألف الوصل لفظاً وخطاً من أول الكلمة ، حيث إنه من المعهود في ألف الوصل أن تُحذف لفظاً في وصل الكلام ، أي : لا يكون لها أثر صوتي مسموع فلا يُتَلَفظ بها ، ولكن تم حذفها هنا في الخط أيضاً ، لدخول لام الجر على لفظ الجلالة ، فهو إذن حذف مؤثر في الصوت وفي الرمز الكتابي " حذف صوتي كتابي " .

الثاني : حذف اللام من لفظ الجلالة لفظاً وخطاً أيضاً ، وقد اختلف العلماء حول تحديد اللام المحذوفة ، فمنهم من ذهب إلى أن اللام المحذوفة هي : " لام الجر " التي دخلت على لفظ الجلالة ؛ لأنها زائدة ، والزائد أولى بالحذف من الأصلي ، ويردّه قول الزجاج[1] بأن حرف الجر لا يُضمر ولا يُحذف .وذهب آخرون إلى أن المحذوف هو " لام لفظ الجلالة " أي : " لام الكلمة " ، وبقيت لام الجر .

وعندي أن الراجح هو الرأي الأول ؛ لأن لام الجر دخلت في الكلام لمعنى ، وليست زائدة لغواً ، وما دخل لمعنى لا يستغنى عنه ولا يُحذف ، إذ إنَّ في حذفه إلغاءً للهدف الذي من أجله جاء ، وهو المعنى الجديد الذي أُضيف بوجوده ، وإلا لا حاجة لدخوله في الكلام أصلاً ؛ لهذا تعين عندي أن يكون المحذوف لام الكلمة ليس لام الجر ، كما أنّ حذف لام الكلمة لا يُغيّر من معناها شيئاً [2]، وثمة دليلٌ آخر هو أنّ لام الكلمة ــ التي هي لام التعريف في

(1) انظر أربع مسائل في النحو ، رسالة " الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " ص ٤٥ .
(2) من الخصائص العظيمة في لفظ الجلالة أنك لو حذفت منه شيئا ظل الباقي يدل عليه ، فإن حذفت الألف بقي منه " لله " ، وإن حذفت إحدى اللامين وأبقيت الألف صار " إله "، وإن حذفت الألف واللام معاً بقي " له " ، فإن حذفت الألف واللامين معاً بقي منه " هو " والواو عوض عن الضمة ؛ لهذا قيل : إن لفظ " الله " هو الاسم الأعظم . انظر مجمع التفاسير ١ / ١٩ : ٢٠ .

الأصل المُعَوَّض بها عن الهمزة المحذوفة من إله ـ لام ساكنة ، ولام الجـر لام مكسورة ، وحذف الساكن من أول اللفظ أولى من حذف المتحرك ، كما أن وجود اللام محرَّكة بالكسر في أول اللفظ " لله" دلَّ على أنها لام الجـر ، إذ لا داعي للقول بأنها كانت لام الكلمة الساكنة ثُم حرِّكت بالكسر ، فالبعد عـن التأويل ، والقول بما هو ظاهر أولى ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره الزجاج من أنَّ حرف الجر لا يُضمر ، ولا يُحذف . والله تعالى أعلى أعلم .

ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(الله) ← دخول لام الجر علي اللفظ (لِ+ الله)

(بنية عميقة)

(ل + الله) ← حذف ألف الوصل ومعها إحدى اللامين (لله)

(بنية سطحية)

الحذف في " الرحمن " : هذا الاسم ـ كما ذكرتُ خلال الحديث عن اشتقاقه ـ من الأسماء التي اختص بها الله تعالى ؛ ومن أجل هذا ـ أو ربما لمنعه من الصرف ـ صار من الأسماء التي لا تُثنى ولا تجمع ، وقد وقع فيه الحذف خطاً لا لفظاً ، فرُسِمَ " الرحمن " بدون ألف ، والأصل فيها " الرحمان " ، حيث سقطت الألف من وسطه ؛ فقيل لكثرة الاستعمال [١]، ولأن اللبس مأمون ، وقيل : إنما وقع الحذف هنا ؛ لدخول[٢] الألف واللام على اللفظ ،فهو حذفٌ واجب ما دامت الكلمة معرَّفة بـ " أل " ، غير أنّ بعضَهم [٣]ذهب إلى أنه لا يجوز حذف الألف في " الرحمن " كما لم يجُز حذفها في لفظ الجلالة " الله " ، وذهب الفخر الرازي [٤] إلى أنهم حذفوا الألف في الخط ، والأصل " الرحمان "

---

(١) انظر البحر المحيط ١ / ١٥ : ١٧ ، وأربع مسائل في النحو ص ٥٠ .
(٢) انظر إعراب القرآن وبيانه ١ / ٢٥ ، ومعجم متن اللغة ٢ / ٥٦٥ .
(٣) انظر زاد المسير ١ / ٥ ، ونسب هذا الرأي للخليل .
(٤) انظر التفسير الكبير ١ / ١٠٧ .

على سبيل التخفيف ، ولو كُتبت بالألف لكان حسناً ، إذن فالحذف هنا ذو أثر كتابي فقط غير مصحوب بأثر صوتي ، حيث إنّ الألف المحذوفة خطاً ثابتة في اللفظ ، ولهذا تُرسم في الخط العثماني المصحفي ألفاً صغيرة فوق الميم للدلالة على بقائها لفظاً. ويمكن توضيح ذلك كالآتي :

الرحمان ـــ حذف الألف من وسط الكلمة خطاً لا لفظاً ← الرحمن

(بنية عميقة) (بنية سطحية)

الحذف في اسم الموصول " الّذين " : قرأ أعرابيٌّ " الَذين " بتخفيف اللام قال العكبري : " يُقرأ بلام واحدة مخففة مفتوحة ، وإذا ابتدأت به أثبت قبل اللام همزة مفتوحة تسقط في الوصل ، والوجه في ذلك أنه حذف اللام الأولى ، كراهية التشديد ، وحَسَّنَ ذلك عنده أنّ الألف واللام لا يفيدُ في هذا الاسم تعريفاً ؛ لأنّ تعرُّف الذي بصلته ، والألف واللام زائدتان ؛ فحَسُنَ حذفها لزيادتها ، وأبقى الهمزة تنبيهاً على أنّ الأكثر في الاستعمال ثبوت اللام ، وأن حذفها عارض " [١] ، وذكر أبو حيّان [٢] أنه سُمع حذف " أل " كاملةً من الموصول فقالوا : " لَذين " .

وقيل[٣] : حُذفت اللام من الموصول " الّذين " هنا ؛ لأنه مبنيٌّ لأجل نقصانه فهو لا يفيد إلا مع صلته ، إذن فهو كبعض الكلمة ، وبعض الكلمة يكون مبنياً ؛ لهذا السبب أدخلوا فيه النقص فحذفوا اللام ، ودليل ذلك أنهم لم يحذفوها في المثنى فقالوا " اللّذان ، واللّذَين " ؛ لأن التثنية أخرجت المثنى عن مشابهة الحروف ، إذ إن الحرف لا يُثنّى ؛ لذا فالمثنى ليس مبنياً ؛ فلم تُحذف منه اللام ، وقد أثر هذا الحذف في بنية الكلمة المنطوقة أي : أثر في الأداء

---

(١) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٩ ، " قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يقول : الله الذي يُخفف " هامش (٣) من نفس الصفحة ، وانظر البيان ١ / ٣٩ .

(٢) انظر البحر المحيط ١ / ٢٦ .

(٣) انظر التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " ١ / ١٠٦ .

الصوتي للكلمة ، حيث تحول المقطع الصوتي الأول في الكلمة من مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع قصير (ص ح) ،كما أثر في الرسم الإملائي للكلمة ، وفي ظني أنّ هذا الحذف قد أدى إلى صعوبة في النطق . ويمكن تمثيل ذلك كالآتي :

(اَلْ / لَ / ذيـ / نَ) حذف اللام الأولى ← ا َ / لَ / ذيـ / نَ

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح / ص ح — ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح

(بنية عميقة) — (بنية سطحية)

الحذف في " أيَاك " : وهو حذف من النوع الخاص ، إذ إنه موقوف على قراءة معينة من القراءات الشاذة ، فقد قرأ عمرو بن فايد [1] " إياك " بكسر الهمزة وتخفيف الياء ، وفي ذلك إعلال بحذف إحدى الياءين ، ما أدى إلى بقاء اللفظ على ياء واحدة ، قال العكبري : " والوجه أنه حذف إحدى الياءين لثقل التضعيف في الياء ....، فكأنّ مَن خفف أراد ذاتك نعبد ، أو حقيقتُك ، وفي هذا نظر " [2]، وذهب القرطبي[3] إلى أنّ قراءة التخفيف في الياء هنا قراءةٌ مرغوب عنها ، على أنّ هذا الحذف له نظير في كلامهم ، فقد جاء عنهم في حذف المضاعف حروف كثيرة منها : التخفيف في " أيّ " [4]. جاء ذلك في قول الفرزدق :

تنظرت نصراً والسماكين أيْهُما   عليّ مع الغيثِ استهلت مواطره .

الشاهد في البيت قوله : " أيْهُما " وهو يريد " أيُّهما "، كما قالوا في " أمَّا " : " أيْما " فراراً من التضعيف أيضاً ، وكذلك قالوا في " ظَلِلْتُ " : ظِلْتُ ، .

---

(1) انظر إعراب القرآن ١ / ١٧٣ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣ ، والنشر ١ / ١٠٨ ، وتفسير القرطبي ١ / ١٤٩ , وتفسير البحر المحيط ١ / ٢٣ ، وإعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٢٥ ، وفتح القدير للشوكاني ١ / ٢٢ .
(2) إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ : ٩٤ .
(3) انظر تفسير القرطبي ١ / ١٤٦ .
(4) انظر إعراب القراءات الشواذ ١ / ٩٣ .

وظَلْتُ " ، وقد قرئ بهما في المشهور . والمحذوف من " إيَّاك " هنا هو اليــاء الساكنة لا المتحركة على عكس ما جاء في " أيٌّ " في قول الفرزدق ، وعلــى عكس ما جاء عندهم في " ظَلْتُ " ؛ لأن ما بعد المحذوف في كل من : " أيُّهما وظَلْتُ " حرف صحيح متحرك فلا يضيره أنْ يُسبَق بالحرف الساكن الــذي بقي من المضعَّف ، أما في " إيَّاك " فالضرر واقع إلا إذا كان المحــذوف هــو الحرف الساكن لا المتحرك ، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي :

إيْـ / يَـــا / كَ	تخفيف التضعيف بحذف الياء الساكنة ←	إِ / يــا / كَ
ص ح ص / ص ح ح / ص ح		ص ح / ص ح ح / ص ح
(بنية عميقة)		(بنية سطحية)

من التحليل المقطعي الصوتي السابق نلاحظ أن البنية العميقة أو التحتية مكونة من ثلاثة مقاطع صوتية هي على الترتيب : (مقطع طويل مغلق بــصامت + مقطع طويل مفتوح + مقطع قصير) ، وما حدث هو أن المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ص) في البنية العميقة المتمثل في " إيْــ " ؛ قــد تحــوَّل إلى مقطع قصير مفتوح (ص ح) في البنية السطحية للكلمة متمثل في " إِ " .

الحذف في " الضالّين " : هذا حذف من النوع الخاص أي : المتعلــق بموضــع خاص دون سائر المواضع التي ترد فيها الكلمة ، أو بتعبير آخر هــو حــذف موقوف على إحدى القراءات دون غيرها إذ إن القــراءة المتــواترة هــي : " الضالّين " : بوزن " الفاعلين " ، باللام المشددة المسبوقة بحركة طويلة ، وهــو موضع من المواضع التي يُسمَح[1] فيها بالتقاء الساكنين كما يــرى القــدماء: ساكن المد ، وساكن اللام الأولى من المشددة وهو التقاء على حدِّه عنــدهم

---

(1) انظر شرح مجموعة الشافية ٢ / ١٠٨ : ١٠٩ ، ٣١٠ ، والإنصاف ٢ / ٢٦٦ ، وشذا العرف في فن الصرف ص ١٦١ ، والنحو الوافي ٤ / ١٨٠ هامش (٢) ، والقاعدة اللغوية والقراءات المخالفة ،ص ٩٦.

لتوافر الشروط ، و" التقاء الساكنين " كما فسّره المحدثون [1] هو : اجتماع ثلاثة أصوات صامتة متتالية الثالث منها فقط متلوّ بحركة ، أو : تواجد المقطع الصوتي المديد المغلق بصامت (ص ح ح ص) الذي يُمتنع تواجده في وسط الكلمة ، وبالرغم من شرعية قبول التضعيف في اللام هنا إلا أنه قرئ شذوذاً بتخفيف اللام ، قال العكبري :" ويُقرأ بتخفيف اللام وهو بعيد ووجهه على ضعف ، أنه خفف فراراً من ثقل التضعيف ، وهذا نظير حذف اللام في ظِلْتُ، وهو أصل أسماء الفاعلين ، فلما حُذفت في الفعل ؛ حُذفت في الاسم الجاري على الفعل " [2] وفي ذلك حذف لإحدى لاميّ الكلمة ، ووجهه أنه خفف فراراً من ثقل التضعيف ، وقيل هو بعيد ، قال ابن جني : " قد هربوا من التضعيف إلى الحذف نحو " ظلْت ومَسْت وأحسْت " [3]، وقد أدى التخفيف بالحذف هنا إلى التخلص من المقطع المديد المغلق ، وتحويله إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح)كما يتضح ذلك من خلال التحليل الصوتي الآتي مع طرح "أل " التعريف من اللفظ :

(ضالْ / ليـ / نَ) التخفيف بحذف إحدى اللامين ← (ضا / ليـ / نَ)

ص ح ح ص / ص ح ح / ص ح — ص ح ح / ص ح ح / ص ح

(بنية عميقة) — (بنية سطحية)

ت – ***الإعلال الصرفي*** : الإعلال هو في حقيقته إبدال ، ولكنه خاص بحروف العلة دون غيرها من الحروف ، فالإبدال عام والإعلال خاص ، وقد جاء في فاتحة الكتاب من الأسماء ما وقع فيه الإعلال في قوله تعالى :" نستعين "

---

(1) انظر دراسات في علم اللغة ص ١٤٨، والتطور اللغوي ص ٩٦ ، وفي علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ص ١٠٨ . .

(2) إعراب القراءات الشواذ ١ / ١٠٤ .

(3) الخصائص ٢ / ١٩ .

حيث وقع فيها إعلالان : أحدهما بالنقل ، والآخر بالقلب إذ الأصل [(1)]فيها " نَسْتَعْوِنُ ".

أما الإعلال بالنقل : فقد استُثقلت الكسرة على الواو ؛ فنُقِلت إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها وهو : " العين " ؛ فسُكِّنت الواو بعد أنْ كانت مكسورة ، فتحولت الكلمة من " نَسْتَعْوِنَ " إلى " نَسْتَعِوْنُ ".

وأما الإعلال بالقلب : فبعد نقل حركة الواو ؛ صارت الواو ساكنة ، وما قبلها مكسور ؛ ذلك ما أدّى إلى قلبها ياءً ؛ لأن الواو إذا سُكنت وكُسِر ما قبلها قُلبت ياءً ، وهذا قول القدامى ؛ لأن هذا موضع من مواضع إبدال [(2)] الواو ياءً عندهم ، أمَّا في ضوء المنهج اللغوي الحديث [(3)]فقد فُسِّر ذلك بأنه : لما تتابعت الكسرة والضمة ــ المتمثلة في الرمز الكتابي الواو ــ وكانت اللغة العربية تكره تتابعهما ، فقد أسقطت العربية عنصر الضمة ، وعوّضت مكانه كسرة قصيرة تُصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة بعد العين ، وهي التي ظهرت في صورة الياء في البنية السطحية للكلمة ، لذا فإنه من الأولى في وجهة النظر الجديثة أن نقول : قُلبت الضمة كسرة ؛ للتخلص من الصعوبة ، ونزوعاً إلى الانسجام ؛ ونتيجة لذلك فقد تحولت الكلمة من " نَستَعِوْن " إلى " نَستَعِينُ " .

ويمكن تمثيل ذلك بطريقة المقاطع الصوتية كالآتي :

نَـسْ/ـتَـعْ/ـو / نُ	إعلال بالنقل ←	نَـسْ / ـتَـ/عِـوْ / نُ
ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح		ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح
(بنية عميقة)		(بنية شبه سطحية)

---

(1) انظر الدر المصون ١ / ٥٩ ، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٣١ ، وروح المعاني ١ / ٨٧ ، والبحر المحيط ١ / ٢٤ ، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٢٦٩ .

(2) انظر المنهج الصوتي للبنية العربية ص ١٨٧ .

(3) انظر المنهج الصوتي ص ١٨٩ .

لاحِظ في التحليل السابق التبادل الذي حدث بين المقاطع الصوتية ــ التي رُسِم تحتها خط ــ في كل من البنية العميقة ، والبنية شبه السطحية ، بعد حدوث إعلال النقل ، حيث انعكست مواقع المقاطع .

نَـسْ / تَـ / عِـوْ / نُ ← إعلال بالقلب ← نَـسْ / تَـ / عِيـ / نُ

ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ← ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح

(بنية شبه سطحية) (بنية سطحية نهائية)

لاحظ أيضاً ما حدث هنا للمقاطع الصوتية في كلتا البنيتين ، حيث تحول المقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح).

ويمكن تفسير ما حدث هنا في ضوء علم اللغة الحديث بأنه قد اُختُزل صوت من أصوات الكلمة ، حيث إن الواو في البنية العميقة كانت عبارة عن صوت صامت مصحوب بحركة الكسرة ، أو بتعبير آخر صامت مصوّت ، ثم تحولت ــ بعد إعلالي النقل والقلب ــ إلى رمز كتابي يعبر عن الحركة الطويلة التي تحرّكت بها العين ؛ لهذا تحولت حركة العين من حركة قصيرة ــ التي هي الكسرة ــ إلى حركة طويلة وهي التي أطلق عليها القدماء " الياء " ، إذنْ ما ظنه القدماء حرفاً أو صامتاً ــ الياء ــ نتج عن قلب الواو ما هو في الحقيقة إلا رمز كتابي يُعبر عن التطويلُ أو الإشباعُ الذي حدث في حركة العين ، ذلك ما أدّى إلى تحول المقطع الصوتي ــ قبل الأخير في الكلمة ــ من مقطع طويل مقفل أو مغلق (ص ح ص) متمثل في : (عِوْ) ، إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) متمثل في : (عي) . هذا والله تعالى أعلى وأعلم .

نتائج البحث

بعد هذا العرض المفصّل لمسائل البحث والذي أدعو الله تعالى أن يكون قد ظهر في غير تطويلٍ مملٍ ، ولا تقصيرٍ مخِلٍ ، يطيبُ للباحث أن يسطُرَ بعضاً مما اهتدى إليه من نتائجَ ، إذ لا شك أنّ ثمة عدداً من القضايا الصوتية ، والصرفية التي عرض لها الباحثَ في فاتحة الكتاب من خلال استعراضه للقراءات القرآنية المختلفة ، ولكن تجنُباً لتكرار ما تمّ تفصيله في ثنايا البحث فإني سأُعدد في إيجاز بعضاً مما توصل إليه البحثُ من نتائج :

أ- **القضايا الصوتية :**

ثمَّة بعض من القضايا ، أو الظواهر الصوتية كان لها أثرٌ في البنية الصوتية ، أو في الرسم الإملائي للكلمة ، أو في الدلالة ، فمنها ما يؤثر في البنية الصوتية والرسم الإملائي معاً مثل : إدغام المثلين كما في لفظ الجلالة " الله "، و" ربّ "، و" إيّاك "، و " الضالّين " .

أمّا تأثيره الصوتي فقد أدى الإدغام إلى النطق بالصوتين المدغَمين دَفعة واحدة ؛ ذلك ما أدى إلى الإشعار بضخامة وتفخيم الصوت المدغَم حال النطق به .

وأمّا تأثيرُ الإدغام في الرسم الإملائي فقد أدّى إلى اختزال الحرفين المتماثلين في صورة حرفٍ واحد مشدد ــ أو مضعّف ــ وفي ذلك تحسين وتجميل لصورة الكلمة المرسومة .

ومنها ما يؤثر في البنية الصوتية دون الرسم الإملائي كالإدغام الشمسي ، منه على سبيل المثال ما جاء في كلمتي : " الرَّحمن " ، و" الرَّحيم " ، حيث أُدغمت اللام في الراء ؛ فأثّر ذلك على البنية الصوتية حيث اختفى صوت اللام

لأنه أُدخل في الراء حال النطق بالكلمة بالرغم من ثبوته في الرسم الإملائي ؛ فدلّ ذلك على عدم تأثير الإدغام في الرسم الإملائي .

ومنها ما لم يؤثر لا في البنية الصوتية ، ولا في الرسم الإملائي كما هو الحال في : " الإبدال الصوتي بين الصوامت " ، كإبدال الألف همزة ساكنة كقراءة بعضهم " العَأْلَمين " في " العالمين "، فليس لهذا الإبدال أي أثر سوى أنه لغة عندهم ،أو إبدال الألف همزة متحركة كما في " الضأَلين " بدلاً من " الضالّين " وذلك للتخفيف فراراً من التضعيف ، وكثُر ذلك في كلامهم ، ومن ذلك أيضاً إبدالهم الهمزة هاءً أو واواً مكسورة في " إيّاك " فيقولون : " هيّاك ، وِيّاك " .

وكذلك الحال في " الإبدال الصوتي بين الصوائت " لم يؤثر في شيء كما هو الحال في كسر حرف المضارعة وهي لغة بهراء ، وأطلق عليها العلماء " تلتلة بهراء " فهم يكسرون حرف المضارعة المفتوح في أول الفعل المضارع ، كما في " نِسْتعينُ " و " نِعبدُ " بدلاً من " نَستعينُ " و " نَعبدُ " ، وذلك في كل حروف المضارعة ما عدا الياء ؛ لثقل الكسرة على الياء .

غير أن من هذه الظواهر ما يؤدي إلى تَغُّير في الدلالة كما هو الحال في تقصير الحركة الطويلة على نحو ما جاء في قراءة " مَلِك " بتقصير فتحة الميم التي يُرمز لها بالرمز الكتابي " الألف " في " مالِك " ، هذا التقصير في الحركة كان له مردود دلاليّ ، إذ إنّ بين اللفظتين فروقاً دلالية فصّلها البحث ، يمكن الرجوع إليها .

ب – القضايا الصرفية :

١ – وردَ بالبحث بعضٌ من القضايا الصرفية التي أثارت جدلاً بين العلماء كقضية الاشتقاق ، إذ إنهم اختلفوا حول اشتقاق " اسم "فهم على ثلاثة

مذاهب: مذهبين للقدماء ، وثالثٍ للمحدثين (أي : علماء اللغة في العصر الحديث) .

أما مذهبا القدماء فأحدهما يمثله البصريون الذين يرون اشتقاق" اسم " من " سمو " فالأصل فيه أن يكون على ثلاثة أحرف ، وهذا ما ارتآه الكوفيّون أصحاب المذهب الثاني ، لكنهم يرون أنه مشتق من " وسم " .

أما علماؤنا المحدثون الذين يمثلون المنهج اللغوي الحديث فقد كان لهم رأيٌ آخر ، إذ يرى د .رمضان عبد التواب أن " اسم " من الكلمات ثنائية البنية ، فليس لها أصل ثلاثي كما يزعمون . كما اختلفوا أيضاً حول لألف الوصل في أول كلمة " اسم " : فالبصريون يرون أمها عِوَضٌ عن عجزه المحذوف ، والكوفيون يرون أنها عوضٌ عما حُذِف من صدره . أما المحدثون فهي عندهم زائدة في أول اللفظ .

ومما اختلف القدماء حول اشتقاقه أيضاً لفظ الجلالة " الله " ، فمنهم من رأى أنه لا اشتقاق له ، قيل : لأنه اسم جامد ، وقيل : لأنه أَجَلّ من أنْ يُشتقُ ، وقيل :إنه عَلمٌ غيرُ مشتق ، وقيل : إنه مُعرَّبٌ من السريانية فهو ليس بعربيّ ، كما ذهب آخرون إلى القول بأنه مشتق لكنهم اختلفوا في أصل الاشتقاق ، فقيل : مشتق من " لاه ـ يليه " ، أو " لاه ـ يلوه " ،وقيل.مشتق من " إله " ، والمسألة بالتفصيل في ثنايا البحث .

٢ – ثمة بعض من الظواهر الصرفية كان ذا أثر على الكلمات التي وقع فيها كالحذف الصرفي مثلاً الذي أدى إلى إحداث تغيير في المقاطع الصوتية المكونة منها الكلمة ،كما هو الحال في " إيّاك " و " الّذين " عند من قرأ بتخفيف الياء في الأولى ، وتخفيف الذال في الثانية على الترتيب ؛ فراراً من التضعيف ؛ ذلك ما أدى إلى تحويل المقطع الصوتي في أول الكلمة من مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع قصير مفتوح (ص ح) .

وكذلك في " الضالين " عند من قرأ بتخفيف اللام ؛ فراراً من التضعيف أيضاً ؛ ذلك ما أدى إلى التخلص من المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص) في أول الكلمة ، وتحويله إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) .

ومن الظواهر الصرفية التي أثرت في بنية الكلمة أيضاً ما حدث في قوله تعالى " نَسْتَعِينُ " من إعلال بالنقل ، وبالقلب على الترتيب ، حيث كان الأصل فيها " نستعون " تعرضت هذه البنية العميقة للكلمة لإعلالين أدّيا إلى حدوث تبديل في المواضع بين مقاطع الكلمة ، حيث إن المقاطع في البنية العميقة على الترتيب هي : (ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح) بُدلت في البنية السطحية وتحولت إلى (ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح) .

وقد اختلف القدماء والمحدثون حول تفسير ما حدث هنا ، فرأى القدماء أنّ في ذلك قلباً للواو إلى ياء ، ورأى المحدثون أنّ ما فسرّه القدماء على أنه قلب لأحد حروف الكلمة ما هو في الحقيقة إلا اختزالٌ لصوت من أصوات الكلمة كان مصحوباً بحركة ـ وهو صوت الواو المحرَّك بكسرة ـ في " نستعْوِنُ " وتحويله إلى رمز كتابي يُعبر عن التطويل الذي حدث لحركة الصوت السابق له ، فالواو التي كانت صوتاً مُصوَّتاً في البنية العميقة للكلمة تحولت إلى رمز كتابي ظهر في صورة " الياء " في البنية السطحية التي هي : " نَستعينُ ".

هذا بعضٌ من كلٍّ جاء مفصلاً في ثنايا البحث ، أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفّقتُ في عرضه ، وأخيراً أدعوه جلّ شأنه أنْ يَنْفَعَنا بما علّمَنا ، وأنْ يُعلمَنا ما ينفعُنا ، إنه القادر على ذلك ، وهو السميع العليم .

مصادر ومراجع البحث

١- إبراهيم أنيس " دكتور " :

- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٩٤ م .
- اللهجات العربية . مطبعة الرسالة . بدون تاريخ .

٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٣- ابن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) : شرح شذور الذهب ،الشيخ محمد محي الدين ، بيروت،طبعة ١٩٨٦ م .

٤- أبو البركات بن الأنباري : البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ القاهرة ، طبعة ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠ م .

٥- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ التفسير المسمى بـ " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " ، دار الفكر .

٦- أبو البقاء العكبري (ت٥٣٨ _ ٦١٦هـ) :

- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين . تحقيق ودراسة دكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين . مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م .
- إعراب القراءات الشواذ ، دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز ، عالم الكتب ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى١٤١٧هـ _ ١٩٩٦ م .

٧– المسائل الخلافية في النحو ، حققه وقدم له محمد خير الحلواني ، دار الشروق العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢ م .
٨– أبو السعود : التفسير المسمى " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم " دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ أو رقم طباعة
٩– أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ : المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب – بيروت ، بدون تاريخ أو رقم طباعة .
١٠–أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ت ٣٩٢ هـ :
– المنصف شرح التصريف للإمام أبي عثمان المازني ، تحقيق دكتور إبراهيم مصطفى ، والأستاذ عبد الله أمين دار إحياء التراث، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ _ ١٩٥٤م .
– سرّ صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي _ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٤ م .
– الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بدون تاريخ .
١١–أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي : تفسير القرآن ، عالم الكتب ، بدون تاريخ .
١٢–أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ: زاد المسير في علم التفسير حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، وخرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م .
١٣–أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ: زاد المسير في علم التفسير ، حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، خرّج

أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ
ــ ١٩٨٧ م .
١٤–أبو القاسم السُّهيليّ ت ٥٠٨ ــ ٥٨١هـ : " نتائج الفكر في النحو " تحقيق
دكتور محمد إبراهيم البنا ، دار الرياض للنشر والتوزيع .
١٥–أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٤٦٧ ٥٣٨هـ ــ) :
– شرح الفصيح ، تحقيق ودراسة دكتور إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي ، طبعة ١٤١٧هـ .
– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ويليه الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان .
١٦–أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ):
تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والدكتور زكريا عبد الحميد النوتي . دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م .
١٧– أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار ت ٤٢٦ : ٤٨٩هـ:
تفسير القرآن، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وأبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للنشر–الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ –٩٩٧م
١٨– أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه " (ت ١٨٠هـ) الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ــ بيروت ، الطبعة الأولى . بدون تاريخ .

١٩- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .
٢٠- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ إعراب القرآن، تحقيق دكتور زهير غازي زاهد ، عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥ م .
٢١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ : جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة (بيروت _ لبنان) الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م
٢٢-أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٦٥٤ _ ٧٥٤هـ) : التفسير الكبير المسمى بـ" البحر المحيط " وبهامشه : " تفسير النهر الماد من البحر " لأبي حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي (ت ٦٨٢ _ ٧٤٩هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م .
٢٣-أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ _ ١٩٨٣م.
٢٤-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الثانية . بدون تاريخ .
٢٥-أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت ٥١٦هـ) : التفسير المسمى " معالم التنزيل " ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمرى ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، دار الطيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ _ ١٩٩٥م .

٢٦-أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ ت ٣٥٥ _ ٤٣٧هـ : مشكل إعراب القرآن ، تحقيق حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٤ م .
٢٧-أحمد بن علي بن مسعود : مراح الأرواح في علم الصرف ، بشرحَيه لـ " ديكنقوز ، وابن كمال باشا ، مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٣٧ م .
٢٨-أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦ هـ : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار العلم _ دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٢٩-أحمد الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف ، حققه وكتب مقدماته وعلق عليه طه عبد الرءوف سعد ، مكتبة الصفا ، بدون تاريخ أو رقم طباعة .
٣٠-أحمد محمد شاكر" دكتور " : عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير ، اختصار وتحقيق ، سلسلة تراث الإسلام " ٣ " .
٣١-الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان .
٣٢-الثعالبي : التفسير الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعليمي للمطبوعات ،بيروت — لبنان .
٣٣-الجاربردي : شرح مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط ، ومعه حاشية ابن جماعة الكناني على الشرح ، عالم الكتب _ بيروت ، (بدون تاريخ أو رقم طباعة) .

٣٤-جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي :
الكافية في النحو ، شرحه الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستربازي ت ٦٨٦هـ ، دار الكتب العلمية . بيروت _ لبنان . الطبعة الثانية ١٣٣٩هـ _ ١٩٧٩م .

٣٥-حسن ظاظا " دكتور " : " اللسان والإنسان " مدخل إلى معرفة اللغة ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية — بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م .

٣٦-حلمي خليل " دكتور " : " الكلمة " دراسة لغوية معجمية دار المعرفة الجامعية ، طبعة ١٩٩٥ .

٣٧-الخضري : حاشية على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨ م .

٣٨-رمضان عبد التواب " دكتور " :

– في قواعد الساميات ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٠ .

– التطور اللغوي " مظاهره وعلله وقوانينه " ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض . بدون تاريخ .

٣٩- صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، الطبعة التاسعة ، دار العلم للملايين — بيروت ، ١٩٨١ م .

٤٠- عباس حسن : النحو الوافي ، دار المعارف بمصر ط الرابعة .

٤١- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) :

– الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر . طبعة ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بالاشتراك مع آخرين ، القاهرة _ دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ طباعة .
- تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور . الضبط والتصحيح ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م .
- التحبير في علم التفسير، حققه وقدم له ووضع فهارسه دكتور فتحي عبد القادر فريد ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ –١٩٨٢م

٤٢– عبد الصبور شاهين " دكتور " :

- المنهج الصوتي للبنية العربية " رؤية جديدة في الصرف العربي" ، مؤسسة الرسالة ، طبعة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .
- في علم اللغة العام ،مؤسسة الرسالة _ بيروت ،الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م.

٤٣– عبد الفتاح سليم " دكتور " : " أربع رسائل في النحو " تحقيق وتعليق ، منها رسالة " الإبانة والتفهيم عن معاني بسم الله الرحمن الرحيم " لأبي إسحاق الزجاج ، مكتبة الآداب – القاهرة .

٤٤– عبده الراجحي " دكتور " : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، طبعة ١٩٩٦م .

٤٥– عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) : فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق دكتور سيد رضوان علي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ _ ١٩٨٢ م .

٤٦- علي بن سليمان الحيدرة اليمني : كشف المشكل في النحو ، تحقيق د . هارون عطية ، مطبعة الإرشاد _ بغداد ، طبعة ١٤٠٤ هـ _ ١٩٨٤ م .
٤٧- علي عبد الواحد وافي " دكتور " : فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة – القاهرة ، الطبعة السابعة ، بدون تاريخ .
٤٨- فخر الدين الرازي : التفسير الكبير الطبعة الثانية . دار الكتب العلمية _ طهران ، بدون تاريخ .
٤٩- قاضي خازن ، نسفي بن عباس : مجمع التفاسير ، دار الدعوة ، الطبعة الثانية .
٥٠- كمال الدين أبو البركات بن الأنباري ت ٥١٣ _ ٥٧٧ هـ :
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .
٥١- كمال محمد بشر " دكتور " : دراسات في علم اللغة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ م .
٥٢- مجدي محمد حسين " دكتور " : القاعدة اللغوية والقراءات المخالفة ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، طبعة ٢٠٠٦م .
٥٣- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، بدون تاريخ ، أو رقم طباعة .

٥٤- محمد المبارك " دكتور " : فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، الطبعة السابعة ، ١٤٠١ هـ - ١١٩٨١ م .
٥٥- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،حققه وخرّج أحاديثه وفهرسها أبو حفص سيد بن إبراهيم ، دار الحديث _ القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٥٦- محمد سمير نجيب اللبدي " دكتور " : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٥٧- محمد علي الصابوني : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، مكتبة الغزالي ، دمشق _ سورية ، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٥٨- محمد محمد حسن شُرّاب : معجم الشواذ النحوية والفوائد اللغوية ، دار المأمون للتراث ،الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
٥٩- محي الدين درويش : إعراب القرآن الكريم وبيانه ، دار اليمامة ، دار ابن كثير (دمشق _ بيروت) دار الإرشاد للشئون الجامعية (حمص _ سورية)، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م .
٦٠- المنتجب حسين بن أبي المعز الهمداني ت٦٤٣هـ : الفريد في إعراب القرآن المجيد ، تحقيق دكتور فهمي حسن النمر ، دكتور فؤاد علي مخيمر ، دار الثقافة ، الدوحة _ قطر ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ _ ١٩٩١م .
٦١- موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) : شرح المفصل ، عالم الكتب _ بيروت مكتبة المتنبي _ القاهرة .

٦٢- نصر بن علي بن محمد بن أبي عبد الله الشيرازي المعروف بابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها ، تحقيق ودراسة دكتور عمر حمدان الكبيسي ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

٦٣- ونسخة أخرى قدم لها ووضع هوامشها وفهارسها دكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م

٦٤- يسري السيد محمد : بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية " جمع وتوثيق نصوص وتخريج أحاديث " دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ربيع الثاني١٤١٤هـ_ ١٩٩٣م .

المعاجم اللغوية

١- ابن منظور (ت ٦٣٠- ٧١١ هـ) : نسقه وعلق عليه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢ م

٢- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل _ بيروت بدون تاريخ أو رقم طبعة .

٣- إسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩ م .

٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٠٠ _ ١٧٥ هـ) : معجم كتاب العين ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي . ودكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات الأعجمي للمطبوعات ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٨ م .

٥- أحمد رضا " شيخ ": معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، طبعة ١٣٧٧ هـ _ ١٩٥٨ م .

٦- أبو عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : معجم أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ .

مصطلح المعجمية عند ابن خلدون

٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢- ١٤٠٦م

د /خالد فهمى

كلية الآداب /جامعة المنوفية - مصر

مفتتح :

كان للثورة التى أحدثها كثير من اللسانيين المعاصرين ، ولا سيما بعد ظهور نوعم تشومسكى و إلحاحه على فكرة الملكة اللسانية[١]- أثرها الكبير فى إعادة قراءة ما خلفه عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته الشهيرة فى باب علوم اللسان ، و أعلى كثير من اللسانيين العرب المعاصرين ، على تنوع بلدانهم ، وتنوع انتماءاتهم للنظريات اللغوية المختلفة - من أمر هذا الباب الذى تركه ابن خلدون فى مقدمته ، ويمكن التوقف أمام عدد من الكتابات التى تناولت ذلك الموضوع فى كتابات ابن خلدون والتى تمثل علامات دالة على ما نقوله ونقرره، و هى كما يلى :

- نظرية ابن خلدون فى اللغة لأورينج ، نشر مجلة الفكر بتونس سنة ١٩٥٩م السنة (٤) العدد (٦) ص(٥١-٥٩) [٢]
- ابن خلدون واللغة ، لعلى أمليل ، نشرته الحوليات المغربية لعلم الاجتماع، بالرباط سنة ١٩٦٨م ص(٤٧- ٥٤)[٣]
- تفسير ابن خلدون لجوانب من درس اللغة ، للدكتور محمد عيد ، وقد نشره فى حوليات كلية دار العلوم ، بجامعة القاهرة فى العدد الرابع لسنة ١٩٧٢-١٩٧٣م (ص ٢٧- ٣٨) .
- الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون ، للدكتور محمد عيد ، نشرته مكتبة عالم الكتب سنة ١٩٧٩م بالقاهرة ، وكان أصله مقالة مطولة نشرت من

قبلُ، فى سنة ١٩٧٤م فى مجلة الثقافة فى عددها التاسع بعنـوان الملكـة اللسانية عند ابن خلدون .

- فلسفة اللغة لابن خلدون ، لجاك لانجاد (ضمن أعمال ندوة ابن خلـدون) بكلية الآداب ، الرباط سنة ١٩٧٩م ص (٣٧-٤٦)(٤)
- ابن خلدون وعلوم اللسان لعبد القادر المهيرى (حوليات الجامعة التونسية) بكلية الآداب ، العدد ٢٤ لسنة ١٩٨٥م ص(٧- ٢٣) (٥)
- الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون دراسة ألسنية ، للدكتور ميشال زكريا، نشرته المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، فى بيـروت سـنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م
- علوم اللسان عند ابن خلدون ، للدكتور عبد السلام المسدى ، نشر بمجلـة المورد فى بغداد ، المجلد (١٥) العدد (١) لسنة١٩٨٦ ص(١٩-٣٠)(٦)
- مصطلحا(اللغة) و (اللسان) عند ابن خلدون لعبـد القـادر المهيـرى، حوليات الجامعة التونـسية ، بكليـة الآداب ، العـدد(٢٥) لـسنة ١٩٨٦م ص٢٧-٣٥(٧) ثم عاد ونشره فى كتابه نظرات فى التراث اللغوى العربـى ١٨٠ وما بعدها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الكتب أو البحوث المستقلة التى أفردت لمعالجة بعض من المسائل اللغوية عند ابن خلدون ، ولا سيما المسألة العمدة و (الأساس فى قراءات اللسانيين المعاصرين له وهى مسألة الملكة اللغويـة ، و إنما كثرت الإحالات إلى مقدمته فى كثير جدا من الدراسات اللغوية المعاصـرة لدرجة شكّل بعضها ما يشبه المباحث المصغرة فى بنية هذه الدراسات على مـا يظهر مثالا لها فى دراسة الدكتور السيد الشرقاوى : (الملكة اللغوية فى الفكـر اللغوى العربى) حيث وقف أمام ما ورد فى مقدمة ابن خلـدون عـن الملكـة اللسانية فى إطار الفصل الثانى من كتابه السابق ذكره ، وكـان عنـوان ذلـك

الفصل (مفهوم الملكة فى مصادر فكر العربية التى لم تتقيد بما فــى المعــاجم التراثية) واستغرقت قراءته لمفهوم الملكة عند ابن خلــدون الــصفحات مــن السابعة والأربعين إلى السابعة والخمسين .

ومن الممكن أن ندلل على مكانة إسهامات ابن خلدون للفكــر اللــسانى العربى المعاصر من خلال معيار مهم حاكم هــو معيــار كثافــة الاستــشهاد بنصوص المقدمة اللسانية ، وتوزعها فى كتابات اللسانيين العرب المعاصرين ، فى غير ما مستوى من مستويات الدرس اللغوى.[٨]

وهو ذات المعيار الذى استخدمه الدكتور عبد الحكيم راضى فى تقديمه لطبعة سلسلة الذخائر لكتاب ابن خلدون (التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا) حيث يقول (ص ١٦) " و لا يخلو كتاب هام أو مقال فــى الــشعر أو الأدب عموما أو اللغة من إشارة أو اقتباس من هذه المقدمة " (يقصد مقدمــة ابن خلدون) ، وضرب أمثلة كثيرة تؤيد ما ذهب إليه .[٩]

وسوف يقف هذا البحث عند المسائل التالية ، بيان وجهــة نظــر ابــن خلدون فيها من خلال ما ورد فى مقدمته حولها :

١- الغرض من نشأة المعجم العربى

٢- مناهج التأليف المعجمى العربى و أشهر خصائــصها فــى ضــوء مقولــة المقاصد.

٣- أئمة المعجميين العرب ، ومعاجمهم .

٤- أثر الوضع والاستعمال فى تطوير التأليف المعجمى العربى .

٥- أسبقية المعجم على غيره من العلوم اللسانية .

ملحق : الكلمات المفاتيح للمعجمية عند ابن خلدون = أو مصطلحات المعجمية عند ابن خلدون .

تمهيد : (النظر إلى المعجم فى إطار علم اللغة الذى هو جزء من علوم اللسان)

يمكن تقدير قيمة المعجم فى إطار العلوم اللسانية التي عرفها ابن خلدون من خلال حديثه عما يخدم اللغة ويفيد الملكة ويرقى بها وهو التنبيه إلى الأمثال والشواهد والأشعار ، وهى جميعا من أكثر المصطلحات المعجمية ذيوعا وانتشار ، ظهرت مع بواكير النشاط المعجمى العربى ، ويمكن العودة إلى تقدير أهميتها إلى المحاولة المعجمية المبكرة التى وصلت إلينا فيما عرف (بسؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس) حيث اشترط السائل وهو نافع بن الأزرق على المسئول وهو ابن عباس ، أن يدلل على تعريفاته للكلمات القرآنية الغريبة المسئول عنها ، بما يصدق ذلك التعريف مما ورد من أشعار العرب القدماء، وقد تكررت عبارة نافع (وهل كانت العرب تعرف ذلك من قبل أن ينزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم ؟) عقب كل تفسير من ابن عباس لغريب من الألفاظ القرآنية التى كان يسأله عنها نافع ، وهى إشارة واضحة إلى طلب الشاهد المؤيد لصدق تفسيره للمعنى(١٠)

وهذا الإعلاء لقيمة الشاهد فى ترقية الملكة اللسانية من قبل ابن خلدون يمكن أن يعد من وجهة نظرنا تحديدا لموقع المعجم من دائرة العلوم اللسانية .

وقد جاء فى المقدمة ما يُعلى من قيمة الشواهد اللغوية حيث يقول فى " فصل فى تعليم اللسان المضرى " واللسان فى هذا العنوان مرادف للغة language بمعناه العام : " ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب فى أسماعهم و أشعارهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظور والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير مما فى ضميره

على حسب عباراتهم و تأليف كلماتهم ، و ما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم " ١٢٨٦/٣ وهذ الكلام ليس بعيدا عن وظيفة الشاهد الذى جاء فى إطار بيان وظائفه أنه يوضح الاستعمال العملى الصحيح للكلمة أو العبارة .(١١)

ثم يقرر فى وضوح تام " وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظما ونثرا " ١٢٨٦/٣.

ومن المهم جدا أن نقف أمام عبارته " وعلى قدر المحفوظ " وهو واحد من أهم الأغراض التى نشأ المعجم العربى من أجلها .

وفى هذه النقول إشارة أخرى مهمة جدّا تقترب من المفهوم الشائع فى المعجمية المعاصرة وهو مصطلح المدونة أو الذخيرة اللغوية أو المتن corpus حيث يرى ابن خلدون ضرورة جمع النصوص ، وحفظها ، و الإلحاح على ربط الملكة بقدر المحفوظ يشير إلى أنه لا يقصر مفهوم المدونة على نتاج لغوىٍّ بعينه أو حقبة زمنية بعينها.(١٢)

من هاتين النقطتين الأساسيتين يمكن أن نقرر أن المعجم يمثل قلب النظرية اللغوية ومركز الدوران فى الفكر اللسانى عند ابن خلدون ، وليس معنى ذلك إلغاء مركزية موقع الملكة اللغوية language faculty فى نظر ابن خلدون اللغوى و إنما نعنى – فقط – تعديل زاوية الرؤية ليمثل المعجم موقعه المنسى فى إسهام الرجل ؛ نظرا للارتباط العضوى بين تكوين الملكة وترقيها وبين تحصيل المدونة أو المتن أو نصوص اللغة التى تضبط الاستعمال و تحدد مجالاته .

أضف إلى هذا أن ارتباط تحديد المادة المعجمية بمفهوم السماع عند جمهور اللغويين القدامى أمر يعلى من قيمة إسهام المادة اللغوية التى نظرّ لها ابن خلدون فى مقدمته ، عندما جعل السماع أصلا فاعلا فى تنمية الملكة اللغوية حتى ليمكن القول عنده إن مقتضيات (الملكة معرفة المعجم الذى من مقتضياته

معرفة الذاكرة القديمة للغة على حد تعبير الدكتور عبد القادر الفاسى الفهرى فى كتابه (المعجم العربى : نماذج تحليلية جديدة)[١٤] وقد نص ابن خلدون على قيمة السماع فى تكوين الملكة عندما قال ١٢٦٤/٣ " والسمع أبو الملكات اللسانية" !

وإذا كان الفاسى الفهرى ينعى على المعجميين العرب القدامى أنهم " فضلوا ما فاه به البدو دون الحضر ، وما نطقت به قبائل دون قبائل أخرى ، ثم دخلت المعاجم مع المتأخرين فى فترة صار اللاحق يقلد فيها السابق ، ولم تعد المادة المعتمدة مادة حية يجمعها اللغوى من الناطقين بلسانها ، بل عاد ينقل عن غيره من الأسلاف فى عصر التدوين، ويتجاهل ما جد من ألفاظ المظاهر الحياتية ومصطلحات العلوم التى ابتكرت "[١٥] – فإننا بالإمكان أن نرصد أو يمكن أن نرصد أن ابن خلدون لم يركن إلى ما ركن إليه جمهور اللغويين العرب القدامى ، وفى النص التالى ما يوحى بذلك الذى نقوله ، يقول ابن خلدون " ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة و يروم (أى يطلب) تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم و أشعارهم وكلمات المولدين أيضا فى سائر فنونهم " .(١٢٨٦/٣)

وهذه العبارة الأخيرة المضمومة إلى سوابقها والمعطوفة على ما يجب أن يحصله كل طالب لتنمية ملكته ولسانه ، يمكن أن تنضم إلى جهود اللسانيين المعاصرين الذى ينتقدون توقف المعجم العربى العام عند حدود القرن الرابع الهجرى و لا يتعداه إلى غيره .

١- الغرض من نشأة المعجم العربى عند ابن خلدون :

١/١

افتتح ابن خلدون حديثه عن علم اللغة فى فصل علوم اللسان العربى مبينا أن الغرض من ظهور المعجم يتمثل فى محاصرة الفساد الذى تأدّى إلى *موضوعات الألفاظ* ، وهذا المصطلح يمكن أن ينصرف إلى أمرين معا هما :

أ- أن يدل تعبير (موضوعات الألفاظ) على دلالتها ومعانيها

ب_أن يدل تعبير (موضوعات الألفاظ) على الدوال والألفاظ من ناحية صحة المبانى .

وهو ما يؤكده الدكتور إبراهيم بن مراد حيث يقول معرفا الوحدات المعجمية

(= الكلمات) باعتبارها مداخل معجمية فى كتابه ***(مقدمة لنظرية المعجم)*** ص ٨ " أما الوحدات المعجمية فمواضعات حسب اصطلاح أبى عبيد الله الخوارزمى الكاتب أو هى ***" موضوعات "*** حسب اصطلاح ابن خلدون "

يقول ابن خلدون : فى " علم اللغة " هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية ، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى فى الحركات المسماة عند أهل النحو والإعراب واستنبطت القوانين **لحفظها** ...ثم ***استمر ذلك الفساد*** بملابسة العجم ومخالطتهم حتى *تأدى الفساد* إلى *موضوعات الألفاظ* ، *فاستعمل كثير من كلام* ***العرب فى غير موضوعه*** عندهم ، ميلا مع هُجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، *فاحتيج إلى حفظ الموضوعات* اللغوية (الوحدات المعجمية أو الألفاظ) بالكتاب ، و التدوين ؛ ***خشية الدروس ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن*** والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان (اللغة) لذلك وأملوا فيه الدواوين (المعاجم) " ١٢٦٨/٢

وفى هذا النص تركيز على غرضين أساسيين يتفرع أحدهما عن الآخر هما عمدة ما فسر به ابن خلدون أسباب ظهور المعاجم العربية وهما :

أ- حفظ الألفاظ ودلالاتها ، خوف الضياع أو أى شكل من أشكال تحريف المعنى أو اللفظ باعتبارهما جناحى الموضوعات اللغوية ، أى الوحدات المعجمية فى اصطلاح ابن خلدون.

ب- محاصرة أى تحريف أو ضياع يقود إلى الخطأ فى فهم الأصلين الكبيرين وهما القرآن الكريم والحديث الشريف.

وهذان الغرضان هما عمدة ما ذكره أساتذة المعجم العربى فى العصر الحديث من بدايات ظهور الدرس المعجمى فى العربية المعاصرة ومن قبلهم جمهور المعجميين العرب على امتداد زمان التأليف المعجمى.

يقول الدكتور حسين نصار فى دراسته الرائدة ***(المعجم العربى نشأته وتطوره)*** ٣١/١

" وكان السبب المباشر الذى أظهر الدراسات اللغوية ارتباطها بالدراسات الدينية واتحادهما فى نشأتهما" .

وقد أفاض الدكتور حسين نصار فى أثر القرآن الكريم فى نشأة المعجم العربى ٣١/١ كما أشار إلى أثر الحديث الشريف كذلك فى نشأة المعجم العربى ٣٢/١ وهو ما لخصه ابن خلدون فى عبارة موجزة مكثفة فى النص السالف ذكره .

وهو ما أشار إليه أوجست فيشر فى مقدمة (المعجم اللغوى التاريخى) (ص ٤) وأحال فى الحاشية السابقة على ابن خلدون فى بيان آثار العناية بالقرآن والحديث التى انسحبت وجرت وراءها عناية آكدة بلسان مضر ؛ لأن القرآن كان متنزلا به والحديث الشريف منقولا بلغته وهما أصل الدين والملة ، فخشى تناسيهما وانغلاق الأفهام بفقدان اللسان إلى أخر قوانينه .

ويقول كذلك ١٢٨٢/٣ " إلا أن العناية بلسان (لغة) مضر من أجل الشريعة ".

لقد كان هذا الغرض الذى نص عليه ابن خلدون و رأى فيه تفسيرًا لنشأة المعجم العربى واحدًا من متواتر مسائل العلم فى بحوث المعجمية العربية قديما وحديثا .(١٦)

٢/١

وليس معنى النص الذى أوردناه من المقدمة فى بيان هدف نشأة المعجم العربى حصر الغرض من نشأته فى هذا الذى نص عليه من مقاومة الفساد الذى تأدى إلى الألفاظ دوال ومدلولات فقط و إنما بالإمكان أن نقرر أن ثمة أغراضا أخرى سعى المعجم العربى إلى تحقيقها بجوار الغرض الأم الذى سبقت الإشارة إليه .

ففى حديث ابن خلدون عن مناهج المعاجم العربية الأساسية لمس كثيرًا من الأغراض التى قامت بعبء تحقيقها من مثل :

١- الحصر الإحصائى كما فى العين أو على حد تعبير ابن خلدون فى المقدمة ١٢٦٨/٣ " حصر مركبات حروف المعجم " مما يساوى فى التعبير المعاصر ، بحصر التقاليب .

٢- بيان ما تجوزت به العرب من الألفاظ ، وما تجوزت به من المدولولات فى أساس البلاغة وهو ما يمكن أن يسمى بغرض العناية بالمعانى المجازية .

٣- العناية بفروق الوضع والاستعمال فيما قامت بعبئه معاجم فروق الاستعمال كما فى فقه اللغة للثعالبى

٤- حصر المشترك اللفظى

٥- تيسير التعليم على الطلاب ، كما تبدى فى المختصرات المعجمية

فهذه أنواع من المعاجم توخت بجانب الغرض الأكبر تحقيق أغـراض أخرى .

٣/١

ويتعلق بحديث ابن خلدون عن أغراض تدوين الموضوعات اللغويـة أو الوحدات المعجمية تصوره لمفهوم المعجم ، حيث يرد في نصوص المقدمة ما يشير إلى أن علم اللغة مرادف في الاستخدام عنده للمعجم ؛ مما يجعل مفهـوم المعجم عنده متسعا جدًّا .

وهو ما أكده الدكتور على عبد الواحد وافى فى الفهرس التحليلي لأبواب المقدمة حيث يقرر ١٤٤٨/٣ أن " علم اللغة : يقصد به متن اللغة ***ومعجماتها*** ، موضوع هذا العلم : المعجمات التى تبين معانى الألفاظ " .

وعلى الرغم من النص على المعجم المدوّن ، أو المعجم المكتوب فإن ثمة إشارة يمكن أن تحمل على اتساع مفهوم المعجم ليشمل كذلك مـا يـسمى فـى المعجمية الحديثة بالمعجم الذهنى Mental lexicon والذى يدعونا إلى هـذا الافتراض مجموع أمور منها :

أ- دوران النظرية اللسانية عند ابن خلدون على محور الملكة اللسانية ، وهـى تظل مسألة باطنية مهما تعددت تعريفاتها أو تصوراتها " و إذا كان موضوع البحث فى المعجم هو الملكة المعجمية (Lexical competence) المتكلم لغة بعينها فإن المقصود بالمعجم هنا هو المعجم الذهنى الذى نفترض أنـه يدخل ضمن تحديد قدرة المتكلم اللغوية أو ملكته " (١٧)

وابن خلدون فى مسألة تنمية الملكة اللسانية حريص حرصا بالغا علـى التفرقة بين الوضع والاستعمال من جانب ، كما أنه حريص جدًّا فـى مـسألة قياس تحصيل المعانى على ما هو مستقر فى الذهن يقول فى تعمـيم مهـم إن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها فى تحصيل العلوم عـن أهـل

اللسان العربى ، والسر فى ذلك أن مباحث العلوم كلها إنما هى فى ***المعانى الذهنية والخيالية*** : من بين العلوم الشرعية التى هى ***أكثر مباحثها فى الألفاظ***، وموادها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ***ولغاتها*** المؤدية لها ***وهى كلها فى الخيال*** ، وبين العلوم العقلية ***وهى فى الذهن*** " ٣/١٢٦٠

وإذا كان مفهوم المعجم الذهنى ربيب اللسانيات النفسية فإن ورود الإشارة إلى تحصيل المعانى فى سياق الحديث عن القدرات الباطنية من جانب ، وفى سياق ما يمكن أن يسمى بالتنظير للتعلم من جانب آخر عند ابن خلدون – يؤكد أن ما ذهبنا إليه من إمكان حمل مفهوم المعجم ليشمل المعجم الذهنى يبدو أمرا مقبولا ومستساغا إلى حد كبير .

وهذه المسألة شديدة الصلة بما يسمى بالمعرفة المعجمية التى تتطلب فوق ما سمى بالباطنى أو الذهنى – معرفة وخبرة وتجربة مستمدة من الواقع الخارجى ، ولذلك نرى ابن خلدون يفرق بين اللفظ فى أصل الوضع واللفظ بعد خبرات الاستعمال وتجاربه ، مما أدى إلى إمكان تخطئة لفظ ما ؛ لأن الاستعمال لا تشهد له النصوص وفكرة الاستعمال هذه ، واحدة من معلومات المعرفة المعجمية[١٨] ، يقول ابن خلدون ١٢٦٩/٣" فليس معرفة الوضع الأول بكاف فى التركيب حتى يشهد له استعمال العرب " وهو ما يمكن أن نسميه أو نعبر عنه بقولنا حتى تحصل له خبرة وتجربة .

ب- الربط بين عملية التحصيل للمعانى والعلوم وبين ما سماه بديهيا وجبليا ، وهى فى النهاية قدرات كامنة فى الذهن ، والقدماء يرون فى البديهى دلالة قريبة من دلالة الفطرى ، بل إن المعجم الاصطلاحى العربى يمكن أن يستفاد منه التسوية بين الفطرى والجبلى .[١٩]

وهذا المعنى يمكن حمله على ما يسمى بالفطرية innateness كواحدة من محددات ملامح الملكة اللغوية فى المنظور التشومسكى .

ولعل مصطلح الجبلى كما سيظهر فى نص ابن خلدون أظهر من غيره فى الدلالة على مفهوم النظرية شديد الصلة بالمحددات الباطنية والذهنية المركوزة فى نفس المتكلم أو المحصل لمعانى الألفاظ .

يقول ابن خلدون ١٢٦٠/٣ " والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضمائر ، وروابط وختام على المعانى ، و لابد فى اقتناص تلك المعانى من ألفاظها من معرفة دلالاتها اللغوية عليها ، وجودة الملكة للناظر فيها، وإلا *فيعتاص* (يصعب) عليه اقتناصها ، زيادة على ما يكون فى مباحثها *الذهنية* من الاعتياص (الصعوبة) . وإذا كانت ملكته فى تلك الدلالات راسخة بحيث تتبادر المعانى إلى ذهنه من تلك الألفاظ عند استعمالها شأن البديهى والجبلى زال ذلك الحجاب بالجملة ، بين المعانى " الفهم ".

وتأمل الدوران حول تعبير تبادر المعانى ، وتشبيه ذلك بما هو من شأن البديهى والجبلى يقترب بنا من بعض محددات ما يدور فى اللسانيات النفسية من أمر الحديث عن الفطرية والمعجم الذهنى .

غيرأن ذلك ليس معناه إغفال التصور المألوف للمعجم المدوّن المكتوب الذى يتطلب خبرة ، وتجربة ، وهى عين ما عبر عنه مقدمة ابن خلدون بالمران، والارتياض ، والمخالطة ، والتكرار .[٢٠]

٢-٣ *مناهج التأليف المعجمى العربى :*

تناول ابن خلدون فى الفصل الذى عقده للحديث عن المعجم أو عن متن اللغة عددًا من المعاجم العربية ، ركز فيها على ما يلى :

أ -عنواناتها

ب- مؤلفيها

ج- الغرض الذى توخت الوفاء به

د- منهجها وخصائصها

هـ- تثمينها وتقدير ميزاتها

و- نقدها وتطور التأليف مع تقدم الزمن

(٢-٣/أ-ب) *عناوين المعاجم ومؤلفوها* :

اكتفى ابن خلدون في مقدمته بالحديث عما سماه (أصول كتب اللغة) أو ما يمكن أن نسميه (أمهات المعاجم) وهي جميعا مندرجة تحت قسم المعاجم العامة ، وليس معنى ذلك أنه لم يعرف اللغة الاصطلاحية ، ولا أدرك دوافع ظهورها ، ولكنه – فيما يبدو – ألحق معجمات المصطلحات بالعلوم التي تعرف ألفاظها فهو يتحدث مثلا في نشأة علم النحو فيقرر مثلا في تعريف مصطلح الإعراب ١٢٢٦/٣ " ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات ، *فاصطلحوا* على تسميته : إعرابا ، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا . وأمثال ذلك :

وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب (أي بالتدوين)"

والمعاجم التي عدها أصولا هي – ويرجى الالتفات إلى تسميتها بالأصول – من تقدير يرتقي بقيمتها :

أ- العين ، للخليل بن أحمد (١٧٥هـ) وقد قال عنه : " سابق الحلبة " ١٢٦٨/٣ .

ب- (مختصر العين) ، لأبي بكر الزُّبيدي (٣٧٩هـ) ولم يذكر اسم المعجم، وإنما وصف عمله فيه فقال ١٢٧٠/٣" اختصره ... ولخصه ".

جـ- الصحاح ، للجوهري (ت ٣٩٣هـ)

د- المحكم ؛ لابن سيدة (٤٥٨هـ)

هـ- (مختصر المحكم) ، لمحمد بن أبي الحسين[٢١] ، صاحب المستنصر

و- المنجد ، لكراع النمل (٣١٠هـ)

ف- الجمهرة ، لابن دريد (٣٢١هـ)

ح- الزاهر ، لابن الأنبارى (٣٢٨هـ)

ط- أساس البلاغة ، للزمخشرى (٥٣٨هـ)

ى- فقه اللغة للثعالبى (٤٢٩هـ)

ك- الألفاظ لابن السكيت (٢٤٤هـ)

ل- الفصيح ، لثعلب (٢٩١هـ)

ملاحظات عامة :

يتضح من اختيار ابن خلدون لأصول المعجم العربية مجموعة من الملاحظات يمكن أن تتخذ مدخلا لقراءة وجهة نظره فى كثير من مشكلات البحث المعجمى : تاريخا ، وتصنيفا ، ونقدًا كما يلى :

١- كان لسبق الخليل بن أحمد أثره فى كتابه هذا المبحث المتعلق بالمعجم العربى ، حيث ابتدأ به ابن خلدون ، باعتباره المعجم الأول فى تاريخ المعجم العربى ، و لايصح أن يفهم من ذلك أن ثمة إهدار لجهود سابقة على العين ، فذلك ما لم يقله ابن خلدون ، ولا يصح التقول به عليه . كل ما هنالك أنه و إن كانت ثمة جهود سابقة على العين ؛ فإنها لا يمكن أن تعد معاجم ، ولكن بالإمكان تصنيفها فى إطار فكرة القوائم اللفظية words` lists أو محاولات معجمية ناقصة .

٢- لم يقف ابن خلدون عند التاريخ معتبرا إياه فاصلا فى التأريخ لما عده أصولا معجمية ،

وإنما يبدو من خلال ما وصل إلينا فى المقدمة أنه احترم مبدأ التصنيف المعجمى ، أو فكرة المدارس المعجمية ، فبدأ بالمدرسة الأم (مدرسة العين) ثم فرّع عليها ما تعلق بها من مختصرات أو من معاجم تأثرت بالعين .

كما يبدو أنه لم يهمل التدرج من العام إلى ما دونه فى العموم بمعنى أنــه ابتدأ بالمعاجم التى توخت حصر اللغة ثم تخطاها إلى المعاجم التى توفرت على العناية بالمشترك اللفظى (كما فى المنجد لكراع) ثم توصــل إلــى المعاجم التى اعتنت بالمعنى المجازى .ثم تحدث عن المعاجم التى تفرغت للعناية ببيان فروق الاستعمال .

وفى هذا العرض تداخل مرة أخر بين فكرة التـصنيف المعجمــى ومبــدأ التأريخ المعجمى

٣- وضح من خلال ما كتبه ابن خلدون وعيه بقيمة النقد المعجمــى باعتبــاره فرعا مهما من فروع البحث المعجمى ، حيث انتقــد عــددًا مــن منــاهج المعجميين العرب ، يظهر ذلك من خلال بيانه لما استحدثه اللاحقون على السابقين .

٤- ظهر كذلك تأثير العنصر المكانى الذى أسهم فى بناء نظريته فى العمران ، فحرص فى كثير من الأحيان على النص على بيئة صاحب المعجم الــذى يتحدث عنه فقال ١٢٦٨/٣ " الخليل بن أحمد ***الفراهيــدى*** "و ١٢٧٠/٣" والزبيدى ... ***بالأندلس*** " و " الجوهرى من ***المشارقة*** " و"ابن ســيدة مــن أهل ***دانية بالأندلس*** " و " محمد أبى الحسين ... ***بتونس*** "

(٢-٣/ج) الغرض الذى توخت أصول المعاجم الوفاء به :

عَرض ابن خلدون فى لغة موجزة للأهداف التى تــوخى أصــحاب المعاجم العربية التى عدّها أصولا الوفاء بها ، وقد سبق أن ظهــر أنـــه بــيّن الغرض العام المفسر لظهور المعجم العربى وقد تلخصت الأغراض فيما يلى :

١- غرضُ الحصر للألفاظ ، وحققه معجم العين يقول ابن خلــدون ١٢٦٨/٣ " ألف فيها (أى المعاجم) كتاب العين ، ***فحصر*** فيه مركبات حروف المعجم

كلها "

ويقول ١٢٦٨/٣ " وتأتى له حصر ذلك بوجوه عددية حاصرة "

وتفرع عن غرض الحصر غرض آخر أخذ بعناقه هو غرض بيان المهمل من المستعمل يقول ابن خلدون ١٢٦٩/٣ " ثم بين المهمل من المستعمل "

وقد قرر أن عددًا ممن خلفوا الخليل اقتدوا بـه يقـول عـن الـصحاح للجوهرى بعد أن بيّن فارق ما بينه وبين الخليـل فـى المـنهج ١٢٧٠/٣ *وحصر اللغة* اقتداءً **بحصر** الخليل"

٢- العناية بالمعنى المجازى ، وحققه معجم (أساس البلاغة) يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣

" بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ ، وما تجـوزت بـه مـن المدلولات ".

٣- بيان المشترك اللفظى ، ولم يمثل عليه فى حين تحدثه عنه ، و إن سبق ذكر معجم المنجد لكراع النمل .

٤- التيسير على المستعملين من الطلاب فى باب حفظ اللغة على وجه التحديد ، و لا يصح فهم التيسير على إطلاقه ، يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣ " و أمـا المختصرات الموجودة فى هذا الفن ، المخصوصة بالمتـداول مـن اللغـة الكثير الاستعمال ؛ تسهيلا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل : الألفاظ لابـن السكيت ، والفصيح لثعلب وغيرهما " كما اتضح غرض التيسير فى حديثه عن منهج معجم الصحاح حيث قال ١٢٧٠/٣ " وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير ، لاضطرار الناس إلى أواخر الكلم "

٥- بيان فارق ما بين الوضع والاستعمال ، ومثل على ما حققه بمعجم فقه اللغة للثعالبى ، يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣ إنه " لما كانت العرب تـضع الـشئ على العموم ثم تستعمل فى الأمور الخاصة ألفاظا أخرى ، فرّق ذلك عندنا

بين الوضع والاستعمال ، واحتاج إلى فقه فى اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ، ومن الإنسان بالأزهر ومن الغنم بالأملح ، حتى صار استعمال الأبيض فى هذه كلها لحنا وخروجا عن لسان العرب ، واختص بالتأليف فى هذا المنحى[٢٢]: الثعالبى ، وأفرده فى كتاب له سماه : فقه اللغة " .

(٢-٣/د-هـ) مناهج المعجم العربى عند ابن خلدون وبيان أصالتها وتقدير ذلك :

تعرض ابن خلدون فى سياق حديثه عن علم اللغة باعتباره مرادفا لمعاجم اللغة لكثير من المناهج التى اختطها أصحاب المعاجم التى عدّها أصولا فى باب المعجم ، وتلخصت المناهج المعجمية التى عرض لها فيما يلى :

١- منهج الترتيب وفق المخارج ، وقد نص على ذلك فى بيانه لمنهج معجم العين حيث قال فى المقدمة ١٢٦٩/٣ " ورتب أبوابه ... واعتمد فيه ترتيب المخارج ، فبدأ بحروف الحلق ، ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة ، وجعل حروف العلة أخرا وهى الحروف الهوائية . وبدأ من حروف الحلق بالعين ؛ لأنه الأقصى منها "

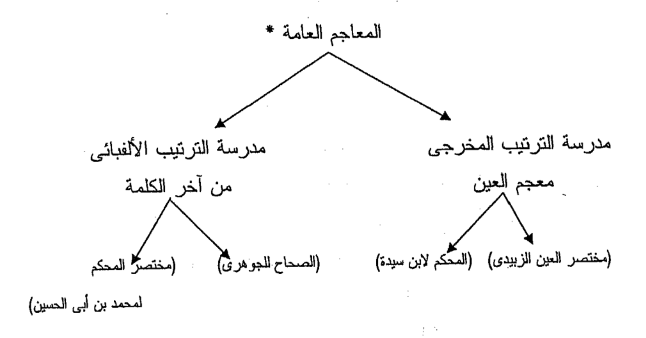
على أن مسألة الترتيب المخرجى لم تكن العنصر المائز الوحيد فى منهج العين و إنما تآزر معه عنصران آخران هما :

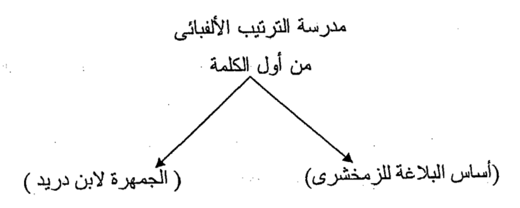
- استخدام نظام المقلوبات أو التقاليب
- اعتبار عدد أحرف الكلمات ، فيما سمى باعتبار الأبنية

٢- منهج الترتيب الألفبائى من آخر الكلمة وطبقه معجم الصحاح يقول ابن خلدون ١٢٧٠/٣ " و ألف الجوهرى من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة ، وجعل

الترجمة بالحروف على الحرف الأخير ... فيجعل ذلك بابا ثم يأتى بالحروف أول الكلمة على ترتيب حروف المعجم أيضا ، ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها " .

وعلى الرغم من ذكره لعدد كبير من المعاجم فإنه لم يتكلم عن مناهجها . ويمكن إظهار هذه المناهج فى المخطط التالى :





وليس معنى الحديث – على ما يظهر من المخطط السابق – عن منهجى الترتيب المخرجى والترتيب الألفبائى من آخر الكلمة – أنه حصر المناهج المعجمية ، فيهما ، لكنه – فيما يبدو رأى فيهما – متابعا لفكرة الانتقاء – أصول المناهج وذلك واضح من خلال متابعته لامتداد التأليف فيهما ، فمعجم العين ومعجم الصحاح هما المعجمان الوحيدان اللذان نص على التأثر بهما حيث ذكر أن الزبيدى فى مختصره للعين وابن سيدة فى محكمه اقتديا بمنهج العين .

ونص على أن محمد بن أبى الحسين الأندلسى اقتدى بالصحاح فى مختصره للمحكم .لكن تأمل قائمة المعاجم تدل على اعتبار المناهج التالية:

- المنهج الألفبائى من أول الكلمة (أساس البلاغة للزمخشرى)
- المنهج الألفبائى من أول الكلمة مع اعتبار منهج الأبنية والتقاليب (الجمهرة لابن دريد)
- المنهج الموضوعى (فقه اللغة للثعالبى / الألفاظ لابن السكيت / المنجد لكراع النمل)
- معاجم الأبنية (الفصيح لثعلب)
- معاجم التعابير الاصطلاحية (الزاهر لأبى بكر بن الأنبارى)

وقد أظهر ابن خلدون وعيا تاما بواحد من أخطر ما يشغل البحث المعجمى وهو مبحث التصنيف من خلال ما مرّ بنا .

كما ظهر من خلال كثير من العبارات تقديره وتثمينه لعدد من المناهج المعجمية وقد تداخلت معايير التقدير والتثمين ، و إن انصب غالبها فى المعايير الثلاثة التالية :

- السبق الزمنى
- الأصالة ومدى الوفاء بالغرض الذى ألف المعجم من أجله
- استدراك اللاحق على السابق

يقول ابن خلدون فى تثمين صنيع الخليل ١٢٦٨/٣ " وكان سابق الحلبة فى ذلك (أى فى تأليف المعاجم) الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ألف كتاب العين".

وفى هذا النص اعتبار لمعيار السبق الزمنى .

ثم يقول ١٢٦٨/٣ " فحصر فيه مركبات حروف المعجم " ثم يقول ١٢٦٩/٣ –١٢٧٠ " ثم ضمن ذلك كله كتاب العين واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه ".

ثم يقدر صنيع الزبيدى فى المختصر فيقول ١٢٧٠/٣" فاختصره (أى العين) مع المحافظة على الاستيعاب ، وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل ولخصه للحفظ أحسن تلخيص "

فبين قيمة المختصر من خلال معايير عملية تراعى الوظيفة المنوط به تحقيقها وهى (تلخيصه للحفظ) وقد تم ذلك التلخيص عن طريق مجموعة من الإجراءات هى

- الاختصار
- حذف المهمل
- حذف كثير من الشواهد التى على المستعمل .

كما بين ميزات الصحاح و أوجزها فى ميزتين هما :

- رعاية المستعملين الذين يضطرون إلى التعامل مع الكلمات من أواخرها
- وحصر اللغة يقول ابن خلدون ١٢٧٠/٣ " و ألف الجوهرى من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف عليه لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة ، وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة ؛ ***لاضطرار الناس فى الأكثر إلى أواخر الكلمة ... وحصر اللغة*** اقتداء بالخليل " .

ثم تكلم عن ميزات المحكم لابن سيدة فقرر أنه تميز بالاستيعاب ، وبالعناية بالاشتقاقات ، وتصاريف الكلمات ، ويقول ابن خلدون ١٢٧٠/٣ " ثم ألف من الأندلسيين ابن سيدة من أهل دانية ... كتاب المحكم على ذلك المنحى من ***الاستيعاب ... وزاد فيه التعرض لا شتقاقات الكلم وتصاريفها*** ، فجاء من أحسن الدواوين "

ثم تحدث عن ما تميز به أساس البلاغة ، للزمخشرى من العناية بالدلالات المجازية للألفاظ ، يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣ " ومن الكتب الموضوعة أيضا فى اللغة (يقصد ومن معاجم اللغة) كتاب الزمخشرى فى المجاز ، وسماه أساس البلاغة ، بيّن فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ ، وما تجوزت به من المدلولات ، وهو كتاب شريف الإفادة "

ثم تحدث عن ما تميز به فقه اللغة للثعالبى حيث قرر أنه اختص بتأليف فى المعاجم التى تفرق بين الوضع و الاستعمال ، يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣ "واختص بتأليف فى هذا المنحى (٢٢) الثعالبى ، وأفرده بكتاب له سماه فقه اللغة وهو ***من آكد ما يأخذ به اللغوى نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه*** "

(٢-٣/هـ) النقد المعجمى وما نشأ عنه من تطور التأليف فى المعجم:

تبين من خلال ابن خلدون عن ميزات المعاجم العربية التى عدها أصولا حرصه على إظهار فكرة التطور الذى مارسه المعجميون اللاحقون مع المعجميين السابقين .

صحيح أن ابن خلدون لم يعرض بالنقد المباشر لأى من المعاجم التى تحدث عنها وعن مناهجها لكنه حرص على ما زاده كثير من المعجميين

المتأخرين فى الزمن عن الجيل الأول ، وهو ما يوحى بفكرة النقد غير المباشر، بمفهوم المخالفة .

وعلى الرغم من الحفاوة التى تتبدى من خلال حديث ابن خلدون عن معجم العين ، ومن خلال المساحة التى شغلها الحديث عن منهجه ، فإن عرضه لما استحدثه أصحاب المعاجم الخالفة بعد الخليل يشير إلى اهتمام ابن خلدون بفكرة التطور الذى أصاب التأليف المعجمى .

وقد تنوعت عناصر هذا التطور بعد العين لتسير فى ثلاثة اتجاهات هى :

١- اتجاه الاستدراك والتلخيص

٢- اتجاه تغيير المنهج والترتيب

٣- اتجاه تغيير الوظيفة والغرض

وقد مثل الاتجاه الأول معجم مختصر العين ، لأبى بكر الزبيدى الأندلسى الذى تمثلت انتقاداته للخليل فى النقاط التالية ، وهى النقاط التى سعى لتحقيقها فى مختصره :

- اختصار العين
- وحذف المهمل

وقد مثل الاتجاه الثانى معجم الصحاح للجوهرى الذى اختط لنفسه منهج ترتيب جديد مخالف لما خطه الخليل بن أحمد فى العين على الرغم من حرص الصحاح على تحقيق الغرض الذى سعى إلى تحقيقه الخليل وهو غرض حصر اللغة . وقد كان لجوءه إلى اعتبار الحرف الأخير بابا بسبب من رعاية منظور المستعمل ، يقول ابن خلدون فى بيان اللجوء إلى ترتيب الكلمات بحسب أواخرها أنه لاضطرار الناس إلى أواخر الكلم فى الأكثر .

ومثل الاتجاه الثالث معجم فقه اللغة للثعالبى الذى عُنى ببيان فارق ما بين الوضع العام والاستعمال .

إن تأمل هذا الالتفات من قبل ابن خلدون إلى ما استحدثه المعجميون العرب الذين خلفوا الخليل وخالفوا نهجه يفضى إلى إمكان القول بأن متابعة هذا الجديد يحمل فى طياته بذرة انتقاد لما سبق من مناهج ومعاجم .

٤/ أثر الوضع والاستعمال فى تطوير التأليف المعجمى عند العرب :

التفت ابن خلدون إلى فكرتين لهما ظهورهما فى علم الدلالة وعلم المعجم فى العصر الحديث كان لهما أثرهما فى تطوير التأليف المعجمى العربى .

ويمكن إجمال هاتين الفكرتين فيما يلى:

أ- فكرة العناية بالمعنى المجازى

ب- فكرة العناية بالتفرقة فى توظيف الكلمات بين ما وضع وضعا عاما وبين ما يفرض استعمال ما استخدمه منها .

إن متابعة المعجم العربى منذ ظهوره لا يعدم رؤية التعريف بمعنى مجازى غير حقيقى هنا أو هناك على اعتبار أن المعنى المجازى واحد من أشكال المعنى المفترض توافرها فى المعاجم بإزاء شرح الألفاظ وتعريفاتها .

لكن الجديد الذى انتبه إليه البحث المعجمى فى فرع التأريخ هو أن الزمخشرى أفرد معجمه للعناية والنص على المعنى المجازى ، حيث تكررت عبارة :" ومن المجاز " فى كل مادة تقريبا ، - يقول ابن خلدون ٣/١٢٧١ "ومن الكتب الموضوعة أيضا فى اللغة كتاب الزمخشرى ***فى المجاز*** ، وسماه أساس البلاغة ، بيّن فيه كل ما ***تجوزت*** به العرب من الألفاظ ، وما***تجوزت*** به من المدلولات . وهو كتاب شريف الإفادة "

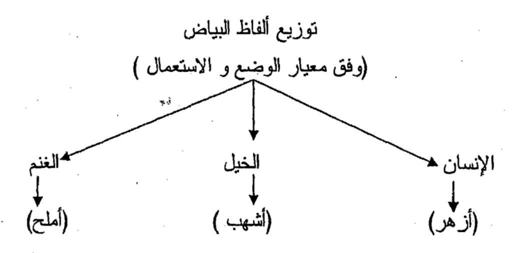
ونستطع أن نلمح فى تعريف ابن خلدون بمعجم الزمخشرى بأنه : فى المجاز ، ما يؤكد هذه الفكرة التى حكمت بناء ذلك المعجم .

وجعل المعانى المجازية تالية للمعانى الحقيقية فى عمل الزمخشرى فى مجمل مواد الكتاب متماشٍ مع مقولات علم الدلالة الحديث(٢٣) ولا سيما فى القول بأسبقية المعانى الحسية للمعانى المعنوية .

وقد وجد هذا المعجم عناية من ابن حجر العسقلانى الذى ثمّن هذا الملمح الجديد فى عمل الزمخشرى ، فأفرد معجما خاصا للعناية بالمعنى المجازى الوارد فى أساس البلاغة فى معجم سماه : ***غراس الأساس*** الذى تقول مقدمته فى بيان ما تميز به الأساس ص ٥ : " وصدر ما وضع بإزاء الحقيقة ، ***وتلى بما استعمل بطريق المجاز*** ، وفصل كلا منهما بأوضح امتياز ... فرأيت أن المهم منه ***ما تميز عن الكتب*** المصنفة فى اللغة (يقصد المعاجم) تبين الحقيقة من المجاز ".

ثم يقول إن صنيعه فى التعامل على الأساس اقتصر على التقاط ما جزم الزمخشرى بأنه المجاز ، يقول ص ٦ : " فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع على سبيل المجاز " .

ومثلما توقف ابن خلدون عند جديد الزمخشرى ، فى معجم أساس البلاغة – وقدّره وأعلى من شأنه ، توقف كذلك أمام صنيع الثعالبى فى فقه اللغة و أمثاله من الذين صنعوا معاجم كان همها التفرقة بين الوضع والاستعمال ، مما يمكن أن يعد اهتماما مبكرا بآثار السياق فى توزيع المفردات ، بحيث يكون استعمال الأبيض مثلا فى وصف الإنسان والخيل والغنم لحنا وخروجا عن لسان العرب ؛ إذ الاستعمال والسياق يقتضيان التوزيع التالى :



وقد وجد هذا الاتجاه عناية عدد كبير من المعجميين سميت معاجم بأسماء متنوعة من مثل معاجم الموضوعات أو المعاجم المعنوية أو معاجم المعانى ونحوا من ذلك .

٥/ أسبقية المعجم على غيره من علوم اللسان :

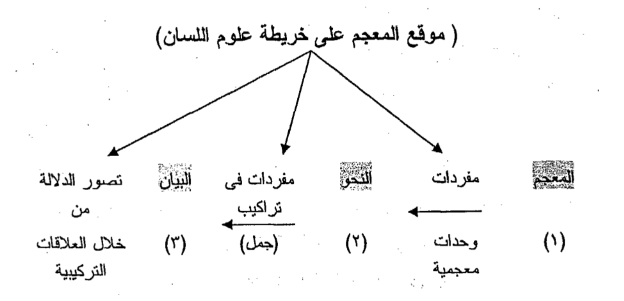
هناك حديث عن سبق المعجم لعلوم اللسان ، وهذا الحديث عن موقع المعجم فى النظام اللغوى ربما يفسر هذا العناية الكبيرة التى أولاها ابن خلدون للحديث عن معجمات اللغة فى مقدمته فى فصل (علوم اللسان) حيث شغل الحديث المعجم أعلى حيز مكانى بحساب عدد السطور التى بلغ عددها اثنين وثمانين سطرا ، وهو الأمر الذى لم يرق إليه علم أخر من علوم اللسان .

وهذا الأمر لم يكن قائما من جانبنا على مجرد قراءة لأبعاد الحيز المكانى الذى شغله حديث المعجم فى مقدمة ابن خلدون ، بل صرح به ابن خلدون تصريحا واضحا يقول فى المقدمة ١٢٧١/٣ عن علم البيان إن" هذا العلم حادث ***فى الملة بعد*** علم العربية واللغة ، وهو من العلوم اللسانية ، لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعانى ".

معنى ذلك أن علم البيان تال لعلم العربية الذى هو عمل النحو فى الاصطلاح القديم ، ولماكان علم النحو قائما على تركيب المفردات ، كان

بالضرورة تاليا للمعجم ، فيصبح وفق الاستدلال الأرسطى أقدم علوم اللسان فى حديث الموقع الذى ينبغى أن يشغل علم ما متقدما على غيره. وهذه النظرة الخلدونية متوافقة مع ما تقرره نظرية المعجم الحديثة ، وهو ما يقرر مثلا الدكتور إبراهيم بن مراد فى كتابه : مقدمة لنظرية المعجم فى سياق حديثه فى الفصل (المعجم والمعرفة) حيث يقرر سبق المعجم للنحو حيث يقول إن ثمة مسألة مهمة ينبغى الفصل فيها و " هى مسألة موقع المعجم بالنسبة إلى النحو فى النظام اللغوى ، هل يسبق المعجم النحو ويتقدم عليه ؟ وهل تتقدم الوحدة المعجمية ، أى المفردة على الوحدة النحوية ، أى الجملة ؟ " ثم يقرر بعد بيان ما يُميز كل مستوى منهما إلى القول بأنه لما كان قوام الجملة هو المفردات فإنه من المنطقى القول بسبق المعجم للنحو ، إذ " إن المفردات المكونة للجمل لا يمكن لها أن تصبح ذرات تركيبية ذات محلات ووظائف نحوية إلا بعد أن تظهر فى المعجم ، ويتمثل المتكلم كياناتها المعقدة "[٢٣]

من هنا فإن ما قرره ابن خلدون فى مفتتح حديثه عن علم البيان والذى يلخصه الرسم التالى يتفق تماما مع ما تقرره المعجمية الحديثة .



٥/ معجم مصطلحات المعجم عند ابن خلدون :

فى هذا الجزء من البحث مقاربة تهدف إلى الوقوف أمام مصطلحات المعجمية التى استخدمها ابن خلدون فى مقدمته ، وهذا العمل محاولة مبدئية حاول أن تبرز أقوى ما يمكن أن يكون إسهاماً من الفكر الإسلامى فى بناء مصطلحات المعجمية بعيدا عن المؤلفات النظرية المعجمية نفسها عند اللغويين والمعجميين العرب .

وهى وإن كانت محاولة جديدة فإنها مسبوقة بما حاوله شفيق جبرى سابقا عندما حاول أن يقف أمام مصطلحات مفهوم التطور فى المقدمة باعتباره كان مشغلة العلم فى هذا التوقيت الذى ظهر فيه قبل انهيار نظرية الطور ، حيث كتب فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مقالته (مصطلحات ابن خدلون) فى العدد السادس والعشرين لسنة ١٩٥٩ م ص ٣٧٠-٣٧٦ ، يقول شفيق جبرى ص ٣٧١ " أحاول فى مقالى هذا المختصر أن أصل إلى النتيجة الآتية : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغريبة والحكم القريبة أم سبقه إليها السابقون ؟" وما يهمنا هنا هو سبق الانشغال بقضية صناعة المصطلحات فى مقدمة ابن خلدون ، وسوف نرتب ما نلتقطه من مصطلحات على حروف الهجاء وفق الترتيب المشرقى المتعارف عليه ونضع أمامه المصطلح المتداول اليوم ، من غير تجريد أو اعتبار للجذور ، مع محاولة تعريف هذه المصطلحات والإشارة إلى المعانى التى استخدمها ابن خلدون لها.

(أ)

- ***أدلة*** *= (انظر : الشواهد)*
- ***الاستعمال =***

ورد ذكره فى المقدمة فى ١٢٧١/٣ س ٥ فى السياق التالى : " ثم لما كانت العرب تضع الشئ على العموم ثم ***تستعمل*** فى الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها ، فرّق ذلك عندنا بين الوضع ***والاستعمال*** ".

وواضح من استخدام ابن خلدون لهذا المصطلح أنه يرمى إلى ما كان مخالفا للوضع الأصلى فى اللغة ، مما أنشأه إلف استخدام لفظ ما خاصا بسياق معين ، كما مثل فى ضرورة الإخبار عن بياض الإنسان بلفظ " الأزهر" وعن بياض الخيل بلفظ " الأشهب " وأن مخالفة ذلك معدود فى باب اللحن والخطأ الذى مرده إلى تحكيم الاستعمال .

وليس هذا المصطلح متداخلاً مع مصطلح سيأتى فيما بعد وهو مصطلح " المستعمل" الذى وإن كان يشير إلى الأداء أوالمنجز فإن الاستعمال هنا ليس مقابلاً للمهمل كما هو الحال فى المستعمل . وهو أقرب ما يكون إلى مفهوم الاستعمال الخاص .

إننا يمكن أن نقرر أن الاستعمال هنا أقرب ما يكون متداخلاً مع مفهوم المصاحبات اللغوية التى تفرضها سياقها خاصة ، وهنا ربما يسهم التركيب فى قياس خطأ التعامل مع كلمة من غيرها ؛ بحيث إذا تصورنا خيارات التوزيع فى المثال التالى ، وجب علينا اختيار اللفظ (أ) ليكون خبر المبتدأ .

(متبدأ) (الخبر)

(الإنسان .... [أ – أزهر . ب أشهب . ج – أملح د – أبيض]

ويصبح أى أختيار آخر خطأ ولحنا لحاكم فيه هو استعمال العرب الخاص .

[انظر الوضع / وانظر العموم] .

- ***اشتقاقات الكلمة = تصاريف الكلمة***
= مشتقات الكلمة

ورد هذا المصطلح فى مقدمة ابن خلدون فى ١٢٧٠/٣ س ١٢ يقول عن المحكم لابن سيدة : " وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم ، وتصاريفه " . والمقصود بها فيما يبدو بيان صوغ الكلمات وما يتولد من الكلمات وهو أقرب ما يكون إلى معنى التصريف Derivation أو الاشتقاق و السياق عند ابن خلدون يشير إلى أنه يعنى ما يتولد عن جذور ما من المشتقات كما يشير إلى أن الاشتقاقات هى منبع التوليد المعجمى تعبير الدكتور محمد رشاد الحمزاوى فى كتابه (المعجمية ص٢٥٠)

- ***الاعتياص = الغموض*** :

صعوبة تحديد المعنى أو تصوره وفهمه وإدراكه وقد استخدم ابن خلدون فعل هذا المصدر / المصطلح فى سياق يوحى بصعوبة تحديد معنى اللفظ ، مما يمكن أن يكون المقصود من استخدامه هو مفهوم الغموض ، وهو واحد من مشكلات المعنى التى يعنى بها الدرس المعجمى، يقول ابن خلدون ١٢٦٠/٣ س ٢٠ ؛ ٢١ :" ولابد فى اقتناص تلك المعانى من ألفاظها من معرفة دلالتها اللغوية عليها وجودة الملكة للناظر فيها . و إلا ***فيعتاص*** عليه اقتناصها ، زيادة على ما يكون فى مباحثها الذهنية من ***الاعتياص*** " . ويقول ١٢٦٢/٣ " و إذا كان مقصرا فى اللغة العربية ودلالاتها اللفظية والخطية ***اعتاص*** عليه فهم المعانى منها "

والاعتياص فى هذا السياق أقرب إلى معنى صعوبة تحديد المعنى، وهو أمر مرتبط بفهم الدلالة اللغوية الناتج عن ضعف فى الملكة اللغوية، واستعداده الطبيعى لفهم دلالات الألفاظ الذى يغذيه أمر المران والتدرب .

- ***الأعجمى*** = غير العربى :

يستخدم ابن خلدون مرادفا لغير العربى الذى لا يعرف اللسان العربى، و لا يمكنه التفاعل به أو فهمه . وقد استخدمه ابن خلدون فى سياقات مختلفة من مقدمته ، يغلب عليها جميعا بيان تأثير سبق العجمة سلبيا على تحصيل المعارف والعلوم يقول١٢٦٣/٣" ***والأعجمى*** المتعلم للعلم فى الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذى سبق إليه ... فلهذا لا يكون حجابا ".

ويقول كذلك فى مسألة أثر العجمة فى منع التحصيل ١٢٦٣/٣ " وهذا عام فى جميع أصناف أهل اللسان ***الأعجمى*** ، من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج وسائر من ليس من أهل اللسان العربى " .

والأعجمى عند ابن خلدون مستوى له علاقة بالملكة اللغوية غير مرتبط بالجنس أو الميلاد ، وهو فهم راق ومتقدم من ابن خلدون حيث لا عبرة فى قياس ملكة اللسان على الجنس أو الأرومة و إنما على اللسان يقول ١٢٦٢/٣ " وربما يكون الدأب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الخط يفضيان بصاحبهما إلى تمكن كما نجده فى كثير من علماء الأعاجم؛ إلا أنه فى النادر إذا قرن بنظير من علماء العرب و أهل طبقته منهم كان باع العربى أطول وملكته أقوى لما عند المستعجم من الفنون بالعجمة السابقة التى تؤثر القصور بالضرورة ، و لا يُعترض على ذلك مما تقدم بأمر علماء الإسلام أكثرهم العجم، لأن المراد بالعجم هنالك ***عجم النسب*** ... ***و أما عجمة اللغة فليست*** من ذلك"

ومن هنا صح أن نفـ.رق فى اصطلاح ابن خلدون بين الأعجمى والعجمى.

- ***الألفاظ المشتركة*** = (انظر : المشترك)

(ب)

- *الباب* =

وهو مصطلح يرتبط بتصنيف المداخل المعجمية ، بحيث يمثل مفتاح الوصول إلى الكلمات وهو عام أوسع من الفصل سواء استخدم بسبب من رعاية الحرف أو من رعاية الموضوع وقد ورد عند ابن خلدون ٣/١٢٧٠

(ت)

- ***ترتيب حروف المعجم*** =

وهو واحد من مصطلحات البنية العظمى أو الكبرى للمعجم التى تعنى بالتصميم أو التنظيم الخارجى للمعجم ، وهو خاص بطريقة التعامل مع المداخل وتنظمها .

والمقصود به فى نصوص مقدمة ابن خلدون الترتيب الألفبائى الهجائى المشرقى الذى يسمى أحيانا بالمنهج الأبتثى ، وهو فى بعض الاستخدامات الخلدونية يستخدم بمعنى عام يشمل الترتيب التقليدى من أول الكلمة أو المعكوس من أخرها .

وقد ورد عند ابن خلدون فى مثل قوله : ٣/١٢٧٠ س ٥؛ ٨ (٢٤)

- ***ترتيب الصحاح = ترتيب القافية*** */ الترتيب بحسب أواخر الكلمات*

ويسميه الدكتور محمد رشاد الحمزاوى فى كتابه (المعجمية) ص٢١٢ فقرة ب : الترتيب بأواخر الكلمات /المداخل .

ويرى أن الترتيب حسب أواخر الحروف من المدخل ، غايته تيسير القافية على الشعراء . إن لم يكن يقصد أساسا التركيز على لام الفعل الذى لا يطرأ عليه تغيير ، مقارنة بفائه أو عين وقد ذكره ابن خلدون فى مقدمته ٣/١٢٧٠ " و ألف الجوهرى من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب

المتعارف لحروف المعجم ، فجعل البداءة منها بالهمزة ، ***وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير*** من الكلمة ، لاضطرار الناس فى الأكثر إلى أواخر الكلم ، فيجعل ذلك بابا، يأتى بالحروف أول الكلمة على ترتيب حروف المعجم أيضا ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها " .

- ***ترتيب كتاب العين = الترتيب الصوتى = ترتيب المخارج***

ويقصد به الطريقة التى اتبعها الخليل بن أحمد فى ترتيب المداخل فى معجمه العين مراعيا ترتيب الحروف وفق مخارج النطق بأصواتها من أقصى الحلق ابتداءً إلى الشفتين انتهاءً ثم نظام الأبنية ونظام التقاليب، وقد جاء ذكره فى المقدمة ٣/١٢٦٨؛١٢٦٩؛١٢٧٠ س١١-١٢

- ***الترتيب المتعارف عليه = الترتيب الألفبائى الهجائى المشرقى***

[انظر : ترتيب كتاب العين]

- ***ترتيب المخارج = الترتيب الصوتى المخرجى***

[انظر : ترتيب كتاب العين]

- ***الترجمة = ترتيب الكلمات / تفسير المعانى / عنوان الباب***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح فى المقدمة بأكثر من معنى يمكن إجمالها فيما يلى :

١- ترتيب المداخل المعجمية ، يقول فى المقدمة ٣/١٢٧٠ س٦" وجعل ***الترجمة*** بالحرف على الحرف الأخير من الكلمة ".

٢- تفسير المعانى ينقلها من لغة إلى أخرى والتعبير عنها

يقول فى المقدمة ٣/١٢٦٠ س١٧ " واللغات إنما هى ***ترجمان*** عما فى الضمائر "

ويقول ١٢٦١/٣ س ١٦ " وتشوقوا (يقصد المسلمون الأوائل) إلى علوم الأمم ونقلوها ***بالترجمة*** إلى علومهم ، و أفرغوها فى قالب أنظارهم، و جرّدوها من تلك اللغات الأعجمية إلى لسانهم " .

٣- ***عنوان للباب أو الفصل :***

يقول ابن خلدون ١٢٧٠/٣ س ١٧ " ويترجم عليها بالفصول " وهذه الاستخدامات مألوفة جميعا ، مسبوق إليها بحكم معنى الجذر اللغوى، و إن كان معنى الترتيب أو التصنيف جديدا إلى حد كبير .

- ***التركيب = بنية الكلمة = تقليب الكلمة***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح فى المقدمة ١٢٦٨/٣ س١٤ فى معرض الحديث عن حدود ما يمكن أن يتركب منه اللفظ العربى فى باب شرحه لمنهج العين فى المسألة المتعلقة بالتقاليب يقول :" وهو غاية ما ينتهى إليه التركيب فى اللسان العربى "

كما يمكن أن يفهم منه معنى التقليب .(وانظر : المعجمية للدكتور محمد رشاد الحمزاوى (تقليب) فقرة ٢٤٥ . وانظر كذلك فقرة ٢٢ ص ١٦٥)

ويقول فى ١٢٦٩/٣ س١٦ " فانحصرت له ***التراكيب*** "

(ح)

- ***الحدود اللفظية = بيان معانى الألفاظ = التعريفات***

وقد استخدم ابن خلدون هذا المصطلح فى سياق يوحى بمفهوم بيان معانى الألفاظ أو تعريفها يقول ١٢٧٢/٣ س ١٠ " و لا تتوهمن أن إثبات اللغة فى باب ***الحدود اللفظية*** ؛ لأن الحد راجع إلى المعانى ببيان أن مدلول اللفظ المجهول الخفى ، هو مدلول الواضح المشهور "

يقول الدكتور محمد رشاد الحمزاوى فى المعجمية (ص ٢٨٥ فقرة ١٩٣) إن التعريف " من أهم عناصر النص المعجمى وقد أطلق عليه القدماء ... مصطلحات متعددة منها : الحد "

• ***حصر اللغة** = إحصاء المفردات الممكنة فى اللغة*

وقد استخدم ابن خلدون هذا المصطلح المركب أكثر من مرة فى سياق بيان الغرض من منهج الخليل ومن تابعه وقلده . يقول ١٢٦٨/٣ س ٠ ***فحصر فيه*** " ويقول " وتأتى له ***حصر** ذلك* " وفى *١٢٧٠/٣* س ٩ " وحصر اللغة اقتداء بالخليل "

وقد استخدم الخليل تحقيقا لهذه الغاية نظاما رياضيا تمثل فى التقاليب أو التباديل ، وهو ما استقر فى الخلفية العلمية للمعجم تاريخا ومنهجا أن :" الغاية من هذه المنهجية الرياضية اللغوية (هى) إحصاء قدرة المعجم " .

•***حفظ اللغة** = تدوين / جمع*

جاء فى إطار بيان أسباب ظهور المعجم العربى فى المقدمة أن أهم سبب أوجب العناية بالمعجم هو إرادة حفظ اللغة ، وهو مصطلح عام يشمل حمايتها من الضياع أو حمايتها من الفساد .

يقول ابن خلدون ١٢٦٨/٣ س ٩ " فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة ؛ والتدوين خشية الدروس " .

وبهذا يمكن أن يحمل هذا المصطلح المركب عدة مضامين بحساب تداخل الغايات والوسائل ، فإذا كان حفظ اللغة خشية دروسها غاية وهدفها فإنه يتعانق مع مناهج من مثل : جمع اللغة ، وتدوينها وكتابتها، وضبطها ، ووضع آلية لهذا الجمع مما هو من وسائل حفظ اللغة.

(خ)

- ***الخاص = (انظر : العموم)***
- ***الخط = (انظر : الموضوعات اللغوية)***
- ***الخفى = المجهول = الغريب***

وهذا المصطلح قديم جدا سبق لعلماء أصول الفقه استخدامه حيث نص الأبذى فى بيان كشف الألفاظ التى لابد للفقيه من معرفتها ص٢٨ فقرة ١١٢ و ص ٣٢ فقرة ١٣٣ أنه المعنى الذى لا ينال إلا بالطلب والعناء ، أو هو ما لا يظهر معناه للسامع لأول وهلة .

وقد جاء فى المقدمة فى ١٢٧٢/٣ يقول ابن خلدون " إن الحد راجع إلى المعانى ببيان أن مدلول اللفظ المجهول الخفى هو مدلول الواضح المشهور "

واستخدام ابن خلدون لهذا المصطلح يمكن أن يفهم منه معنى النسبية إذ الخفى فى ارتباطه بمفهوم الملكة اللغوية ، والتدرب والمران ليس درجة واحدة بحسب الأشخاص مستعملى اللغة .

(د)

- ***الدروس = ضياع اللغة / أو فسادها***

ورد فى سياق بيان نشأة المعجم العربى تعليل هذه النشأة بخوف دروس اللغة ، وضياع ألفاظها . يقول ابن خلدون ١٢٦٨/٣ س ٥ " لما فسدت ملكة اللسان العربى ... واستمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ... فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين ؛ خشية ***الدروس*** " .

ومعنى المصطلح يحتمل دلالات متعددة منها : تغير دلالات الألفاظ وتطورها بعيدا عن المعنى الذى لابس نزول القرآن الكريم أو تغير فى أبنية

الكلمات أو موت ألفاظ أو موت دلالات .وقد استخدم هذا اللفظ مرة أخرى فى ما أل إليه أمر اللغات غير العربية يقول ١٢٦١/٣

س ٢ " واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية فى لسانهم دون ما سواه لدورسها وذهاب العناية بها .

- ***الدلالة الخطية = المعنى المحصل من رسم الكلمة***

وقد استخدم ابن خلدون هذا المصطلح المركب ليدل به على المعنى المستفاد من رسم الكلمة ، باعتبار الخط واحدا من وسائط الاتصال غير اللفظية ، وهو يأتى متأخرا دائما فى استخدامات المقدمة بعد الدلالة اللفظية؛ النطقية ، وربما يكون ذلك التأخير بسبب الفارق فى تحديد المعنى المستفاد منها ، إذ الدلالة المستفادة من الخط تحتاج إلى وسائل إضافية لتحديد المعنى من مثل الضبط والسياق وعلامات الترقيم على عكس الدلالة المستفادة من النطق أو من التلفظ .

يقول ابن خلدون ١٢٦١/٣ س ٢٠ " واحتاج القائمون إلى معرفة ***الدلالات*** اللفظية والخطية

ويقول كذلك ١٢٦١/٣ س ٩ " وإذا كانت ملكته فى ***الدلالة اللفظية والخطية*** مستحكمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعانى ".

- ***الدلالة اللغوية = الدلالة = المعنى***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح بدرجة تكاد تترادف مع مصطلح الدلالة ومصطلح المعنى وهو كذلك يستخدم نظيرًا للفظ (جسم اللفظ) منطوقا أو مرسوما وهو ما يسمى بالدال . ويظهر من استخدامه لمصطلح الدلالة اللغوية كذلك أنه مرادف للمدلول وهو ما استخدمه ابن خلدون أيضا كما سيأتى فيما بعد .

والدلالة اللغوية عند ابن خلدون تنقسم على قسمين هما :

أ- الدلالة اللفظية (دلالة اللفظ المنطوق)

ب-الدلالة الخطية (دلالة الكلمة المكتوبة)

وقد حدد ذلك المصطلح في المقدمة يقول ابن خلدون ٣/١٢٦٠س ١٩ " ولابد في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها من معرفة *دلالاتها اللغوية* عليها" .

- ***الدلالة اللفظية = الدلالة المستفادة من الكلمة المنطوقة:.***

يستخدم ابن خلدون الدلالة ليعني بها المعنى المستفاد ومن اللفظ المنطوق ، وهو قسيم الدلالة الخطية وهما معا يشكلان نوعي الدلالة اللغوية في التصور الخلدوني .

وهذه التفرقة بين نوعي الدلالتين يعكس ما يرتبط بدلالة المتلفظ به، وما نقلوا به عن نظيرها الأخر وهو الدلالة الخطية ، وتظهر هذا العلو أو هذا التمايز من خلال تقدم الدلالة اللفظية على أختها في كل مرة ترد عند ابن خلدون ، ربما لما تتميز به من وضوح في تحديد المعنى راجع إلى ما يصاحبها من تنغيمات صوتية أو سياقات حالية أو تعبيرات جسدية تعين على حسم معناها .

يقول ابن خلدون ٣/١٢٦١ س ٩ " وإذا كانت ملكته في ***الدلالة اللفظية*** والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني "

وانظر كذلك : المقدمة ٣/١٢٦١ س ٢٠ و ٣/١٢٦٢ س ٥

- ***دواوين اللغة = المعاجم المكتوبة***

يستخدم ابن خلدون هذا اللفظ بمعنى المعاجم المكتوبة المدوّنة ، وربما انصرف معناه إلى مفهوم الجمع اللغوي الذي قام به اللغويون العرب القدامى . يقول ابن خلدون ٣/١٢٦٨ س ١١

" فشمر كثير من أئمة اللسان ذلك و أملوا فيه الدواوين " أي لجمع اللغة وحفظها.

(ش)

- ***الشواهد = أدلة الاستعمال / نصوص اللغة = متن اللغة :***

استخدم ابن خلدون هذا اللفظ بما يوحى بمعنى الأدلة التى تدل على صحة استعمال لفظ ما فى اللسان العربى يقول فى المقدمة ١٢٦٦/٣ س ١٣ " واستكثر من أدلتها *وشواهدها* ".

وربما يفهم كذلك من النصوص التى ورد فيها استخدام هذا اللفظ ما يوحى بأنها تحتمل معنى متن اللغة ونصُوصها .

(ع)

- ***العجمى = (انظر : الأعجمى)***
- ***العربى = صاحب اللسان العربى***

وهو يستخدم عند ابن خلدون فى مواجهة الأعجمى الذى عجز عن تحصيل اللغة العربية ، وهو لا يربط هذا المفهوم بمفهوم الجنس أو الدم ، و إنما يربطه بالملكة والاستعداد البديهى والجبلى لفهم اللغة العربية والتعامل معها ، ويرى أن العجمى ، أو من هو من أصول غير عربية ربما يصل إلى تحصيل لسان العرب كالعربى أو الذى هو من أصل عربى إن اشتركا فى مقومات تكوين الملكة التى تبتدئ من السمع وتنمو وتقوى بالمران والدربة والمراس لفظا وخطا.
[انظر : الأعجمى]

- ***علم اللغة = المعجم= بيان ألفاظ اللغة***

يستخدم ابن خلدون هذا المصطلح بمعناه المألوف فى التراث اللغوى العربى الذى يقترب فى أحيان كثيرا من مصطلح آخر لم يستخدمه ابن خلدون هو فقه اللغة . وهو واضح الدلالة على مفهوم المعجم تماما .

يقول ابن خلدون ٣/١٢٦٨ س٥ " علم اللغة : هذا العلم هو بيـــان الموضـــوعات اللغوية "

والمؤلفات القريبة من عصر ابن خلدون تؤكد ذلك الاستعمال يقول ابن ساعد الأنصارى فى كتابه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) ص ٣٨ : الخاص بذلك اللسان من الدخيل فيه "

وقد استمر هذا المفهوم إلى وقت متأخر من عمر الـــدرس اللـــسانى عنـــد العرب، كما يشهد بذلك مثلا استخدامه فى المزهر فى علـــوم اللغـــة للـــسيوطى (٩١١هـ) وفى التحفة القليبية فى حل الألفاظ القرآنيـــة لابـــن يوســـف القليبـــى (ق١١هـ) ص ٤ .

- ***العموم = أصل وضع الألفاظ فى اللغة***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح فى مقابل مصطلح " الخاص " ويفهم مـــن استخدامه أنه يريد به معنى أصل الوضع ، قبل أن يستخدم من قبل أصحاب اللغة فى أمور بعينها ، يقول ٣/١٢٧١ س ٤ " ثم لما كانت العرب تضع الـــشئ علـــى العموم ثم تستعمل فى الأمور الخاصة ألفاظا أخرى خاصة بها "

وبهذين اللفظين ندرك قيمة تفريق المعجم العربى بين الألفاظ الموضـــوعة بإزاء معان مطلقة عامة وما هو موضوع منها بإزاء سياقات محددة خاصة .

(ف)

- ***الفساد = انظر : الدرس واللحن***
- ***فصل=***

يستخدم ابن خلدون مصطلح " فصل " بمجاوزة مصطلح "باب " باعتبارهما مكملين لما يسمى بترتيب المداخل فى المعاجم العربية ، وقد استخدمه ابن خلدون فى سياق تعريفه بمنهج الصحاح للجوهرى الذى رتب المداخل / أو الكلمات وفق

حروفها الأخيرة معتبرا إياها أبوابا ، مع مراعاة الحروف الأولى معتبــرا إياهــا فصولا .

وبهذا يكون الفصل مصطلحاً مركزياً فى تصور تنظيم المداخل المعجمية فى هذه المعاجم التى صنفت معتبرة الكلمات لا الموضوعات مداخل لها

انظر : المقدمة ٣/١٢٧٠ س٩ . وهو أقل عمومية من الباب و أخص منه

- ***الفعل اللسانى = اللغة المنجزة / المنطوقة***

استخدم ابن خلدون هذا التركيب فى سياق تعريفه اللغة وهو يشير به إلــى التعبير والتكلم ويشترط فيه القصدية و الإفادة يقول ٣/١٢٦٤ س ١٤ " اعلــم أن اللغة فى المتعارف عليه هى : عبارة المتكلم عن مقصوده وتلــك العبــارة فعــل لسانى، ناشئة عن القصد و لإفادة الكلام "

وابن خلدون بهذا التعبير يتخذ حجّة لدى من أقر مصطلح اللسانيات عنوانــا على العلوم الدارسة للغة من المعاصرين

(ق)

- ***قياس العقل =***

وهو غير القياس الفقهى القائم على اعتبار العلة الجامعة بين الأصل والفرع المراد إلحاقه به ووسيلة إدراكها الشرع . وهو أمر غير قائم فى اللغة.

وربما يمكن حمل قياس العقل على ما يسمى فى اللسانيات الحديثة بالعلاقة الاعتباطية بين طرفى العلاقة اللغوية (الدال والمدلول)

يقول ابن خلدون ٣/١٢٧٢ س ٣-٤ " لا تثبت اللغات بقياس ما لم تعــرف استعماله على ما عرف استعماله ، بجامع يشهد باعتباره فى الأول بشأن القياسات الفقهية ... وليس لنا مثله فى اللغة إلا بالعقل ... (و) القول بنفيه أرجح " ويؤكد أن العقل لا مجال له فى هذه الأمور .

(ك)

- ***الكلمات*** *= المفردات = الألفاظ = الموضوعات اللغوية*
- ***اللحن*** *= الخطأ في النطق أو الاستعمال* انظـر المقدمـة ٣/١٢٧١ س٥ [انظر : الموضوعات اللغوية]
- ***اللسان*** = عضو الكلام *// وانظر : اللغة)*
- ***اللغة =***

عرف ابن خلدون مصطلح اللغة قائلا ٣/١٢٦٤ س ١٣ " وهـي عبـارة المتكلم عن مقصوده " وقرر ضرورة توافر شرط القصد و الإفادة لكـي يـسمى النشاط الناتج عن جهاز النطق لغة ، كما اشترط فيها المشافهة.

ثم توقف في مرات أخرى مقتصرا على غايتهـا ، فقـال ٣/١٢٦٠س ١٧ "اللغات وسائط وحجب بين الضمائر ، وروابط وختام على المعاني " ويقول كذلك ٣/١٢٦٠.

س ١٥ " واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني " .

وقد أفاض في تحليل مصطلح اللغة عند ابن خلـدون الـدكتور عبـدالقادر المهيري في كتابه (نظرات في التراث اللغوي العربي)[٢٦]

وقد استخدم مصطلح اللسان في أحيان أخرى بمعناه ويؤكد الدكتور المهيري " أن ابن خلدون يستعملها في مواطن عدة من المقدمة بنفس المدلول " .

وبين أنّ ثمة تمايزا في استعمال ابن خلدون للمصطلحين بحيث يمكن النص على ما يلي :

أ- ابن خلدون يستخدم اللغة عندما يتحدث عن علم اللغة وبيـان الموضـوعات اللغوية .

ب- ويستخدم مصطلح اللسان فيما هو أعلم ، بمعنى أن علم اللغة جزء من علوم اللسان .

ومن هنا يظهر أن ابن خلدون يستعمل اللغة فى مجال ضيق ، ويستعمل مصطلح اللسان فى المجال العام . وانظر المقدمة ٣/١٢٦٣ س ١١ ؛ ١٣ ومن النصوص التى استعمله فيها بمعنى عضو الكلام انظر ٣/١٢٦٤ س ١٥

- *اللفظ = (انظر : الموضوعات اللغوية)*

(م)

- ***المتداول = كثير الاستعمال***

تستخدم المقدمة لفظ المتداول بمعنى الكثير الاستعمال ، وهو مفهوم يقترب جدا من مفهوم القوائم الأكثر انتشارا ، و لا يقترن من بعيد و لا من قريب بمفهوم المبتذل ، يقول ابن خلدون ٣/١٢٧١ س ١٦ " و أما المختصرات الموجودة فى هذا المخصوصة *بالمتداول* من اللغة *الكثير* الاستعمال تسهيلا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب وغيرهما وهو فيما يبدو متداخل مع الغرض التعليمى فى تاريخ المعجم العربى ، وهو من المصطلحات التى تعكس عناية خاصة بمنظور المستعمل .

- ***المجاز = المعنى المجازى .***

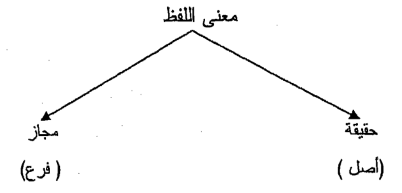
يرد مصطلح المجاز فى مبحث المعجم من مقدمته ليدل على ما كان مغايرا للحقيقى من المعانى .

يقول الدكتور محمد رشاد الحمزاوى فى المعجمية ١٧٩ فقرة ٥١" المجاز من المصطلحات القديمة والحديثة ... يهمنا منه مفهومه عند ... الزمخشرى فى أساس البلاغة مقابلة بالحقيقة ".

وهو بمنزلة الفرع من الأصل . وهذا الذى نقلناه من الدكتور الحمزاوى هو المقصود عند ابن خلدون بدليل إيراده وصفا لعمل الزمخشرى فى أساس البلاغة يقول فى المقدمة ٣/١٢٧١.

س ١ " ومن الكتب الموضوعة (أى المعاجم) أيضا فى اللغة كتاب الزمخشرى *فى المجاز* ، وسماه أساس البلاغة ، بيّن فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ وما تجورت به من المدلولات " .

وبهذا يمكن أن نتصور قسمى المعنى فى الشكل التالى :



- ***مدلول اللفظ = معناه ومفهومه وتصوره (انظر الدلالة اللغوية)***

وهو مصطلح أساس فى المعجمية وهو قسيم الدال ، ومنهما يتكون مفهوم اللفظ أو الكلمة

وهو مرادف لمفهوم المعنى أو الدلالة أو التصور أو المفهوم عند ابن خلدون بهذا التعميم يقول فى المقدمة ١٢٧٢/٣ إن" الحد راجع إلى المعانى ببيان أن *مدلول* اللفظ المجهول الخفى هو *مدلول* الواضح المشهور "

وفى هذا النص فوق التعبير عن المعنى أو الدلالة بكلمة المدلول إشارة إلى تقسيم مدلول الكلمة إلى قسمين هما :

١- الخفى (الناقص الغريب)　　　٢- المشهور (الواضح الظاهر)

- ***مركبات حروف المعجم = تقاليب الكلمات = مقلوبات الكلمات = تباديل***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح المعقد وهو يعنى به تقاليب الكلمة أو تباديل الكلمة وهو واحد من عناصر المنهج الذى اتبعه العين بهدف حصر

مفردات اللغة بآلية رياضية ، وقد ورد هذا المصطلح فى المقدمة فى سياق التعريف بمنهج الخليل بن أحمد فى بنائه معجم العين يقول ١٢٦٨/٣ س ١٣ عن صنيع الخليل " فحصر فيه ***مركبات حروف المعجم*** كلها من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى "

وقد استخدم للتعبير عن هذا المعنى مصطلحا آخر هو : مقلوبات الكلمة كما جاء فى المقدمة ١٢٦٩/٣ س ١٤

وقد سبق للدكتور إبراهيم بن مراد استحياء مصطلح ابن خلدون حيث استخدمه فى كتابه مسائل فى المعجم يقول ٢٢ " وقد استنبط الخليل من أجل ذلك الاستقصاء نظريته فى التقليب ، فعمد ***إلى حصر مركبات حروف المعجم*** " وقد علق فى الحاشية قائلا " المصطلح لابن خلدون " كما استحياه فى كتابه مقدمة لنظرية المعجم حيث يقول ص٢٥ فى الحاشية رقم ٦٣ معلقا على مصطلح : مركبات حروف المعجم : " المصطلح لابن خلدون فقد استعمله فى المقدمة أثناء حديثه عن طريقة الخليل بن أحمد فى حصر " موضوعات اللغة العربية " .

وهذا المصطلح يتشعب إلى مصطلحين هما :

١- المستعمل لما كان حيا على ألسنة الناس فى تخاطبهم وتواصلهم ونشاطاتهم اللغوية .

٢- المهمل لما كان لا وجود له على ألسنة الناس فى نشاطاتهم

- ***المستعمل = (بفتح الميم الأخيرة) ما نطق به العرب من كلمات اللغة وكانت له دلالة ومعنى***

وقد استخدم ابن خلدون هذا المصطلح باعتباره شكلا من أشكال نواتج مقلوبات أى كلمة أو من نواتج مركبات حروف كلمة من الكلمات ، وقد جاء فى مقدمة ابن خلدون ١٢٦٩/٣ فى أثناء التعريف بمنهج الخليل بن أحمد أنه بعد

بيان تقاليب كل بنية كان س٢١ يبين " *المهمل* منها مـن *المـستعمل* " وانظـر المقدمة ١٢٧٠/٣ س ٣-٤ .

وقد التقط الدكتور إبراهيم بن مراد فى كتابه (مقدمة لنظريـة المعجـم) كلام ابن خلدون ووضحه وعلق عليه قائلا ص ٢٥ " إن كل المركبات الصوتية التى يظهرها نظام التقليب صور مجردة صامتة ثابتة متمثلة فى الذهن . إلا أنها حسب النظرية الخليلية مصنفة صنفين متمايزين : الأول – هو *المستعمل* : وهو صنف المركبات التى تخرج من حيز الصور المجردة الصامتة الـصرف إلـى اللغة إذ إنها ذات امتداد فى استعمال الناس اللغوى ، فهى إذن من اللغة .

والثانى هو *المهمل* ؛ وهو صنف المركبات التى تبقى صامتة لأنها تبقـى خارج اللغة ؛ إذ لا يكون لها امتداد فى الاستعمال . وتكون مركبات هذا الصنف مهملة " لأسباب مختلفة .

- ***المشترك = الألفاظ المتعددة المعانى .***

هذا المصطلح من المصطلحات التى تعكس شكلا من أشـكال العلاقـات الدلالية بين الكلمات حيث تكون لكلمة ما متحدة الرسم والـشكل معـان عـدة كثيرة.

وقد ورد ذلك المصطلح مجملا عاما فى المقدمة فى سياق الحـديث عـن أنواع المعجمات العربية يقول ابن خلدون ١٢٧١/٣ س ١٤ " وكذلك ألف بعض المتأخرين فى الألفاظ المشتركة "

- ***الملكة اللسانية =***

هذا مصطلح محورى فى نظرية ابن خلدون اللغويـة والتعليميـة علـى مستوى الاستعمال بحيث يمكن القول بأن كثافة ورود هذا الكلمة عالٍ جدا فـى حيز علوم اللسان عنده .

وهى فى نظر ابن خلدون صفة راسخة فى النفس تمكن الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها ".(٢٧)

وهى " فى النظر الخلدونى شئ متمايز عن قواعد اللغة وعن صناعة العربية

- ***المهمل = (بفتح الميم الأخيرة) [انظر : المستعمل]***
- ***الموضوعات اللغوية = الوحدات اللغوية / المفردات / الألفاظ / الكلمات .***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح مرادفا للوحدات المعجمية وهو واحد من الكلمات الأساسية التى تعد عمود الصورة من مفهوم المعجم، وقد جاء فى المقدمة ١٢٦٨/٣ س٥

أن علم اللغة الذى هو المعجم يرمى إلى :" بيان *الموضوعات اللغوية* " وهذا البيان يحتمل كل الوظائف المعجمية ؛ نظرا لاستعماله عاما كما نرى .

كما جاء فى المقدمة أيضا ١٢٦٨/٣ س ٨ " حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ " وتقول كذلك ١٢٦٨/٣ س١٠ " فاحتيج إلى حفظ *الموضوعات اللغوية* بالكتاب والتدوين " وانظر كذلك ١٢٧١/٣س ١٣ .

وربما يفهم من هذه التسمية و لو إشارة إلى القول بأن أصل اللغة هو الوضع عند ابن خلدون اعتمادًا على الاشتقاق (موضوعات) من الوضع .

وقد استخدم ابن خلدون مرادفات كثيرة لهذا المصطلح ، فاستخدم مصطلح الألفاظ كما فى المقدمة ١٢٧١/٣ س ٢ واستخدم الكلم كما فى المقدمة ١٢٧٠/٣ س ١٢ واستخدم الكلمات كما فى المقدمة ١٢٦٩/٣ س ١ .

وقد استحيا الدكتور إبراهيم بن مراد هذا المصطلح فى كتابه (مقدمة لنظرية المعجم)

يقول ص ٨ " أما الوحدات المعجمية ... فهى موضوعات حسب اصطلاح ابن خلدون " ويتداخل مع مفهوم الموضوعات اللغوية مفهوم الخط أو رسوم الألفاظ باعتبارها شكلا للوحدات المعجمية .

(ن)

- ***النقل بالترجمة = التعبير عن الكلام بلسان آخر .*** **[وانظر : الترجمة]**
- ***النقل عن العرب = الراوية عن العرب / جمع اللغة من العرب / استعمال العرب .***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح المعقد للدلالة على طريق ثبوت اللغة ، و أنه الطريق الذى جمعت منه لغة العرب ، وهو بهذا المعنى يكاد يقترب من مفهوم الرواية اللغوية ، كما يقترب من مفهوم استعمال العرب .

يقول ابن خلدون ١٢٧٢/٣ س ١ " واعلم أن النقل الذى تثبت به اللغة إنما هو *النقل عن العرب* ، انهم استعملوا هذه الألفاظ لهذه المعانى ".

والمصطلح فى مفهومه هنا يعد المعتمد الأساسى فى رواية اللغة ، وتدوينها وهو بهذا ربما يرادف مصطلح السمع الذى عده ابن خلدون أبا للملكة اللغوية ، ويصبح النقل ذو وظيفة مزدوجة يقوم بعبء إثبات اللغة من جانب ويقوم بتكوين الملكة وترقيها من جانب آخر .

(هـ)

- ***هجنة = فساد فى القدرة اللغوية / عدم القدرة على الإبانة أو توصيل المعنى لعيوب فى الملكة .***

ويعرف الدكتور منير البعلبكى الهجنة قائلا :" هجنة : خطأ ؛ كلام ملحون. خطأ لغوى فى اللفظ او الصرف "[٢٨]

واستخدام ابن خلدون فى المقدمة لهذا اللفظ يشير إلى هذا المفهوم يقول ١٢٦٨/٣ س ٩.

" تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية "

وهذه الهجنة أو التخليط كان واحد من أهم الدواعى التى دفعت المعجميين العرب إلى جمع اللغة وتأليف المعاجم .

(و)

- ***واضح = المشهور***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح فى أثناء الحديث عن نوعى المدلولات الخفى المجهول ، والواضح المشهور .

وهو يقصد به ما سبق إلى الذهن تصوره وهو من نتائج قوة الملكة اللسانية يقول ابن خلدون ١٢٧٢/٣ س ١١ " إن الحد راجع إلى المعانى ببيان أن مدلول اللفظ المجهول الخفى هو مدلول *الواضح* المشهور "

وهو مصطلح يرادف المشهور وهما من مصطلحات الدلالة لهما وجود فى بنية المصطلح الأصولى وبنية مصطلحات علوم القرآن ، مرادف للجلى غير الخفى .

- ***وسائط = أشكال نقل المعنى .***

استخدم ابن خلدون فى سياق تعريف اللغة مصطلح : وسائط بمعنى أشكال حمل المعنى وتأديته وقد حدد هذه الأشكال فى شكلين هما :

١- اللفظ	•	٢- الخط

يقول فى المقدمة ٣/١٢٦٠س١٧ " و الألفاظ واللغات *وسائط* "

ومفهوم الوسائط هنا يحمل إشارة إلى مفهوم التواصل باعتباره أحد الوظائف المركزية للغة .وهو واضح الدلالة على أن اللفظ والخط شكلان يقومان بالترجمة عما فى النفوس والضمائر .

- ***الوضع = أصل المعنى / أو المعاني الأولى***

استخدم ابن خلدون هذا المصطلح ليدل به فى مقابلة مصطلح الاستعمال والخاص على المعنى العام الذى وجد مع الألفاظ فى أصل ظهورها

يقول ابن خلدون ٣/١٢٧١ س ٥ " ثم لما كانت العرب تضع الشئ على العموم ثم تستعمل فى الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فرّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال ".

ويقترب مفهوم الوضع بهذا من مفهوم الجمع أو المدونة أو متن اللغة مع وجود فوارق يحددها طبيعة السياق الذى يجب فيه استعمال كلمة ما من الكلمات.

وهو بهذا المعنى لا علاقة له بنظرية الوضع والاصطلاح فى موضوع نشأة اللغة و لا علاقة لها بمفهوم الوضع المرادف لمعنى النحت .

هو أقرب ما يكون لمعنى العام .

خاتمـــة :

حاول هذا البحث أن يقرأ إسهام ابن خلدون من خلال المقدمة فى البحـــث المعجمى وهو أمر جديد من وجهة نظر البحث .

وقد قام البحث بالتوقف أمام نقاط محددة أمكن من خلالها إقرار معرفة ابن خلدون بميادين البحث المعجمى المتداولة اليوم والدائرة حول التأريخ المعجمـــى والتصنيف المعجمى والنقد المعجمى .

كما حاول البحث أن يصنع معجما / أو قائمة لمصطلحات علم المعجم كما وردت فى هذا النص الفارق فى تاريخ الثقافة الإسلامية العربيـــة وهـــو نـــص المقدمة ، حاول به أن يصنع ما يمكن أن يكون بداية لصناعة معجم للمعجميـــة العربية من خلال كتابات المفكرين العرب المسلمين ، ولم يحاول أن يشطط فى تفسير هذه المصطلحات مدعيا أمورا لمجال لادعائها

ولم تقف الدراسة عند الترجمة لابن خلدون نظـــرا لتـــوافر ذلـــك قـــديما وحديثا.(٢٩)

هوامش البحث

١- تعود معالجة مسألة الملكة اللغوية إلى بـدايات كتابـات تشومـسكى فـى خمسينيات القرن العشرين ، و استمر تناميها حتى بدت بشكل مكثف فـى كتابه آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن سنة ٢٠٠٠م وظهرت ترجمتـه العربية للدكتور حمزة المزينى بالقاهرة سنة ٢٠٠٥ م . كما انتقلت تأثيرات تشومسكى فى هذه المسألة نفسها فى كثير من الأدبيات اللسانية الغربية و لا سيما فى كتاب (الغريزة اللغوية : كيف يبدع (العقل اللغة) لستيفن بنكر ، وقد ظهرت الترجمة العربية للدكتور حمزة المزينـى ، بالريـاض سـنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م

٢- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدى ص ٧٤ فقرة ٤٥٣

٣- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدى ص ١٩٤ فقرة ١٣٨٤

٤- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدى ص٨٣ فقرة ٥١٥

٥- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدىص ١٧٧ فقرة ١٢٤٤

٦- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدى ص١٦٣ فقرة ١١٢٤

٧- انظر: مراجع اللسانيات للدكتور عبد السلام المسدى ص ١٧٩ فقرة ١٢٥٣

٨- يمكن هنا الإفادة من إشارات كثيرة جـدا وردت فـى الأدبيـات اللغويـة المعاصرة فى العالم العربى مشرقه ومغربه ، للتدليل على القيمة اللغويـة لباب علوم اللسان الذى ضمنه ابن خلدون مقدمته الشهيرة ويهمنا فى هـذا السياق الإشارة إلى تثمين الدكتور إبراهيم بن مراد لابن خلدون ومن خلال إحالاته و إشاراته إليه فى كثير من دراساته واختيار إبـراهيم بـن مـراد تحديدا عائد إلى أمرين أولهما مغربيته من جانب و إلى ما يشبه العكـوف على الدرس المعجمى ، وهو موضوع الورقة التى تنظر إلى إسهام مقدمة ابن خلدون فى مجال العربية ، انظر :

- المعرب الصوتى عند العلماء المغاربة (١٩٧٨م) وقد جاءت الإحـــالات إلى ابن خلدون فى ص ١٤و ١٥
- وانظر الإحالات إلى ابن خلدون فى التفكير اللــسانى فـــى الحـضارة العربية للدكتور المسدى
- ٣٢٠ والمصطلح الأعجمى فى كتب الطب والصيدلة العربية (١٩٨٥م) الإحالات فى ص٧٣ بالحاشية ٢١١ وفى ص ٧٤ بالحاشية ٢١٤ وفى ص ١٠٨ فى المتن وبالحاشية ٢٩٥ .
- مسائل فى المعجم (١٩٩٧م) وقد جاءت الإحالات فيه إلى ابن خلدون فى ص ٢٢ فى المتن وبالحاشية ٣ وص ١٠٧ فى المتن وبالحاشية ٢
- مقدمة لنظرية المعجم (١٩٩٧م) وقد جاءت الإحالات إلى ابن خلــدون فى ص٩ وتوثيق الإحالة فى الحاشية (٥) وفى ص ٢٥ وبالحاشية ٦٣ وقد شاع أمر الاستشهاد بمنجز ابن خلدون فى الفكر اللغوى كثيرا عند غير الدكتور إبراهيم بن مراد من اللغويين المغاربة من أمثال الدكتور عبد القادر المهيرى فى كتابه نظرات فى التراث اللغوى (١٩٩٣م) فى الإحالات فى ١٣٢؛١٣٣؛ ١٣٥؛ ١٣٨؛ ١٤٦؛١٨١؛١٨٢؛١٨٣؛١٨٤؛ ١٨٥؛١٨٦؛١٨٧ والدكتور عبدالقادر الفاسى الفهرى فى كتابه المعجم العربى : نماذج تحليلية جديدة فى ص ١٨٣؛١٨٤

ولا تقل كثافة الاستشهاد بمقولات ابن خلــدون اللغويـــة عنــد اللغــويين المشارقة عن أختها فى أدبيات اللغويين المغاربة فى العصر الحديث .

٩- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لابــن خلــدون ص ١٦-١٧ ، تحقيق الدكتور محمد بن تاويت الطبخى ، تقديم الدكتور عبــادة كحيلـــة ، سلسلة الذخائر ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة العدد (١٠٠) لسنة ٢٠٠٣م

١٠- تكررت عبارة نافع ٢٨٧ مرة فى رواية الخُتّلى ٣٦٥هـ وابن العلاف ٤٤٢هـ من مسائل نافع بن الأزرق ، بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالى ، دمشق ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م وجاء مكانها أحيانا بالفعل (واستشهد) مسندا إلى ابن عباس فى طبعة الدكتورة بنت الشاطئ رحمها الله (دار المعارف) انظر مثلا ص ٣٢٦ فقرة ١٣ و ص ٣٢٨ فقرة ١٤.

كما جاء لفظ (وشاهده) فى ص ٣٣٤ فقرة ١٨

١١- وهى إحدى الوظائف التى نص عليها هارتمان فى كتابه - Dictionary of lexico-graphy ص ٢٠ فى تعريفه لمصطلح الشاهد citation وانظر كذلك المدخل نفسه فى معجم المصطلحات اللغوية للدكتور البعلبكى ص٩٠

١٢- انظر المعجمية للدكتور محمد رشاد الحمزاوى ٢٠٧ وما بعدها ومعجم المصطلحات اللغوية للدكتور البعلبكى ١٢٨ (متن) وهارتمان فى Dictionary of Lexicographyص ٣٠ فى المصطلح (corpus)

١٣- مقدمة لنظرية المعجم ص ٩ وانظر مفاتيح العلوم ٢-٣ والمقدمة لابن خلدون ١٢٦٨/٣ س ٥؛٨؛١٠

١٤- المعجم العربى نماذج تحليلية جديدة ١٨٤

١٥- المعجم العربى نماذج تحليلية جديدة ١٨ ، وقضية عدم متابعة الحركة المعجمية العربية لما جد من ألفاظ المظاهر الحيوية والمصطلحات العلمية أمر يحتاج إلى مراجعة فى ظل تراث ممتد لمعاجم المصطلحيات أو ما يعرف بمعاجم المصطلحات المتعددة العلوم .

١٦- انظر : علم اللغة للدكتور وافى ص ١٧٠ س ٧ وما بعده

١٧- المعجم العربى : نماذج تحليلية جديدة ص ١٤ وانظر تحليل الدكتور عبد القادر المهيرى لمصطلحى اللغة واللسان عند ابن خلدون فى كتابه :

نظرات فى التراث اللغوى ١٨١ وما بعدها مما يمكن ان يعين إلى قبول القول بهذه التوسعة الدلالية لمفهوم المعجم

١٨- انظر : مقدمة لنظرية المعجم ١٠٣

١٩- انظر التعريفات للجرجانى (الفطرة) ص ٢١٥ فقرة ١٠٩٥ و (البديهى) ص ٦٧ فقرة ٢٣٧ والتوقيف على مهمات التعاريف (جبلى)٢٣١

٢٠- انظر : الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ٦٧ وما بعدها والملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون ٢٥ ما بعدها

٢١- جاء فى المقدمة ١٢٧٠/٣ " محمد بن أبى الحسين " ! فى إنباه الرواة ٧١/٣ " محمد بن أبى الحسن " وفى جذوة المقتبس ٤٧ ترجمة ٤٩ " ابن أى الحسين "

٢٢- وجه عدد من اللسانيين المعاصرين إنتقادات لصنيع الزمخشرى ، و لا سيما فى معيار التفرقة بين الحقيقى والمجازى فى كتابه ، ويعللون بأن أسبقية المعنى المادى للمعنى المعنوى ليس من السهل البرهنة عليه . ويقترح الدكتور إبراهيم أنيس معيارًا آخر للتفرقة بين الحقيقى والمجازى من الدلالات بعد نقده للزمخشرى اعتمادًا على فكرة الجدة والطرافة . انظر : دلالة الألفاظ ١٣٢ وهو ما عاد وانتقده مرة أخرى فى : فى اللهجات العربية ١١٨ و انظر : فصول فى فقه العربية ٢٨٢

٢٣- مقدمة لنظرية المعجم ٦٨-٦٩

٢٤- انظر : المعجمية للدكتور محمد رشاد الحمزاوى ٢١٢ فقرة (د)

٢٥- المعجمية للدكتور الحمزاوى ٣١٣ فقرة ٢٤٥

٢٦- مصطلحا اللغة واللسان عند ابن خلدون (ضمن نظرات فى التراث اللغوى العربى) ص ١٨٢

٢٧- الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون للدكتور ميشال زكريا ٢٦

٢٨- معجم المصطلحات اللغوية ص ٨٠ مدخل cacology

٢٩- انظر الترجمة التى كتبها لنفسه و أخرجها الدكتور محمد بن تاويت الطبخى بعنوان التعريف بابن خلدون ورحلته غربا و شرقا ص ٥وما بعدها وعبد الرحمن بن خلدون للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٩ وما بعدها وابن خلدون حياته وتراثه الفكرى لمحمد عبدالله عنان ص ١٤ وما بعدها وابن خلدون مؤرخا ص ٤٦ وما بعدها وانظر: موقع علم اللغة من قائمة تصنيف العلوم عند ابن خلدون دراسة الدكتور محمد على أبى ريان بعنوان تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ص ١١٥-١١٦

مراجع البحث

(أ)

- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن ، لتشومسكى ، ترجمة الدكتور حمزة المزينى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة سنة ٢٠٠٥م
- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ، لابن ساعد الأنصارى ، تحقيق الدكتور عبد اللطيف العبد ، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨من مكتبة الأنجلو المصرية
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

(ب)

- بيان كشف الألفاظ ، للأبذى ، تحقيق الدكتور خالد فهمى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة سنة ٢٠٠٢م

(ت)

- التحفة القليبية فى حل الألفاظ القرآنية ، لابن يوسف القليبى ، تحقيق الدكتور محمد داود ، مكتبة الآداب ، القاهرة سنة ٢٠٠٢م
- تصنيف العلوم بين الفارابى و ابن خلدون ، للدكتور محمد على أبو ريان ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد (٩) العدد (١) سنة ١٩٧٨م
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق محمد بن تاويت الطبخى ، سلسلة الذخائر ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة سنة ٢٠٠٥م

- التعريفات ، للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الإبيـــارى ، دار الريـــان ، القاهرة سنة ١٩٨٧م
- تفسير ابن خلدون لجوانب من درس اللغة ، للدكتور محمد عيـد ، حوليات كلية دار العلوم ، القاهرة ، العدد(٤) سنة ١٩٧٢-١٩٧٣م
- التفكير اللسانى فى الحضارة العربية للدكتور عبد السلام المسدى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨٦م
- التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوى ، تحقيق الدكتور محمـد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

(ج)

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس و أسماء رواة الحديث وأهـل الفقه و الأدب وذوى النباهة والشعر ، للحميدى ، تحقيق محمـد بـن تاويت الطبخى ، مكتبة الخانجى ، بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ

(خ)

- ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى ، لمحمد عبد الله عنان ، مؤسسة مختار ، القاهرة سنة ١٩٩١م
- ابن خلدون : فلسفته الاجتماعية ، لغاستون بوتول ، ترجمة عـادل زعيتر ، مكتبة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة سنة ١٩٥٥م
- ابن خلدون مؤرخا ، للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد (١٤) العدد(٢) سنة ١٩٨٣م
- ابن خلدون وعلوم اللسان ، للدكتور عبد القادر المهيرى ، حوليـات الجامعة التونسية ، كلية الآداب ، العدد (٢٤) سنة ١٩٨٥م
- ابن خلدون واللغة ، لعلى أمليل ، الحوليات المغربية لعلم الاجتماع ، الرباط ، سنة ١٩٦٨م

(د)

- دلالة الألفاظ ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٩١م

(ع)

- عبد الرحم بن خلدون ، للدكتور على عبد القادر وافى ، سلسلة أعلام العرب رقم (٤) طبعة وزارة الثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢م
- علم اللغة ، للدكتور على عبد الواحد وافى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥م
- علوم اللسان عند ابن خلدون ، لعبد السلام المسدّى ، مجلة المورد ، بغداد ، المجلد (١٥) العدد(١) سنة ١٩٨٦م

(غ)

- غراس الأساس ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيق الدكتور توفيق شاهين ، مكتبة وهبة ، القاهرة سنة ١٤١١هـ /١٩٩٠م
- الغريزة اللغوية : كيف يبدع العقل ، لستيفن بنكر ، ترجمة الدكتور حمزة المزينى ، دار المريخ ، الرياض ، سنة ٢٠٠٠م

(ف)

- فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، سنة ١٩٨٧م
- فى اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٩١م

(م)

- مراجع اللسانيات ، للدكتور عبد السلام المسدى ، الدار العربية للكتاب، تونس ، سنة ١٩٨٩م

- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى و أخرين ، دار التراث ، القاهرة سنة ١٩٥٨م
- مسائل فى المعجم ، للدكتور إبراهيم بم مراد ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٩٩٧م
- مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
- المصطلح الأعجمى فى كتب الطب والصيدلة العربية ، للدكتور إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة١٩٨٥م
- مصطلحات ابن خلدون ، لشفيق جبرى ، مجلة المجمع العلمى العربى، دمشق ، العدد (٢٦) سنة ١٩٥٩ م
- مصطلحا اللغة واللسان عند ابن خلدون ، للدكتور عبد القادر الفاسى الفخرى ، دار توبقال ، الرباط ، سنة ١٩٨٦م
- المعجم اللغوى التاريخى ، لأوجست فيشر ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م
- معجم المصطلحات اللغوية ، للدكتور رمزى منير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة١٩٩٠م
- المعجمية : مقدمة نظرية ومطبقة / مصطلحاتها ومفاهيمها ، للدكتور محمد رشاد الحمزاوى ، مركز النشر الجامعى ، تونس سنة ٢٠٠٤م
- المعرب الصوتى عند العلماء المغاربة ، للدكتور إبراهيم بن مراد ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
- مفاتيح العلوم ، للخوارزمى ، تحقيق فان فلوتن ، تقديم الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، سلسلة الذخائر ، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٥م

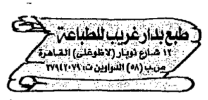
- مقدمة لنظرية المعجم ، للدكتور إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٩٩٧م
- المقدمة ، لابن خلدون ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، سنة ١٩٧٩-١٩٨١م
- الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ، للدكتور ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، سنة ١٩٨٦م
- الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون ، للدكتور محمد عيد ، عالم الكتب، بيروت ، سنة١٢٩٧٩م
- الملكة اللغوية فى الفكر اللغوى العربى ، للدكتور السيد الشرقاوى ، مؤسسة مختار ، القاهرة ، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

(ن)

- نظرات فى التراث اللغوى ، الدكتور عبد القادر المهيرى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٩٩٣م

R.R.K.Hartmann,and Gregory James, Dictionary of exicography,Routledge,London and New York,1998.

رقم الإيداع ٦٨١٥



طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت: ٧٩٤٢٠٧٩

